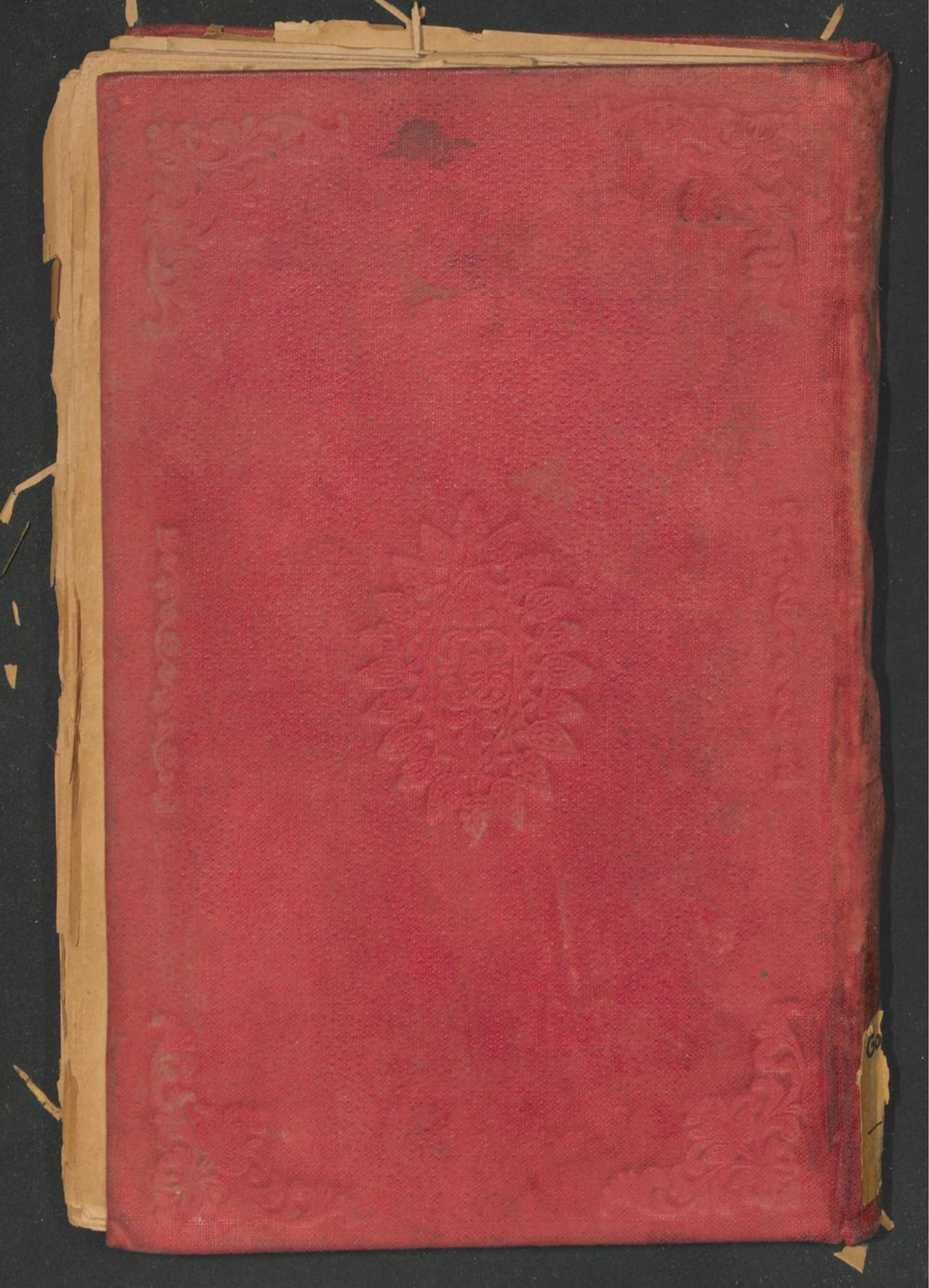




لحقٌ أن تحجَّ اليك طرًّا ... بنو الاوطانِ ياعلمَ المكارم

حَميت الدينَ والاوطان حقًّا ... وصنتَ العرضَ بالبيض الصوارم

وعشتَ مكرَّمًا وقضيتَ برًّا ... وذكرك عند اهل الفضل دائمْ

وباسمك يُنطقُ التاريخ حقٌّ ... ابوسمراء في الدارين غانمْ

اسكندر ١٨٩٥

شيبان عطيه

ابو سمرا غانم

او

البطل اللبناني

تأليف خليل همّام فائز

عفي عنهُ

ABOU SAMRA GHANEM

OU

LE HÉROS LIBANAIS

par

KHALIL HAMMAM FAIEZ

طبع في مصر القاهرة سنة ١٩٠٥

مقدمة

نشأت فيّ من يوم وفاة ابي سمرا غانم رغبة في ان ادون ترجمة حياته في كتاب انشره بالطبع واسرد فيه اعماله الشهيرة وفعاله الغريبة في خدمة الدولة والملة والوطن تخليداً لذكره واحياء لاسمهِ ضناً عليهما من الاختفاء والامحاق . فسعيت سعياً حثيثاً في جمع ما لقنني اياه شفاهاً معاصروه او ما تكرم عليّ به افراد عائلتهِ من الافادات وما طالعته مدوناً عنهُ في التواريخ العربية والافرنسية فجاء بحمد الله وتوفيقهِ كتاباً حاوياً سيرة هذا الرجل الوطني الكبير الذي فاق سواه في لبنان بسالةً وجراءةً حتى اعترفت له البلاد السورية على اختلاف المذاهب والمشارب بانهُ حاز قصبات السبق واصاب القدح المعلى في الجيل الماضي بين ابطال لبنان الصناديد وفرسانهم المغاوير . وقد عاش المترجم نيفاً وتسعين عاماً جاءت حياتهُ جلها كسلسلة معارك وحروب ومناوشات كان النصر في اكثرها حليفه والفوز اليفه . وقد جاهد الجهاد الحسن في خدمة الدولة العثمانية العلية وحمل السيف لقتال اعدائها وسال دمهُ في محاربة المارقين من طاعتها وكافح في سبيل اعلاء وطنه وانتصر للمظلوم من الظالم وآثر خدمة المصلحة العمومية على خدمة المصلحة الخصوصية وكان من اشد الرجال غيرةً وتحمساً للدين والحق

ومن طالع هذا الكتاب لا يلبث ان يعتريه العجب مندهشاً من اعمال هذا الرجل :

يعلم الكثيرون ان ابا سمرا فارس مشهور ولكنَّ السواد الاعظم من ابناء الوطن يجهلون فعالهُ والدور العظيم الذي لعبهُ في كوائن لبنان وحوادثه الحربية.

لقد كثر في ربوعنا انشاء المدارس ويخرج كل سنة منها مئات من الشبان المتخرجين بالاداب العصرية والمتضلعين بمعرفة اساطير الاولين وتواريخ المتقدمين والمتأخرين من مشاهير الاجانب ولكنهم يخرجون كما يدخلون جاهلين اتم الجهل

تاريخ من اشتهر من ابناء وطنهم حتى ان الكثيرين ايضاً لا يدرون بوجودهم وهذا خلل كبير اوجدتهُ ندرة الكتب التاريخية في هذه البلاد وقلة المعتنين بجمع وتدوين سير نوابغ رجالنا فجاء كتابنا هذا ساداً بعض هذا الخلل وهو من بواكير التواريخ العربية المطولة لافراد مشاهير اللبنانيين

وقد قسمتهُ جرياً على نمط المؤلفات الاوربية الى اجزاء وفصول فجاء حسن التبويب سهل المأخذ تلذ مطالعتهُ وتستحب مراجعتهُ وهو يحتوي على عدة افادات تاريخية لا ذكر لها في غيره من المصنفات . وقد المعت فيهِ بايجاز الى اهم حوادث لبنان لتعم فائدتهُ وتتوفّر منفعتهُ

وقد الحقت بهِ كتب التعازي التي وردت الى عائلة ابي سمرا من المقامات العالية والمراثي التي جادت بها قرائح بعض الادباء . وكتبت نبذةً في نسب عائلة غانم المتفرقة في لبنان والتي ينتمي اليها ابو سمرا وحررت اخرى في وصف قرية بكاسين مسقط رأسهِ وختمت الكتاب بنشر بعض القصائد من اقوال « القوالين » باللغة الدارجة جاء فيها وصف الحروب والمناوشات التي جرت في لبنان مع مدح ابي سمرا والثناء عليه

وقد جعلت عبارة الكتاب بسيطة واضحة خالية من الحشو الممل والتعقيد المستهجن وبعيدة عن التنميق والترويق لا يمجها الذوق ولا ينفر منها الطبع

واني لارجو القراء عذرا عما يرونهُ فيهِ من التقصير وما يكون سقط فيهِ من اغلاط الطبع او الهفوات النحوية والصرفية التي يدركها المطالع ويعذرها وقد اكتفيت باصلاح بعض الاغلاط التي يلتبس معها المعنى ووضعت لها جدولًا في اخر التأليف

واني اومل من القراء الكرام ان لا يضنوا عليّ بملاحظاتهم الادبية والتاريخية لتصير الطبعة الثانية اكثر فائدة من الاولى واكمل

هذا والله وحدهُ هو المنزه عن الخطاء والكامل تعالت اسماؤه وجلّت قدرتهُ احمده في البداية واشكره في النهاية فهو حسبي ونعم الوكيل

الجزء الاول

الفصل الاول

ولادة ابي سمرا وعماده

هو ابو سمرا بن خيرالله بن ابي سمرا بن يوسف بن ناصر بن علوان ابن ناصر بن علوان بن غانم بن سرجيس غانم اللحفدي وُلد في بكاسين سنة ١٨٠٢ تقريباً من ابيه خيرالله غانم وامه كفى من عائلة ابي ناصر وكان والده كبير عائلته يحترف بصنعة البناء وقد رزق ستة اولاد . ثلاثة ذكور وهم يوسف وجرجس وابوسمرا وثلاث بنات وهنَّ مريم و بنوت وقدسية وكان المترجم اصغر اخوته . و بعد ثلاثين يوماً من ولادته احتفل بعمادهِ فدعي في الكتاب جرجس وفي المطلق ابا سمرا على اسم جدّه والد ابيه . ومن هنا يتضح انهُ سمي ابا سمرا من حين اقتباله سر العماد وليس فيما بعد كما يظن البعض ولا نعلم ما

الذي يراد بهذه التسمية التي تطلق عادةً على السمر وهل يمكن ان نفسره بصاحب الرمح نسبةً الى الاسمر الذي يفيد هذا المعنى ؟ ومهما كان الامر فكلمة ابي سمرا اصبحت من بعده ترادف معنى الشجاعة والبسالة ولهذا ترى كثيرين في لبنان يدعون اولادهم بهذا الاسم تحببًا وتيمنًا

٢ سقوط ابي سمرا عن السطح

ليس لدينا عن حداثتهِ شيء كثير من الاخبار سوى حادث جرى له كاد ان يذهب بحياته وهو انه لما كان رضيعًا صعدت به والدته فوق احدى السطوح واخذت تخطو وهي حاملة له على كتفها وبيدها سبحة تصلّي وما سارت قليلًا حتى سقط بها السقف فهوت بالولد الى الارض ولم يصب احدهما بضرر وقد نسب ابو سمرا ذلك الى تقوى والدته وعظيم ايمانها فانها لما شعرت بالخطر صرخت مستغيثة بالبتول العذراء المجيدة فقبل الله دعاءها واستجاب تضرعها ولما علم الجيران بسقوط البيت اسرعوا الى محل الحادثة فوجدوا الام والولد سالمين فشكروا العزة الالهية على نجاتهما وهنأوهما بالسلامة وليست هي المرة الوحيدة التي شكر فيها المترجم العناية الالهية على نجاته فكم من المخاطر التي تجشمها وكم من المهالك التي وقع فيها ونجا منها كأن الله كان يرعاه بعناية خاصة حتى كانت حياته كلها

كاعجوبة . فان ما قاساهُ هذا الرجل من الشدائد وما وقع له من الكوارث لهو ممَّا يدهش الالباب ويذهل العقول

٣ في المغربي

ان بعض المغاربة قوم مشعوذون يسوحون في البلاد سعياً وراء الرزق ويتخذون لهم حرفةً التطبيب ويتظاهرون احيانًا بعلم الغيب وكشف الاسرار وان لهم مع الارواح والابالسة علاقات ومعاطاة اشغال تجعلهم عارفين المستقبل . وقد كان عددهم في الماضي عديداً لكثرة اعتقاد الناس بهم واما في ايامنا هذه حيث اشرقت في ربوعنا أنوار المعارف وبزغت شموس التمدن فقد نبذ الناس كثيرًا من الاوهام والخرافات التي كانوا يحفظونها بالتقليد من اسلافهم وقل عدد المغاربة المشعوذين ولم يعودوا فالحين كالسابق بخزعبلاتهم . وان يكن ذلك من امر المغاربة ألا انه يتفق ان الحوادث تأتي صدفةً (والصدفة تأتي بالغرائب) مصادفة لما يتنبوؤن به واليك ما جرى لابي سمرا من مثل هذا . جاء بكاسين يوماً احد المغاربة الذين يلجأ اليهم الناس للنظر في ما يخبئ لهم المستقبل فاجتمع لديه بعض النساء وطلبنَ منهُ ان (يبصر بخت) اولادهنَّ وكانت كفى والدة ابي سمرا بينهنَّ . فبعد ان نقدت المغربي اجرته سألته عن مستقبل اولادها فقال :

ان ولدك يوسف لا يعمل عملاً يذكر واما جرجس (١) فيستخدم عند الحكّام ويحببهم اليه واماّ ولدك هذا الذي تحملينه على كتفك فانه يكون رجلاً شجاعاً ونابغة من نوابغ وطنهِ فيشهد كثيراً من مواقع الحروب ويكون النصر حليفه ويملأ اسمه الارض . هذا ما نطق به المغربي وفيه مـا يورث العجب والاندهاش ومن الممكن ان يكون لهولاء المغاربة الذين يتخذون صناعة التنبوء حرفة للارتزاق حدة نظر وفراسة فكأنهم يقرؤون في جباه الاولاد ما في باطنهم فيعرفون الجبان منهم من الشجاع والكريم من اللئيم . وعلم الفراسة صناعةٌ يبحث فيها كثيرون من علماء هذا الزمان وكم من مرةٍ قرأنا في الكتب والمجلات ان الذي يكون عريض الجبهة يكون كذا ومن كان كبير الانف كان كذا وقد يصدق بعض الاحيان ظنهم ولكنّ علم الباطن لله وحده فهو العليم بالاسرار والقارئ في خفايا القلوب

وتنبأ مغربي آخر لابي سمرا بانه لايموت الا قتلاً في ساحات الوغى ولكنه كذب في نبوئته لان أبا سمرا لم يمت الا حتف انفه على فراشه ممتلئـاً من السنين والايام وهذا دليـل على كذب هولاء القوم المشعوذين فتأمل

(١) جرجس هذا اخو ابي سمرا استخدم عند الامير بشير الكبير وشهد حرب المختارة بين الامير بشير والشيخ بشير وقد القى في تلك المعركة القبض على الشيخ يوسف الحلبي احد مشائخ عقل الدروز وسلمهُ للامير بشير قاسم فاحسن مكافأته و بعد ثلاث سنوات من هذا الحادث توفي اعذب في عنفوان الشباب

٤ موت امه وزواج والده

ولم تمضِ سنتان من عمره حتى اصيبت والدته بداء الخناق (الدفتيريا) فماتت الى رحمة الله وكانت كفى على جانب من التقوى والتدين وكرم الاخلاق محبة لزوجها واولادها وقد اعتنت بتربيتهم في خوف الله وقد جاء موتها ضربة شديدة على ولدها ابي سمرا الصغير نعم انه بقي له والده ولكن لم يكن الوالد ليقوم مقام الوالدة في تربية الاولاد مهما عني بذلك فان الله قد وضع في المرأة صفة غريزية خاصة بها لتدبير المنزل وتربية الاولاد والنظر في حاجاتهم واما خيرالله فقام لدى اولاده مقام الوالدة الشفوقة . ولكنهُ بعد مضي سبع سنين من ترملهِ دعاهُ الشيخ حسن جنبلاط الى بعذران ليبني لهُ بيوتاً فيها فاضطرَّ اذ ذلك الى الزواج ثانيةً رغبةً منهُ ان يقيم لاولاده امرأة تخدمهم وتقوم لديهم مقام الوالدة وبعد زواجه بمدة يسيرة سافر الى بعذران وكان سفره هذا موجباً لحزن اولاده وخوفهم من خالتهم وقد حصل ما كانوا يتوقعونه فانه ما مضت برهة يسيرة الا واخذت تسئ معاملة الاولاد وتنكل بهم اشد التنكيل وكانت سيوف نقمتها عاملة بالاخص في أبي سمرا لنزوعه الى التمرد والعصيان ضد ارادتها فكانت تضربه

وتطرده من البيت حتى لم يعد له صبر على الاقامة معها فهجر بيت ابيه ولحق به الى بعذران

﴿ الفصل الثاني ﴾

١ ابو سمرا في بعذران

ولما وصل الى بعذران وقابل والده تعجب من مجيئه وسأله عن السبب فقص عليه ما جرى له مع خالته وتوسل اليه ان يغفر لهُ ويبقيهِ عنده فرق لهُ والده وصفح لهُ عمَّا اقترفه بحق امرأتهِ ونصحهُ ان يتصف بلين الجانب والوداعة ودماثة الاخلاق وألَّا يجعل الغضب يتسلط عليهِ فوعدهُ بذلك بشرط ان لا يعيدهُ الى خالتهِ فرضي وجعلهُ في خدمة الشيخ حسن الجنبلاطي حيث كان هو يبني لهُ بيوتًا كما ذكرنا

وعلى ذكر البناء نقول انهُ كانت في تلك الايام اجرة المعلم البناء غرشين ونصف واجرة الفاعل غرشًا واحدًا واما الولد الذي كان بسن ابي سمرا فلم تكن تتجاوز اجرتهُ عشر بارات وما ذلك الَّا لندور العملة ورخص المأكولات فكان مد الحنطة يباع بغرشين ومد الشعير بغرش وكانت العملة الرائجة في ذلك الحين منها قراطيس والقرطاس

يساوي خمسين غرشاً ومنها ذهبية من النوع المعروف بالمجهر والفندقلي ومنها فضية ونحاسية من المعروف باليوزلي واليوسفي وكل اصناف هذه العملة كانت اسلامبولية واما العملة الافرنجية فلم تكن رائجة بعد في بلادنا هذه . وكان الناس يومئذٍ في غبطة وهناء لا يشكون فقراً او عاذةً ولم يكن لهم مطمع في الاسفار وركوب الابحـار سعياً وراء المكاسب كما هو حالهم في هذه الايام

واماً ابو سمرا فانهُ اقام في دار الشيخ قاسم حسن جنبلاط الى بعد رجوع الامير بشير شهاب من مصر ومحاربته مع الشيخ بشير والشيخ علي جنبلاط اللذين انهزما برجالهما الى حوران كما سنذكر ذلك فيما يلي

٢ هرب الامير بشير شهاب الى مصر وعوده منها

نترك أبا سمرا في خدمة الشيخ قاسم حسن ولنسرد باختصار حوادث تلك الايام السياسية التي تعتبرها كمقدمة لدخول ابرهيم باشا ابن محمد علي عزيز مصر الى سوريا فنقول : انهُ في سنة ١٨٣١ عزلت الدولة العلية عبدالله باشا من ايالة صيدا وعينت مكانه درويش باشا والي الشام فقام هذا من دمشق قاصداً عكا مقر الولاية الصيداوية اذ ذلك ولما وصل جب جنين في البقاع بعث فاستدعى من بيت الدين الامير بشير شهاب والي جبل لبنان والشيخ بشير جنبلاط حاكم الشوفين

للمذاكرة معها في بعض الشؤون فحضر الشيخ بشير عند الامير وتفاوض معهُ فيما يجيبان بهِ درويش باشا فقال الامير : « اني لا احب مقابلة درويش باشا بل سرْ أنت اليهِ ومهما طلب منك فعده بايجابهِ » . فتوجه الشيخ بشير الى درويش باشا فاطلعه هذا على الفرمان الشاهاني الآمر بتوليتهِ على ايالة صيدا وخاطبهُ قائلًا : « اني قاصد عكا واخشى ان يعصى عبدالله باشا الامر فيلجئني الى حصار عكا وحشد القوات لقتالهِ واني اخاف من انَّك والامير بشير تتحزَّبان لعبدالله باشا ولهذا لست واثقًا بامانتكما » . فاجابهُ الشيخ : « اننا عبيدكم ولا نخالف لكم امرًا » فاجابهُ درويش باشا : « ان كان الامر كما ذكرت فارسلا عندي اولادكما بمنزلة رهن » فوعده الشيخ بالايجاب

ولما عاد الى الامير قصَّ عليهِ ما جرى واخبره بمطلوب درويش باشا فاجابهُ الامير سلبًا وابى ارسال اولاده على هذه الصفة ولما الح عليهِ الشيخ بالقبول قال لهُ : « ابعث انت ابنك الى درويش باشا واصدقهُ الخدمة واما انا فاني اختفي في الجبل مع اولادي واظل حليفًا لعبدالله باشا فان ساعدتهُ الاقدار اكون وسيطًا لرضاه عنك وان حالف التوفيق درويش باشا فانت شفيعي لديه » فتركهُ الشيخ وانصرف

وبعد ذهاب الشيخ انحدر الامير الى الجية الواقعة في اقليم

الحروب على ساحل البحر ومنها كتب الى ابراهيم اغا الجوهري أحد أغنياء صيدا ليرسل لهُ مركبًا يسافر فيهِ الى مصر فلبى ابراهيم اغا الطاب وصرف الامير حاشيتهُ بعد ان وهبهم خيلهم واسلحتهم قائلًا: ان عدت الى لبنان فانتم رجالي واعواني وان لم اعد فاسعوا وراء خيركم واعملوا ما فيهِ صالحكم . ثم سافر الى مصر مع ولديه امين وخليل وبعض اتباعه وكان كتب قبل سفره سندًا على نفسهِ للشيخ علي حسن جنبلاط اخي الشيخ بشير بخمسين الف غرش لانهُ كان في عازة الى المال فالشيخ علي المذكور اعدم السند وأرسل المبلغ للامير صحبة مبارك غنطوس الخوري من بكاسين (١)

وبعد وصول الامير الى مصر نال من العزيز محمد علي باشا كل رعاية واكرام ووعد بالمساعدة وكتب والي مصر الى الباب العالي بشأنهِ فورده فرمان برضى الدولة عنهُ وبرجوعهِ الى ولايته اللبنانية فلم يكتف الامير بهذا الانعام بل سأل العزيز ان يشفع بعبدالله باشا ليُعاد الى ولايتهِ فكتب محمد علي ثانيةً الى الاستانة يسترضي الباب العالي من اجل عبدالله باشا فورده الجواب مؤذنًا لهذا بالبقاء في عكا بدون

(١) هو والد المرحوم يوسف بك مبارك الخوري وجد المسيو نعمان خوري قنصل دولة فرنسا الفخيمة في الحبشة والمسيو نجيب خوري من كبار عمال التونسيين كان مدبرًا للشيخ علي جنبلاط

ولاية فكتب ثالثةً فورد الجواب بالعفو التام وباعادتهِ الى ولايتهِ فحمل الامير بشير الفرمان وودع العزيز بعد ان اجتمع فيهِ مرارًا ذاكره فيها عن احوال البلاد السورية وعن مقاصد ومآرب عرفت مغازيها ومعانيها فيما ولي من الايام وقفل عائدًا الى عكا فسلّم عبدالله باشا الامر السلطاني القاضي باعادة ايالة صيدا الى عهدتهِ كما كانت في السابق فسرَّ عبدالله باشا غاية السرور وبالغ في اكرام الامير وانعم عليهِ بخلعة الولاية على لبنان وصدر الامر بكف يد ابن عمه الامير عبَّاس اسعد الذي كان ولَّاهُ درويش باشا مكانه بمساعي الشيخ بشير

٣ حوادث الامير بشير والشيخ بشير

وبعد ان استتبَّ الامر للامير بشير طلب من الشيخ بشير مبلغ الف الف غرش ليدفعهُ الى محمد علي باشا لقاء المصاريف التي صرفها في سبيل الحصول على فرمان الرضى عن الامير وعن عبدالله باشا وتهدده بغضبه وغضب الوالي ان تأخر عن تأدية المطلوب فارتبك الشيخ بشير وقام من المختارة الى جباع الشوف وجمع اليهِ احلافه من دروز ونصارى يستشيرهم في العمل فارتأوا ان يبعثوا وفدًا من قبلهم الى بيت الدين لمخابرة الامير في الامر فسار الوفد واتى الامير وعرض عليهِ ان يفرض نصف المبلغ على الاهالي تخفيفًا عن الشيخ وان يدفع الشيخ النصف الاخر فرفض الامير قطعيًا اجابة الملتمس وابى تحميل الاهالي

هذه الضريبة التي قرر مع عبدالله باشا فرضها على الشيخ وحده فعاد الوفد حابطاً في مسعاه فلما رأى الشَّيخ ذلك ودع الاوطان وارتحل الى عكار مع حاشيته وفيما بينهم الشيخ مرعي الدحداح وبعد هجره البلاد استقدم الامير اليهِ الشيخ علي حسن جنبلاط ابن اخي الشيخ بشير وطيب خاطرهُ والبسهُ خلعة الولاية (تولية العهدة) وجعله شيخ المشايخ مكان عمه وقد اراد بذلك مكافأته على اعطائه الخمسين الف غرش التي بعث بها اليهِ قبل سفره الى مصر كما بينّا قبلًا وقد جعل الشيخ علي المذكور الشيخ محمد حسون ورد من قرية نيحا كاخياً (كاخية اي مستشار) عنده وجعل اقامتهُ في بعذران

٤ ثورة ضدّ الامير ورجوع الشيخ بشير الى لبنان سنة ١٨٢٥

وما سار الشَّيخ بشير الى المنفى الذي اختاره لنفسهِ الا واخذ أهل الوشاية يسعون في ايقاع النفور بين الامير بشير والشيخ علي حسن وكان الشَّيخ محمد حسون محبّاً للفتن والقلاقل ولما عرفتهُ امرأة الشيخ بشير بهذه الصفات استمالتهُ اليها واغرتهُ على خداع الشيخ علي سيدهُ ليخرجه من طاعة الامير ورضاه واول عمل اتاه الشيخ محمد ان زين للشيخ العلي السكنى في المختارة بدلًا من بعذران وما زال حتى اقنع الشيخ بنقل مقره الى المختارة متخذاً لذلك حجة حسن موقعها واتساع بنائها وغزارة مائها فلما استوطنها

سرت بذلك امرأة الشيخ بشير التي اكثرت من الزلفى اليهِ وحملته أخيراً بدهائها على الخروج من خاطر الأمير بشير وقد جاء ذلك وفق مرغوب كثيرين من الامراء اللمعيين ومشايخ آل عماد وغيرهم من طوائف الجبل من دروز ونصارى فانقسم الجبل الى حزبين قويين حزب ظلَّ اميناً للامير وحزب مضاد لهُ برئاسة الشيخ علي واتفق الحزب الاخير على استقدام الشيخ بشير من منفاه

٥ وقائع الامير مع الشيخ بشير

ولما عاد الشيخ بشير الى لبنان مرَّ بكسروان فتبعهُ بعض المشايخ الخازنيين والحبيشيين وسار بهم الى المختارة فاجتمع اليهِ احلافه وقاموا الى بتدين بجيش وافر ولما وصلوا الى الظهور فوق مقصف الامير امين اخذوا في اطلاق البنادق على سراي الامير فامر هذا ولده الامير خليل ان يخرج لقتالهم برجاله فقصدهم الى الظهور وواقعهم فانهزموا الى السمقانية وقتل منهم انفار وجرح عقيد رجال العرقوب علي العماد فحمله اتباعه الى كفرنبرخ

وبعد مضي يومين حدثت في بعقلين معركة دموية بين سكانها المنقسمين الى حلفين يزبكي وجنبلاطي اي بين آل حماده اليزبكيين وآل تقي الدين الجنبلاطيين فاستنجد الجنبلاطيون بالشيخ علي

جنبلاط فارسل لهم ليلًا مائتين مقاتل حتى يكونوا واياهم عدةً على
قتال الحماديين فشعر هولاء بقدومهم واستعدوا لحربهم بكل بسالة
وشجاعة وثبتوا في بيوتهم محاصرين ومما فعلوه انهم اشعلوا الاغطية
واللحف بعد ان صبُّوا عليها زيتًا ونشروهـا خارج بيوتهم فكانوا
يشاهدون العدو دون ان يشاهدهم وتمكنوا بواسطة هذه الحيلة من
الثبات امامهم الى ان وصلتهم نجدة من بيت الدين ودير القمر من
المشايخ النكديين فخرجوا اذ ذاك من بيوتهم ووثبوا على
الجنبلاطيين وثبةً شديدة فهزموهم الى الجديدة بعد ان قتلوا منهم
وجرحوا انفارًا

وبعد هذه الحوادث لم يأتِ الجنبلاطيُّون بحركة ما عدة ايام واما
الامير بشير فحينما رأى ان الخلاف بينهُ وبين احلاف الشيخ بشير
قد استفحل أمره كتب الى عبدالله باشا يستنصره على الاعداء ويستفز
غيرتـه فسيَّر اليهِ عبدالله باشا جندًا يبلغ عددهم الف وخمساية نفر
برئاسة ثلاث من الضباط وهم شمدين اغا ورجاله خمساية جندي
من الدالاتيـة وموسى اغا الحابس يرأس خمساية من الهنادة اي
المغاربة وابو زيد اغا يقود خمساية من الهوارة ولما وصلت العساكر
الى نهر الحمام قرب صيدا لاقاها الامير بشير الى السمقانية ونزل في بيت
الشيخ احمد العقيلي وارسل من يهدي جنود عبدالله باشا الطريق
فسارت من نهر الحمام الى غريفـة فمزرعة الشوف حتى بلغت حرش

الصنوبر شرقي الكحلونية تجاه الجديدة والمختارة فخرج الشيخ بشير والشيخ علي برجالهم الى سهول بقعاتا فوق الجديدة فهجم عليهم الامير برجالهِ من السمقانية وحاربوهم بكل بأس وشجاعة حتى هزموهم الى بيادر الجديدة وهناك اصيب الشَّيخ علي جنبلاط بجرح في فخـذه فجبن احلافه عن القتال وتاثرهم رجال الامير وطاردوهم الى اسفل الوادي حيث يجري نهر الباروك وانكفوا عن اطلاق النار عليهم واخذوا يقلبون الصخور العظيمة على المنهزمين فاماتوا منهم خلقاً كثيراً. ثم دخلوا الجديدة واحرقوها وساروا الى المختارة حيث وافتهم اليها العساكر من القاطع المحاذي ودخل الامير دار المختارة وتفرقت الجنود في البيوت فوجدوها خالية من السكَّان فنهبوها وتركوها قاعـاً بلقعاً . ولما عاد الامير الى بتدين امر بسمل اعين اقاربه الامراء فارس وعبَّاس وسليمان لاشتراكهم مع الشَّيخ بشير في المؤامرة ضده

٦ هرب الشيخ بشير الى حوران ثم القاء القبض عليهِ وسجنه في الشام

ولما دخلت الجنود مع رجال الامير بشير الى المختارة فرَّ الشيخ بشير منهزماً الى جزين فامر الامير ولده الامير خليل ان يحمـل عليهِ برجالـه ويجد في أَثرهِ حتى يطرده خارج البلاد فلبى الامير خليل الامر وسار الى جزين مع فرق من الجنود فلما شعر الشَّيخ بقدومهم فرَّ منها الى بـلاد حاصبيا فدخل الامير خليل جزين دون ان يلقى

مقاوماً ولما كان اهالي جزين كسائر البلاد منقسمين الى حلفين يشد أحدهما ازر الامير بشير والثاني ازر الشيخ بشير وزع الامير خليل العساكر على بيوت رجال الشيخ ولم يثقل على احلافه وبعد ان أقام الامير في جزين يومين كان في خلالها قد سيَّر العلم الى والدهِ الامير بانهزام الشيخ ورد الامر ان يلحق بهِ الى حدود ولايته فقام برجاله الى حاصبيا ونزل على اقاربه الامراء الشهابيين ذوي الاقطاع في تلك الجهات وبعث بالرجال في اثر الشيخ بشير الى مجدل شمس فوجدوه قد دخل حوران فانكفؤا عنهُ . واما الشيخ علي جنبلاط الذي ذكرنا عن جرحه في سهل بقعاتا فلم يقوَ على الهرب واختفى في مغارة بجوار قرية عرنا وما لبث اياماً حتى مات فعلم بهِ اهالي القرية فنقلوهُ من المغارة ودفنوهُ في قبرٍ هنالك

ولما وصل الشيخ بشير الى حوران جعل اقامته في قرية تدعى الصنمين فعلم بأمره والي الشام فارسل اليهِ ضابطاً اسمه يونس اغا من الدالاتية فخدعه وامنه ثم البسهُ خلعةً وانزله الى الشام مع اعوانه وفيما هم في الطريق أمر الضابط انفاره فسلبوهم خيلهم واسلحتهم وأركبوهم الكدش وساقوهم هكذا الى الشام فلما انتهوا اليها صدر أمر الوالي بقطع رأس الشيخ عبد السلام العماد امام باب السراي التي هي تجاه سوق القميلي فقتل واما الشيخ بشير واولاده والشيخ أمين العماد فاودعوا السجن في السراي

٧ الشيخ بشير في عكا وقتلهُ

وبعد ايام ورد امر من عبدالله باشا بارسال الشيخ بشير الى عكا فارسل محفوظاً وبعد ان وصلها بايام اصلح الشيخ امره مع عبدالله باشا ووعد بدفع الالف الف غرش المطلوبة منهُ مع زيادة مائة الف غرش اخرى فلما علم الامير بشير بحقيقة الامر كتب الى عبدالله باشا مستفسراً فورده الجواب ان ادفع كذا من المال او خلعتك عن ولاية الجبل فزعر الامير لهذا النباء وتيقن ان الشيخ بشير منصور لا محالة ان حاربه بسلاح المال فرجا عبدالله باشا ان يمهله مدةً ليتمكن فيها من جمع المال المطلوب منهُ فاجيب الى ما طلب . وفي غضون ذلك اسرع الامير لاجئاً في هذه الملمة ايضاً الى محمد علي باشا عزيز مصر وبعث اليهِ رسولاً يخبره عن طلب عبدالله باشا وعن عزمهِ على اخلاء سبيل الشيخ بشير فلما علم محمد علي باشا بنوايا عبدالله باشا سيَّر اليهِ سريعاً جوخداراً يحمل اوامره بوجوب قتل الشيخ بشير والشيخ أمين العماد فلم يكن لعبدالله باشا فرار من اجابة الامر فقتلهما شنقاً. وبعد ان اقام الجوخدار أي معتمد العزيز في عكا أربعة ايام استأذن عبدالله باشا وأتى بتدين يحمل للامير بشير كتابات من محمد علي باشا مع البشرى بقتل الشيخ بشير فانزلهُ الامير على الرحب والسعة وبعد ان قضى في ضيافتهِ خمسة عشر يوماً انصرف عائداً الى مصر حاملاً معهُ الهدايا

والتقادم للعزيز واماً عبدالله باشا فلم يعد يطالب الامير بالقرض الذي كان امرهُ بجمعهِ وبعد وفاة الشيخ بات الامير مطمئن البال من كل ثورة داخليَّة قرير العين في لذة من العيش صافية من كل كدر

الفصل الثالث

١ ابو سمرا في خدمة الامير بشير في بتدين . عظمة الامير بشير

بعد ان سردنا باختصار اخبار الامير بشير مع الشيخ بشير رجلي لبنان في ذلك الزمان نعود الآن الى الكلام عن صاحب الترجمة الذي تركناهُ في بعذران فنقول :

بعد قيام آل جنبلاط من لبنان جاء ابو سمرا بتدين وتقيَّد في خدمة الامير بشير . واماً بتدين فكانت سابقاً خلوة للدروز وكان الحاكم يُقيم في دير القمر ولمَّا تولَّى الامير بشير لبنان اشترى بيت الدين من شيخ عقل يدعى ابا علي البتديني وشرع يبني فيها دوراً وسرايات لسكنهِ وسكن مزارعيهِ وكان هذا الامير مغرماً في البناء فكان كل ما أنشأ داراً ووجد فيها عيباً هدمها ليبني أحكم منها صنعةً وأتمّ اتقاناً الى ان تجلَّت تلك السراي الفخيمة التي لم يضاهيها بناءٌ في سوريَّة في حسن هندستها وجمال وضعها . ومن الابنية التي شادها الامير

مقصف او (مصيف) لولده الامير امين واخر لولده الامير قاسم وثالث لولده الامير خليل ورابع لنفسه وبنى كنيسة للموارنة باسم القديس مارون هذا فضلاً عن الدور العديدة التي جعلها لسكن الخدم والحشم والضيوف . وقد اكثر من غرس الاشجار وانشاء البساتين والغياض وجلب اليها الماء (١) من نبع الصفاء المجاور عين زحلته وبنى مطاحن تعرف باسمه الى الان واخذ فصيلة من ماء بتدين الى دير القمر واخرى الى مرج بعقلين لريّ الاراضي

واما السراي الكبيرة فبعد ذهابه الى الاستانة وتوطنه فيها كتبها باسم امرأتهِ الست الشرية حسن الجهان وقد رزق منها ابنتين الست سعدى والست سعود ولهذا كان البعض يلقبون الامير بابي سعدى

ولما عادت الست حسن الجهان من الاستانة بعد وفاة الامير سنة ١٨٥٠ اعوزها المال فوهبت المقصف الخاص بزوجها الامير للمثلث الرحمات المطران بطرس البستاني الذي جعله كرسياً له وباعته قناة الماء ورتبت على سيادتهِ قداسات يقدمها لراحة نفس الامير وراحة نفسها بعد وفاتها وكانت عازمة على بيعه السراي الكبيرة لو لم يطلبها منها داود باشا اول متصرفي لبنان ويبتاعها منها لتكون مركزاً للحكومة اللبنانية وذكراً دائماً للامير بشير وعليه

(١) بدأ الامير بجر الماء سنة ١٨١٢ وانجز العمل سنة ١٨١٤ وفي هذه السنة بنى جسر الدامور

فاصبحت السراي من ذلك الحين ملكاً لحكومة لبنان . واما مصروف الامير بشير يوم دخل ابوسمرا في خدمته فكان مصروف ملك كبير فكان يعلق الف وخمساية علاقة يعني انه كان يوزع من حاصلاته يومياً علفاً لالف وخمساية راس خيل وينفق غرارة ونصف قمح وثلاث قفف ارز وقنطاراً لحماً وكانت الماكولات تحمل من المطابخ على رؤوس العكامة (خدمة المطبخ) الى القناقات والى البكباشية عدا عن الانفار الذين كانوا ياتون فياخذون خبزهم وجراياتهم من المطابخ واما فضلات الطعام فكانت توزع على الفقراء والمعوزين . وكان يبلغ حشم الامير وخدمه نحو الالفين وكان البكباشية من اعيان طوائف النصارى والدروز واما الانفار فكانوا من بلاد مختلفة وكان الامير ان سمع بذكر رجل شجاع وفارس باسل استقدمه الى خدمته واجرى عليه الجراية

٢ تربية ابي سمرا الحربية

واقام ابوسمرا في خدمة الامير بشير مدّة لا تقلّ عن ثلاث سنوات تعلّم فيها فنون القتال فشبَّ وربي كرجال ذلك العصر على نقل السلاح وركوب الخيل واحكام الضرب بالسيف واحسان الرماية بالرصاص حتى عدّ من أبرع أهل زمانه وكان كلّ مدّة اقامتهِ في بتدين يتمرّن على القواس حتى انهُ اتصل الى رمي الطير بالرصاص

وهو طائر واماً مهارته في احكام الضرب بالسيف فكانت عجيبة ومن جملة تفننه في هذا الفنّ انه كان يقطع ورقة السيكارة وهي فوق المسند بدون ان يثلم المسند وكان يرمي المنديل في الفضاء ويضربهُ بالسيف فيقطعه وكان يعدّ ايضاً من امهر الفرسان في ميدان الخيل وفي لعب الجريد المعروف ومن مهارته في ركوب الخيل انه كان يضع ريالاً مجيدياً تحت فخذهِ في ابتداء الميدان ولمّا كان يحوّل عن فرسه في انتهائه كان الريال المجيدي يبقى تحت فخذه كانه قطعة من لحمهِ . وما ذكرناهُ باختصار من مهارته في ركوب الخيل والقواس والضرب بالسيف كافٍ لبيان براعته وحذاقتهِ في هذه الفنون الجميلة وهذه المهارة مع شجاعته النادرة وبسالته الغريبة هي التي جعلته في منزلة رفيعة بين فرسان عصره وابطال زمانه

٣ ابو سمرا عند احمد باشا اليوسف (١) سنة ١٨٢٨

وكان أحمد باشا في ذلك الحين عند الامير بصفة كاخي أي مدبر

---

(١) هو احمد باشا اليوسف بن محمد بك اليوسف مفتي ديار بكر من قبيلة كرديَّة تعرف بالشياخنة حضر ابوهُ الى الشام واشتغل في تجارة الاغنام ونجح نجاحاً عظيماً ثمَّ تزوَّج بدمشق ورزق ولداً وهو احمد هذا وكان احمد باديءَ الامر يتاجر بتجارة والدهِ فدعاهُ الامير بشير الى خدمتهِ وأخذ يتقدَّم عنده حتى جعلهُ وكيلهُ ومعتمدهُ في الشام ولمَّا سافر الامير الى مصر أصحبهُ معهُ وبعد عودتهِ وهبهُ مجدل عنجر في البقاع . ثمَّ بعث بهِ ثانيةً الى مصر صحبة ولده الامير

فعرف أبا سمرا وأعجبته نجابته ومحاسنه فاستماله اليه وسأله ان يتقيد في خدمته لانه كان في حاجة الى رجل شجاع يقوم بوظيفة مناظر على

أمين ليحملا الهدايا للعزيز محمد علي باشا وبعد عودتهِ وهبهُ الامير في البقاع ايضاً قرية عيتنيت التي تركها ولده محمد باشا اليوسف ببدل مالي للسكان . ولمَّا انجد الامير بشير عبدالله باشا حين تمرد النابلسيون وشقوا عليهِ عصا الطاعة كان احمد باشا بين الرجال الذين نهضوا معهُ وقد تمت شروط الصلح عن يده كما نرويه في حينهِ . وسنة ١٨٤٠ دخل في طاعة الدولة العلية عن يد السرعسكر محمد عزت باشا الذي جعلهُ حاكماً موقتاً للشام وسلمهُ اسلحة ليوزعها على الرجال الامناء الصادقين في خدمة الدولة الذين يجدهم في طريقهِ وعزَّزهُ بحامية قويَّة وقد واقع الجنود المصرية وابلى في قتالهم بالقرب من قرية سعسع في جهات وادي التيم كما ذكر ذلك المؤرخ الفرنساوي اشيل لوريان في كتابهِ الموسوم (Les affaires de la Syrie صفحة ١٩٩) وبقي متسلماً في الشام نحو تسعة اشهر ثمَّ جعلهُ نجيب باشا والي الشام متصرفاً على حماة ولكن حسَّاده وشوا بهِ اليهِ فنفاه نجيب باشا الى ايجل في نواحي قونية وبقي في منفاه سنةً وتسعة اشهر الى ان ثبتت للدولة العلية استقامتهُ وصادق تعلقهِ بها فصدر امر سامٍ بالعفو عنهُ وانعم عليهِ بمائتي كيس تعويضاً ومكافأةً لخدماتهِ الجزيلة في جانب الدولة العلية ضدَّ المصريين ثم جعل كلار امين ومحافظ لركب الحج الشريف وبقي في مأموريتهِ هذه اربع عشرة سنة ثم نصب محافظاً على الچول من معان الى المدينة مدة ثلاث سنين ولمَّا كانت حادثة الشام المشئومة سنة ١٨٦٠ استقدمهُ فؤاد باشا المبعوث العثماني الخارق العادة وجعلهُ متصرفاً على حوران وقد استردَّ من الدروز والعرب المسلوبات التي نهبوها من نصارى دمشق بعد ان عانى في الامر أشدَّ الصعوبات وقد ثار عليهِ الدروز وبقوَّة الجنود المظفرة أخمد

أملاكهِ فاجابهُ ابو سمرا الى طلبهِ ولكنهُ اشترط عليهِ رضى الامير
بذلك فنال من الامير الاذن لابي سمرا بالاستخدام عنده وسافر

ثورتهم وقد قتل في تلك للثورة خطَّار بك العماد مع كثيرين من زعماء الدروز .
وبقي احمد باشا في حوران سنتين ثمَّ استعفى لاعتلال طرأ على صحتهِ وبقي
ملازماً لبيتهِ في الشام الى حين وفاتهِ سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٢ م) . وكان طويل
القامة نحيلها ذا نظر حادّ وانف طويل عظيم الدراية حسن السياسة شجاعاً مهاباً
عالي الهمة كريماً صادقاً وقد رثاه الشيخ ابو النصر الطرابلسي في ابيات نقشت
على ضريحهِ في مقبرة الدحداح في دمشق وهي :

يا مزنةَ الغفران جودي تفضلًا ... على جدثٍ فيهِ المكارم والندا
بهِ قد غدا بدر الوزارة قافلًا ... وكانت بهِ الدنيا تضيء اذا بدا
ألا انَّ بحر الجود قد غاص بالثرى ... وكنَّا به نروي الفؤاد عن الصدا
لقد غاب عنَّا احمد اليوسف الذي ... ترحَّل عن دار الظلال الى الهدا
على مثلهِ تبكي العيون تأسفاً ... دماء ويُعمي الطرف حزناً مسهدا
فيا راحلًا قد أودع القلب حسرةً ... يعزُّ علينا ان نراك موسدا
فلو كان يُفدى بالنفوس من الردى ... سمحنا بما نهوى وكنَّا لهُ فِدا
لقد جاور الرحمان في دار قبرهِ ... وفي جنة الفردوس حلَّ مخلدا
فجود اله العرش ارخت دافقاً ... برحمتهِ والعفو قد حفَّ احمدا

ولقد وُلد لاحمد باشا اليوسف ولدان هما محمد باشا ومحمود بك فمات
هذا قائمقاماً في البقاع واما محمد باشا فتولَّى مناصب عديدة من مناصب الدولة
نذكر منها متصرفية حوران وعكَّا وحماة وطرابلس ونال رتبة روملي بكلربكي
وحاز على النشان العثماني والمجيدي من الصنف الثالث وتوفي الى رحمة الله سنة

معهُ الى الشام وأقامهُ مديرًا لبيتهِ وناظرًا على أملاكهِ وقد أحبَّ أحمد باشا مع اهل بيتهِ أبا سمرا محبةً هي أشبه بمحبة الوالد لولده منها من محبة المخدوم للخادم وقد اتصل هذا الى أولاده وكان محمد باشا اليوسف ابن أحمد اغا يعتبر أبا سمرا اعتبارهُ لمربيهِ . وأمَّا أملاك احمد باشا فكانت في عيتيت والشميسة وكامد اللوز وخربة روحا ومجدل عنجر وبكا وكفريبوس الخ . فكان ابو سمرا يجول في هذه القرى ويراقب الفلاحين ويناظر الاشغال ويعود الى الشام فيرفع الى مولاه التقارير الوافية عن أحوال زراعته ونظرًا لما كان متصفًا بهِ من الشجاعة أخذ اسمه يزيد اشتهارًا في الشام وفي القرى المشار اليها حتى أصبح يُشار اليهِ بالبنان وكان ذلك يزيدهُ جراْةً واقدامًا وصدقًا في خدمة احمد باشا الذي اتَّصلت معزتهُ لهُ واعتقادهُ بقدرتهِ على استنابتهِ في فضّ المشاكل . وقد علت منزلتهُ في القرى التي ذكرناها حتى هابهُ كل من عرفهُ وكانت صفاتهُ الحسنة ومزاياهُ الشريفة تحبب النَّاس اليهِ فتنقاد لرأيهِ وهذا ما جعل نفوذهُ عظيمًا في الناس وهذا النفوذ هو الذي مهد لهُ سبيل الزعامة على الشعب في ثوراتهِ ومناوشاتهِ ومعاركهِ التي سنفصلها في حينهِ . وممَّا هو حريٌّ بالذكر

١٨٩٧ وولد لهُ أولاد منهم صاحب السعادة عبد الرحمن باشا محافظ ركب الحج وصاحبي العزة رشيد بك واحمد بك قائمقام النبك والثلاثة موصوفون بتعلقهم الشديد بالدولة العلية واخلاصهم الخدمة في جانبها

ان أبا سمرا لم يغفل حين اقامته في الشام عن المحافظة على واجبات ديانتـه المسيحيّة وعن تتميم فرائض العبادة من مثـل الاعتراف والمناولة واستماع القداس في ايّام الآحاد والاعياد

٤ ابو سمرا في حرب نابلس سنة ١٨٢٩ — ١٨٣٠

هنا تبتدئ حياة أبي سمرا الحربيّة ومن تاريخ هذه الحرب عرف في لبنان انّ رجلًا يدعى أبا سمرا فتى حربٍ وجهاد وبطل كفاح وجلاد . وخبر هذه الحرب النابلسيَّة هو ان سكّان تلك البلاد شقّوا عصا الطاعة على عبد الله باشا الوالي وأبوا ان يدفعوا الاموال الاميريّة فحمل عليهم الوزير سنة ١٨٢٩ برجالهِ وحاربهم مدّةً ولكنّهُ لم يقوَ على التنكيل بهم فاستنهض همة الامير بشير وسألهُ ان ينصرهُ باللبنانيين البواسل فجمع الامير فرسان البلاد وسار بهم سنة (١٨٣٠) الى نجدة عبد الله باشا وكان أحمد باشا اليوسف فيمن نهض معه فاستأذنهُ أبو سمرا بمرافقتهِ فأذن لهُ . وكان كأنَّ بهِ دافعٌ يشوّقهُ الى الحرب والقتال ولمّا وصل الامير الى جبل نابلس لاقـاهُ النابلسيّون برجالهم والتحم بينهُ وبينهم القتال وتوالت المعارك في عرابة وعجة طولوزا وغيرهما فدحرهم اللبنانيون وابلوا في قتالهم بلاءً حسنًا فانهزموا الى قلعة سانور فحاصرهم اللبنانيّون الصناديد وضايقوهم اشدّ المضايقة وقطعوا عنهم الذخر والمؤَن وقد جرت امام القلعة مناوشات

عديدة كانت تعود دائمًا بالخسارة على الاعداء وكان ابو سمرا موضوع اعجاب الجميع ببسالتهِ وقد أَخذت منهُ الحماسة في أحدى المعارك مأخذها فوثب في مقدمة الرجال على نفر من النابلسيين ففتك بزعيمهم غير هيَّابٍ برصاصهم وأَخذ رأْسهُ وجاءَ بهِ الى المعسكر فرماهُ امام الامير بشير فسرَّ منهُ سرورًا بليغًا وكافأَهُ على بسالتهِ فكان ذلك داعيًا الى ازدياد شجاعته

ودام حصار القلعة ثلاثة أَشهر فجبن اخيرًا النابلسيُّون عن متابعة الحرب بعد نفاذ ذخائرهم وراسلوا الامير في طلب الصلح فبعث اليهم الامير احمد باشا اليوسف وأَنابهُ في عقد شروط المسالمة فدخل احمد باشا وبصحبتهِ أَبو سمرا واجتمعا برئيس العصاة المدعو حسين عبد الهادي مع غيرهِ من الزعماء من قبل عشائر البلاد النابلسيَّة كآل طوقان وجرار وبرقاوي وعبد العال ودحيش وأَبي غوش وغيرهم وقد تمَّ عقد الصلح على ان يسلم النابلسيُّون عن يد الامير اسلحتهم لعبدالله باشا وان يهدموا القلعة فارسل عبد الله باشا من هدم القلعة ولم يبقِ فيها حجرًا على حجر ويزعم البعض انهُ أَمر بدكّ أَساساتها ثم فلحها وزرعها شعيرًا وقد فقد اللبنانيُّون سبعين فارسًا من فرسانهم وفقد النابلسيُّون نحو المائتين من رجالهم

الفصل الرابع

١ ابراهيم باشا في سوريا

بعد عودة ابراهيم باشا مع جنوده من نصرة الدولة في حربها مع اليونان وتحطيم عمارته في نفارين (٢٠ تشرين الاول سنة ١٨٢٧) من اساطيل فرنسا وانكلترة وروسيا اخذ والده محمد علي باشا عزيز مصر يثقل عواتق المصريين بالضرائب الفادحة لانفاق الاموال في تعزيز الجندية البرية والبحرية وطفق يجمع الرجال الاشداء والاقوياء ليدخلهم في الجيش فتعطلت الزراعة مورد الرزق في مصر واصبحت البلاد تئن وتشكو من عسر الحال واستنزاف الاموال وارکن كثير من الفلاحين الى الفرار من الاوطان وهجر الديار الى حيث يجدون راحةً وهناء وقد هاجر نيف وستة الاف فلاح الى عكا فانزلهم عبد الله باشا على الرحب فكبر الامر على محمد علي ووجه الى عبد الله باشا رسولاً يطلب فيه اعادة المهاجرين فاجاب عبدالله بان المصريين لما كانوا عثمانيين من تبعة الدولة العلية فلهم الخيار في السكن حيثما شاؤوا في اراضي الدولة بلا معارضة او مقاومة . فغضب محمد علي واتخذ رفض عبد الله باشا في اجابة طلبه حجة ليحمل عليه برجاله فبعد ان اتمّ حشد العساكر سيّرها بقيادة ولده ابراهيم باشا المشهور الى سوريا ففتحها بعد مواقع عديدة ليس من شأننا الدخول في

تفصيل اخبارها وسلمت عكا بعد حصار ستة اشهر (في ٢٧ ايار سنة ١٨٣٢) واخذ عبد الله باشا اسيرًا الى مصر فلما وصلها اكرمه محمد علي واخلى سبيله . فانطلق الى الاستانة واقام فيها مدة ثم جاء لتادية فريضة الحج وقضى في مكة سنتين وتوفي فيها . وقد عقد الصلح بين الدولة العليّة والحكومة المصريّة وانعم جلالة السلطان على محمد علي بفرمان الولاية على كريت وبعد ذلك عاد ابرهيم باشا الى لبنان وشرع في تحسين ادارة البلاد بدون ان يغفل لحظةً عن تعزيز الحصون والمعاقل وتشييد الاستحكامات القويّة لصدّ كل عداء وقد كان مرشدًا ومشيرًا لهُ في تدبيره كما كان لهُ عونًا وناصرًا في المعارك سليمان باشا الفرنساوي المعروف بالكولونل سيف وبعد ان استتبّ الامن والنظام في سوريا هبّت فيها الحركة التجاريّة وأخذت تتقدّم في العمران وترفل بحلل الطمانينة وبات لبنان في راحة الى سنة ١٨٣٥

٢ ثورة الدروز سنة ١٨٣٥

وفي هذه السنة ابى الدروز وعرب البادية المقيمون في انحاء حوران التجنُّد في الجنديّة المصريّة فشقُّوا عصا الطاعة ورفعوا راية العصيان ضدّ من أراد سلبهم حريّتهم وامتيازاتهم القديمة فتحصنوا في معاقل اللجا الطبيعيّة المنيعة فسيّر اليهم شريف باشا والي الشام العساكر لقتالهم فتوغّل العصاة في اللجا فلحق بهم الجنود متعقبين

وتاهوا في تلك المجاهل فاطبق عليهم الدروز من كل جانب وسحقوهم سحقًا بعد ان قتلوا منهم نحو عشرة آلاف جندي مع قائدهم محمد باشا وكثير من ضبَّاطهم واستولوا على أربعة مدافع وقتل من الدروز والعرب احلافهم الف رجل

٣ ابو سمرا يحمل كتابة الى الامير بشير

فلمَّا بلغت أخبار هذه الموقعة المكدرة مسامع ابرهيم باشا وهو في زحله أتى الى الشام مسرعًا واجتمع بشريف باشا الوالي وتداول معهُ بشان هذه الحوادث فقررا ان يرسلا الى الامير بشير رسولًا يحمل اليه خبر انكسار العساكر ويستفزَّا همتهُ لينهض برجال لبنان لنصرة الجنود على الدروز ويشدّد التنبيهات على دروز لبنان بوجوب الخلود الى السكينة وملازمة امكنتهم مع تحذيرهم من شرّ العاقبة ان ذهبوا لنجدة بني طائفتهم وكتب ابرهيم باشا الى الامير انهُ سيوزع على الموارنة ثلاثين الف بارودة مع التعهد لهم بان تكون ملكًا لهم ولاولادهم من بعدهم ولمَّا كان لا يرغب ان يرسل الكتابة للامير صحبة الجند خشية من دروز وادي التيم وخوفًا من ان يتعرَّضوا لهم في الطريق فكر في ارسالها صحبة رجل لا يشتبه بهِ فعرض شريف باشا هذه المأموريَّة على كثيرين فلم يجسر أحدٌ منهم على قبولها اخيرًا استدعى احمد باشا اليوسف وكيل الامير وفوَّض

اليهِ امر ارسال الكتابة . فحالاً هذا استدعى ابا سمرا وعرض عليهِ السفر الى الامير فاجابهُ الى طلبهِ فأتى بهِ احمد باشا الى شريف باشا فسرَّ منهُ كثيراً وأنعم عليهِ بخمسين طبريَّة (عملة مصريَّة توازي قيمة الواحدة منها تسعة غروش) ثمَّ عاد الى بيت أحمد باشا وتقلَّد بالسيف وتقل القرابينة والبارودة والطبنجات وجعل الكتابة في باطن السرج وامتطى صهوة الجواد بعد ان اتكل على الله وقام من الشام الساعة التاسعة عربيَّة ليلاً وجعل طريقهُ على خان ميسلون فاشرقت الشمس وهو في فم وادي بكّا عند عين المنتنة وهناك لقيهُ اربعة من قطَّاع الطرق فأوقفهُ عقيدهم الشيخ حسن داهوك من ينطا وخاطبهُ قائلاً: مَن أنت ؟ ـ ابو سمرا غانم البكاسيني . ـ أين تقصد ؟ ـ عيتنيت لبيع حاصلات احمد باشا . ـ ماذا تعلم عن حوادث الشام ؟ ـ ذبح الدروز الجنود المصريَّة في حوران ذبحة هائلة ـ اذاً أنت تحمل كتابة الى الامير بشير ؟ ـ كلَّا بل اقصد عيتنيت ـ فلم يصدّق الشيخ قولهُ وأخذ يفتشهُ آملاً ان يجد معهُ كتابةً فلم يعثر على شيء لانهُ كان كما قدمنا قد جعل الكتابات في باطن السرج . وبعد هذا تركه في سبيله وانصرف الى حلوى حيث كان يقيم رجاله واخبرهم بما كان من مقابلتهِ لابي سمرا فلاموهُ لعدم التعرُّض لهُ لانهم كانوا موقنين انهُ يحمل اخباراً للامير بشير فقاموا من ساعتهم وسعوا في اثرهِ الى ان أدركوهُ في مدخل الوادي في آخر مرج ينطا فلمَّا دنوا منهُ صاح بهِ

أَحدهم ان يقف مكانه او يقتل فلمَّا رأى كثرة عددهم أَسرع مجدًّا في السير فجروا خلفه ولمَّا كادوا ان يقتربوا منهُ رأى ان المدافعة في مثل هذه الحال اولى من الفرار فوقف في وجههم وصاح بهم صيحة عظيمة ورماهم بالنَّار فاصاب الرصاص احدهم وجندله على الحضيض يختبط بدمهِ فاهتمَّ بهِ ذووهُ برهةً اغتنم فيها أَبوسمرا الفرصة للفرار ولمَّا ثابوا الى نفوسهم جدُّوا في اثره ثانيةً وهم يطلقون عليه النار ولمَّا كان هؤلاء الرجال من ينطا والمحيثة انضم اليهم البعض من سكَّان هاتين القريتين وظلوا يطاردونهُ حتى دخل قرية عيثي فهناك توارى عن ابصارهم واختفى فعادوا على اعقابهم ثمَّ داوم السير الى خربة قنافار الواقعة على الشاطي الغربي من نهر الليطاني وبعد ان اخذ لنفسهِ نصيبًا من الراحة وعلم ان الامير في درب السين استأنف السير مارًّا على الثغرة فبعذران فحارة الجنادلة فمرج بسري فدرب السين وقد وصلها الساعة الحادية عشر مساءً فوجد الامير في الصيد فانتظرهُ الى ان عاد ولمَّا علم الامير بوجودهِ استقدمهُ اليهِ ولمَّا مثل بحضرته رحب بهِ كثيرًا وامر لهُ بالجلوس وبالچبوق والقهوة ثم سلَّمه ابوسمرا الكتابة ففضَّ ختامها وقرأَها وكان في مجلسه المعلم بطرس كرامة وحسين السمان وحمد البيك من أَعيان المتاولة من عشيرة علي الصغير فأَمرهم بالانصرف ثمَّ مال الى ابي سمرا وسأله ان يحدّثهُ باخبار الشام وحوران مفصَّلًا فسردها لهُ ولم يبقِ على شيءٍ الَّا وافادهُ عنه ثمَّ اخبرهُ عمَّا

جرى لهُ في الطريق فأثنى على شجاعته كثيرًا ولمَّا همَّ بالانصراف سألهُ الامير عن وقت خروجهِ من الشام فافاده فتعجَّب الامير من سرعته بالسير لانه قطع المسافة بين الشام ودرب السين باربع عشرة ساعة بينما ان المسافة هذه لا تقلّ على المسافر العادي عن ثلاثين ساعة . وقبل انصرافه من حضرة الامير امرهُ ان يستريح يومين وأوصاه الَّا يشيع شيئًا عن سبب مجيئهِ من الشام وان يكتم الامر خفيًّا عن النَّاس فامتثل امره

وبعد ان قضى يومين في درب السين استقدمهُ الامير اليهِ وأوصاهُ الَّا يعود في الطريق التي سلكها في مجيئهِ بل قال لهُ ان يسير الى عنجر ومنها الى معضر فالزبداني وحرَّصهُ ان لا يسرع في السير كما فعل حين مجيئه لئلا يصيبهُ او يصيب حصانه ضررًا يؤَخر وصولهُ الى الشام ثمَّ سلَّمه الجوابات وانعم عليهِ بخمسين ظريفة (تساوي قيمة الواحدة منها ثلاثة غروش) فركب ابوسمرا جواده وسار الى سُنَّية فعيتنيت فالزبداني ومنها توجه الى الشام فوصلها دون ان يلقى في طريقهِ ما يخشى فلمَّا دخل دار احمد باشا لاقاهُ بالترحاب ثمَّ جاء بصحبته عند ابرهيم باشا وشريف باشا فرحبا بهِ كثيرًا وأثنيا على شجاعتهِ وبسالتهِ وانعم عليه ابرهيم باشا بمائة خيريَّة وبجواد عربي كريم

٤ خلاصة الحوادث الدرزيَّة المصريَّة سنة ١٨٣٥

وبعد ان اطلع الامير بشير على كتابات ابرهيم باشا نهض الى بتدين وطفق يوزّع الاسلحة (١) على النصارى ويعدّهم للقتال ويهيئهم للنزال وبعد ذلك سيَّر اللبنانيين الى الشام بقيادة حفيديه الامير مجيد والامير محمود ولما دخلوا الشام بعث ابرهيم باشا الامير محموداً مع رجاله الى الصفا فواقعوا العرب المقيمين هنالك (٢) وبددوهم وانهزم الدروز الى اقليم البلان فلحقتهم العساكر المصرية الى هنالك فانكسروا امامهم الى شبعا فوادي العجم وهنالك تواقعوا وتلاحموا ففاز المصريون وسلّم عقيد الدروز شبلي (باشا) العريان لابرهيم باشا ودخل المصريون راشيا وعاد اللبنانيون الى بلادهم. ولكنه لم تمضِ مدة لعودة النصارى الى بلادهم الَّا وعاد الدروز الى شقّ عصا الطاعة واجتمع دروز اقليم البلَّان ودروز حوران وفاجأُوا العساكر المصرية في راشيًّا وحاصروهم في سراي الامير افندي شهاب وقطعوا عنهم الذخر

(١) كان ابرهيم باشا أمر بجمع سلاح النصارى في جبل لبنان سنة ١٨٣٤ فجمع بدون مقاومة ولكنه اضطرّ ان يعيده اليهم لينجدوه على الدروز ومن ذلك الحين وقعت العداوة بين الطائفتين المارونية والدرزية ولم تنتهِ الا بحادثة سنة ١٨٦٠ المشئومة

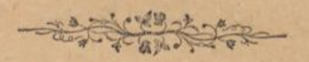
(٢) الَّا ان اللبنانيين اصابتهم عند رجوعهم من قتال العرب شدة فقاسوا من الجوع والبرد اهوالًا ومات منهم عدد غفير

والمؤونات ودام الحصار عشرة ايام لم يتمكن المصريون فيها من اخبار ابرهيم باشا الذي كان وقتئذٍ في زحله عمّا هم عليهِ من الضنك والشدَّة . فاضطرُّوا أخيراً الى الخروج من السراي ليفتحوا لهم ممرّاً بين صفوف الاعداء بحدّ الحسام . فخرجوا يبتغون الفرار والنجاة الى زحله فتأثرهم الدروز بعددهم الوافر وشطروهم الى شطرين الشطر الاول انهزم الى جهة المحيدثة والشطر الثاني الى وادي ابي عباد فالأولون وكان عددهم نحو ثلاثمائة جندي ونيف اطبق عليهم الاعداء من كل جهةٍ وذبحوهم عن آخرهم والآخرون لاقاهم الدروز الى وادي ابي عبّاد واماتوا عدداً غفيراً منهم وظلُّوا يعملون السيف في اقفيتهم حتى وصلوا الى قرية الخيارة وهنالك وصلتهم نجدة من زحله فاشتبك القتال بين الدروز والمصريين مجدداً وكاد النصر يتم للدروز لو لم يقتل ابو دعيس عبد الصمد من عمّاطور احد زعمائهم فانحلَّ عزمهم وانفرط عقدهم وانهزموا امام المصريين فارّين الى اراضي راشيّا وعيحا

ولمَّا رأى ابرهيم باشا ما حلَّ بجنودهِ استنجد الامير بشير ثانيةً فجمع هذا الموارنة وارسلهم صحبة الامير محمود ابن الامير خليل ومحمود بك الزرخلي الى جسر جبّ جنين في البقاع وسار ابرهيم باشا بالجنود المصريَّة من زحله الى عيحا وخرجت حامية الشام الى وادي بكّا وحمل الجنود المصريَّة والموارنة على الدروز

حملةً شديدة وضايقوهم من جهات ثلاث فانهزموا الى جوار ينطا
وحلوى وهنالك اطبق عليهم المصريّون وفتكوا فيهم فتكًا ذريعًا
وقتلوا منهم سبعماية رجل مع عقيدهم الشيخ نصر الدين العماد وفرَّ
الباقون متفرقين مختفين بين شقوق الارض وقد كلف الأمير محمود
أبا سمرا الذي كان مع رجال لبنان بالذهاب الى محل المعركة لعدّ القتلى
فعدَّهم ووجدهم قد بلغوا السبعماية قتيل وقد عرف بين القتلى الشيخ
نصر الدين عماد . وقد سرَّ ابرهيم باشا من النصر الذي حازه على
العصاة وكتب الى الامير بشير يبشرهُ ويثني على بسالة الموارنة وقد
شوهد من قساوة ابرهيم باشا ما يعجز عنهُ الوصف فانهُ كان
يأمر بالقاء القبض على الدروز وكانوا كل ما بلغوا العشرة يشدُّون
الواحد الى الآخر ويحرقون بالنَّار . هذا ما كان يفعله ابرهيم باشا
الذي شاع عنهُ في بادئ الامر انهُ رسول المدنيـة في سوريا وكأَن
ثورة الدروز قد غيَّرت اوصافه وأُصيب في عقلهِ ومن ذلك الحين
أَخذ يعامل السوريين بالجور ويسومهم الذلّ ظنًّا منهُ ان سياسته
هذه هي الصالحة في لبنان وسوريا لتأْييد سلطته . ولم يكن ذلك
الّا ليزيد الدروز عنادًا ويوغر صدورهم عليه فقام رؤساؤهم
وشيوخهم واعيانهم لا بل عامتهم قيامةً واحدة في طلب القتال
أَخذًا بثار خيرة شبَّانهم الذين فقدوا امَّا في الحرب وامَّا في الحريق
ونادوا بوجوب متابعة الحرب رغمًا عمَّا حلَّ بهم من الكوارث وانتابهم

من الشدائد فاحتشدوا في شبعا وملأوا الفضاء بعددهم فكتب ابرهيم باشا الى الامير خليل الذي كان ينتظر أوامره في حاصبيًّا ان ينتقل برجاله الى شبعا لمهاجمة الدروز ففعل وتواقع الدروز والموارنة واقتتلوا قتالًا شديدًا أسفر عن فوز الموارنة وانخذال الدروز وقد قتل من رجال الامير جماعةٌ منهم الشيخ فضل الخازن (١) وظلّ الامير خليل يطارد الاعداء الى اقليم البلّان ثمَّ التقت العساكر المصريَّة بشرذمة منهم في وادي العجم فذبحتهم واسرت زعيمهم الشيخ حسين بن امين بن علي جنبلاط ولمَّا عاد ابرهيم باشا الى الشام امر بشنقه فشنق وأخلد الدروز من بعد ذلك الى السكينة بعد ان أعيتهم الحيل في مقاومة المصريين والموارنة وبات الناس في راحةٍ من الحروب والمناوشات



(١) والد الشيخ قعدان بك الخازن اول قائمقام على قضاء جزين بعد نظام لبنان الاخير وجدّ الشيخين فيليب وفريد الخازن صاحبي جريدة الارز . وقيل انهُ لمَّا أغار على الدروز بجوادهِ وصار على مقربةٍ منهم حرن جوادهُ فأدركهُ الاعداء وتناولوهُ على رؤوس الحراب

الفصل الخامس

ابرهيم باشا والدولة العلية والدول الاوربية

لم يتنفَّس ابرهيم باشا الراحة بعد الثورة الدرزيَّة الَّا وعاد يتأهب لنزال مَن هم أَشدّ منهم قوَّةً واكثر عددًا أعني بهم جنود الدولة العلية العثمانية فأخذ يحشد الجنود على تخوم ولايتهِ وسيَّرت الدولة جنودها بقيادة حافظ باشا لقتاله فالتقى الجيشان في مدينة نصيبين وجرت بينهم معركة دمويَّة هائلة (٢٤ حزيران سنة ١٨٣٩) فاز فيها المصريُّون أتمَّ الفوز (١) وبعد ستَّة ايام من هذه المعركة توفي السلطان محمود وخلفه على الاريكة العثمانيَّة السلطان عبد المجيد وجعل صدرًا أعظم خسرو باشا أشدّ خصوم محمد علي باشا . وفي تلك السنة ١٨٣٩ خان محمود باشا الدولة وقاد الاسطول العثماني الى الاسكندريَّة وسلَّمه لمحمد على باشا في ١٤ ايلول . وكان مؤلفًا من خمسة وعشرين قطعة بين كبيرة وصغيرة فقبل محمد علي هذه الهدية

---

(١) كان في الجيش العثماني الجنرال مولتــك الالماني المشهور الذي تولَّى القيادة العامَّة على الجيوش الالمانية في الحرب السبعينية المشؤومة التي دارت رحاها على فرنســا وقد انهزم في موقعة نصيبين امام الجيوش المصريَّة التي كان يقودها الجنرال سليمان باشا الفرنساوي (الكولونيل سيف)

بسرور لا مزيد عليهِ وظنَّ ان الدهر سالمهُ غير ان دول اوربا ما خلا فرنسا استقبحت عمل محمود باشا الخائن فقامت كلهــا تطالب محمد علي بردّ العمارة وقرَّرت ارغامه على الطاعة لمتبوعهِ السلطان الاعظم وكان من نتيجة المؤتمر الذي عقدته في الاستانة وصادقت عليه في لوندرة تخويل انكلترة والنمسة الحقّ بارسال دوارعهــا الى سوريا وتحريض سكانها على العصيان ضدّ المصريين وسمح للمراكب الروسيَّة بعبور مضيق الدردنيل للاشتراك مع انكلترة والنمســة في المظاهرات العدائية ضدّ مصر . ومن ذلك الحين أخذ عمَّال الدولة العليَّة مع عمَّال الدول المتحــالفات يوغرون صدور اللبنانيين على المصريين

٢ لماذا ثار اللبنانيون على ابرهيم باشا

كثيرًا ما يسأل النَّاس قائلين لماذا ثار اللبنــانيُّون على ابرهيم باشا مع انَّهُ اشتهر عنــهُ انهُ سار في البــلاد على منهج العدل والاستقامة واستتبَّ الأمن في ايامه وساوى الرفيع والوضيع والمسلم والنصراني في الحقوق والامتيازات وكفَّ المظالم وضرب على أيدي العمَّال المستبدين ورتعت البــلاد في مرتع الرغد والرفاه ؟ اليك الجواب على ذلك : نعترف لابرهيم باشا بانه خوَّل المسيحيين في سوريَّا امتيازات لم ينــالوها في ايام المأمورين السابقين ونقرّ بان

الأَمن ساد في هذه الديار وقلَّ تعدّي قطّاع الطرقات على السابلة ولكنهُ من جهة اخرى كان يضيّق عليهم بما استنبطه من الوسائل لزيادة موارد خزينتهِ قياماً بالنفقات البليغة التي كانت تقتضيها حروبه الكثيرة وقد فرض على الاهلين مالاً سماهُ « الفردة » يؤخذ من كل فرد من افراد الرعية من البالغين الثمانية عشرة الى الستين من اعمارهم وكان هذا المال عبارة عن ١٣ جزء من مدخول كل انسان لا يتجاوز حدة الخمسماية غرش للغني والخمسة وعشرين للفقير وكان الموظفون الملكيُّون والعسكريُّون ورجال الدين معفيين من دفعهِ . ولمَّا جمعت الفردة من اللبنانيين سنة ١٨٣٩ و ١٨٤٠ بلغ عدد الدافعين من الموارنة ٧٧٥٨٩ ومن الدروز ١٨٣٢١ ومن الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ٨٠٢٩ ومن المسلمين ٢٩١٧ ومن المتاولة ٢٣١١ ومن اليهود ٥٧٥ ومن النور ٣٦٥ فيكون مجموعهم ١١٠١٠٧ انفس وخلا هذه الضريبة التي كان يعدها اللبنانيون باهظة كانت ضريبة أُخرى تعرف « بالشونه » وهي عبارة عن مجموع غلال من حنطة وشعير وزبيب وسمن وخلافه تؤخذ من كل بلد وقرية بطريقة نسبية مؤونة للجيش المصري . والمظلمة الثالثة التي كان يئن اللبنانيُّون تحت اثقالها والتي لم يتعودها السوريُّون من قبل كانت السخرة فكان يكلفهم حفر معادن الحديد والفحم الحجري في قرنايل قرب حمَّانا باجرة طفيفة تقلّ عن ثلث اجرة العامل الاعتيادية

وكان يسخر دوابهم الى انحاء شتى فيقضي المكاري والجمَّال والحمَّار شهرين أو ثلاثة في ديار الغربة من مصر الى اطراف الفرات وقد كانت تجئ هذه السخرة أحيانًا في زمن الزراعة والفلاحة فكانت تصيب الفلَّاح من جراء ذلك اضرار جسيمة حتى ان كثيرين كانوا يذبحون دوابهم وبهائمهم فرارًا من هذه السخرة الشاقة . وكان ينزل بهؤلاء المساكين العقابات الصارمة فكان يأمر بشنق من يفرّ من السخرة ارهابًا لغيره

هذه كانت حالة البلاد مع الحكومة المصريَّة وهي كافية للشكوى باعثة الى التذمُّر ومع ذلك كان اللبنانيُّون يتحمَّلون هذه الاثقال بالصبر والتسليم ولمَّا حالفت الدول الاوربيَّة دولتنا العليَّة واتفقت معها على استخلاص سوريا من يد الحكومة المصريَّة امر محمد علي ولده ابرهيم باشا ان يجمع سلاح النصارى في جبل لبنان وان يدخلهم في الجندية فكبر الامر على الموارنة وتحالفوا مع الدروز الذين كانت الاحقاد تتأجج في قلوبهم ضدّ المصريين وكتبوا شروطًا بينهم على ان يكونوا يدًا واحدة في العصيان على هذه الأوامر الجديدة وحلفوا الأقسام المعظَّمة في كنيسة مار الياس انطلياس تأييدًا لاتحاد كلمتهم وكتبوا الى سائر الأقاليم يخبرونهم عن مقاصدهم ويستحثونهم على عدم التسليم

صورة صك المحالفة بين الدروز والنصارى وباقي الطوائف اللبنانية (١) وهي بالحرف الواحد :

الداعي لتحريرهِ :

انهُ يوم تاريخهِ قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس نحن المذكورة اسماؤنا بهِ بوجه العموم من دروز ونصارة ومتاولة واسلام المعروفين بجبل لبنان من كافة القرى وقسمنا يمين على مذبح القديس المرقوم باننا لا نخون ولا نطابق بضرر احد منّا أبدًا بل يكون القول واحد والرأي واحد ونحن جمهور الدروز اذا حدس منّا وبان ادنا خلل نكون باريين من ديانتنا ومقطوعين من شركة الدروز والخطوط الخمسة وتكون نساؤنا طالقة من السبعة مذاهب ومحرَّمة علينا من كافة الوجوه وايضًا يشهد علينا القدّيس مار الياس ويكون خصمنا وقد قمنا علينا شيخًا جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنّا هيكل الخازن من غوسطا ونحن جمهور النصارة الذين يخون منّا يكون مار الياس خصمه ولا يكون لهُ موتة على دين المسيح حرر في ٨ ربيع آخر سنة ١٢٥٦ الف ومائتين وستة وخمسين صح صح صح

المقر بما فيهِ

جمهور الدروز	ونصاره ومتاوله
في جبل لبنان	واسلام بوجه العموم

(١) نقلًا عن الصورة الاصلية التي هي بيد الشيخ فيليب الخازن وهي اول مرّة تنشر بالطبع

صحّ انهُ حضروا المدونة اسماؤهم اعلاه قسموا يمين على مذبح مار اليـاس بحسبما هو محرر اعلاه حرفيًّا وللبيان حررنا بيدهم هذه الشهـادة تحريرًا في ٧ حزيران سنة ١٨٤٠ مسيحية صح كاتبهِ القس سبـيريدون عراموني (١)
خادم مار الياس انطلياس انطونياني

٤ ابو سمرا وشاهين يارد . قطعهُ يد الجندي المصري

هذه كانت حال لبنـان يوم جرى لأبي سمرا الحادث الآتي :
قلنا ان ابا سمرا كان وكيلًا ومدبرًا لارزاق احمد باشا وكان هذا ايضًا يتعاطى تجارة الغنم فكان ابوسمرا حين الموسم يجول في القرى مع الاكراد يتقاضى اثمانها ولمَّا كان في احدى القرى القريبة من زحله جاءهُ رجل يدعى شاهين يارد وكان ضامنًا المسلخ في بيروت في ايام محمود بك متسلمها وابتاع منهُ ومن الاكراد خمسماية رأس غنم الى ميعاد فحين الاستحقاق طالبهُ الاكراد بالثمن فأبى ان يدفعه فبلغ ابوسمرا ذلك فطلب الى الامـير بشير ان يصحبـهُ بنفر يتحوَّل على شاهين المذكور فالامير أمر حنَّا الشبابي ليكون بمعية ابي سمرا ولمَّا جاءا شاهينًا وطالباهُ بدفع المبلغ المستحقّ الاداء أَبى متسلحـاً بالمماطلة وكان كل ما جاءَ اليهِ صرفهما خادمهُ مدعيًا غياب سيّـده

(١) هذا القس ارتقى فيما بعد الى الرئاسة العامّة على رهبانيتهِ ومات شيخًا جليلًا برائحة القداسة

مع علمهما بحضوره فلمَّا رأى ابوسمرا منهُ ذلك آلى على نفسهِ الَّا ان يوقعهُ في مكيدة فتربَّص الفرص حتى وجدهُ يومًا خارجًا من بيته فالقى عليه القبض وشدَّ وثاقه وأرسله مخفورًا الى الشام مع حنَّا المذكور ورجل آخر يدعى عبد الله الطويل من برج البراجنة كان في خدمته فلمَّا وصلا بهِ الى وادي القرن لقيهم الامير خنجر الحرفوش وسأل عبدالله قائلًا اين تقصد بالرجل فاجاب: الشام. فقال وما امرهُ فاخبرهُ بخبرهِ ولمَّا عرف الامير خنجر انه مرسل الى احمد باشا وكانت بينهما عداوة قديمة فكَّ وثاقه واطلق سراحه (١)

فعاد شاهين يارد الى بيروت واضمر لابي سمرا السوء وجعل

(١) ان سبب العدواة التي كانت بين الامراء الحرافشة وبين احمد باشا هي: انهُ كان لهذا نسيب اسمهُ عجاج اغا يقود خمسمائة فارس وكان امير حرفوشي اسمه جواد من قطاع الطرق فصدر امر والي الشام الى عجاج اغا بالقبض على الامير جواد فسار الى مطاردته ولما التقيا جرت بين رجال الفريقين معركة شديدة اسفرت عن قتل عجاج اغا مع عدد من جنده. ثم مضى على ذلك مدةً ترك الامير جواد اعوانه فاضطر الى مسالمة الحكومة فقصد الامير بشير ورجاهُ متذللًا ان يساعدهُ على الحصول على رضى شريف باشا والي الشام فارسلهُ الامير صحبة بكباشي يدعى شمس الحسنية من قرية عين اوزيه في الشوف مع كتابات توصية بهِ الى شريف باشا ولما وصل الشام كاد الوالي ان يعفو عنهُ لو لم يعلم بهِ احمد باشا فجاء الوالي وشكاهُ انهُ هو القاتل نسيبهُ عجاج اغا فتغير خاطر شريف باشا عليهِ وامر باعدامهِ. وقد ذكر تاريخ بعلبك في الصفحة ٤٥ المعركة التي انتشبت بين الامير جواد وعجاج اغا

يرقب الفرص للايقاع بهِ . فبينما كان صاحب الترجمة جالساً يوماً في قهوةٍ قرب بوابة الدركة في بيروت يدخن النارجيلة وممسكاً بيدهِ لجام حصانه لمحهُ شاهين فأسرع الى محمود بك متسلم المدينة واعلمهُ بوجودهِ قرب البوابة فارسل محمود بك اربعة انفار ليلقوا القبض عليهِ ويحضروهُ امامهُ فاتوهُ وهو على الحالة التي وصفت وكلفوهُ ان يرافقهم عند المتسلم فسألهم عن السبب فلم يعلموهُ فظنَّ ان شاهين يارد قد نصب لهُ مكيدةً فأبى السير مع الجنود مدعياً انهُ من اتباع الامير بشير وان لا سلطة لمحمود بك عليهِ فشتمهُ الأنفار وألحوا عليهِ بالذهاب معهم . فلمَّا رآهم يشدّدون الطلب أسرع الى حصانه فركبهُ طلباً للفرار ولكنهم أحاطوا بهِ في الحال وأمسك أحدهم باللجام ومدَّ الآخرون اليهِ يدهم ليرموهُ عن ظهر الحصان فلمَّا رأى ان لا نجاة منهم استلَّ سيفهُ وضرب بهِ يد الجندي الماسك اللجام فقطعها فتقهقر الآخرون مذعورين وفرَّ ابو سمرا من بين ايديهم طالباً النجاة الى اراضي الشيَّاح . ثمَّ رفع عريضةً الى الامير بشير وأُخرى الى أحمد باشا يخبرهما بما وقع له وجرى مع شاهين يارد والجندي المصري فلامهُ الامير على ما فعل واماَّ احمد باشا فاحمد فعلهُ ووعدهُ بالسعي لدى الامير ليعفو عنهُ . ولكن أبا سمرا لم ينتظر من الامير عفواً وقد جاءَت الحوادث ملبسةً للحال لباساً جديداً حتى أصبح عمل ابي سمرا هذا نسياً منسياً تجاه الاعمال التي صنعها

الجزء الثاني

الفصل الاول

١ بدء الثورة . ابو سمرا زعيم الثائرين في ساحل بيروت

لم يخطر وايمُ الله في بال ابي سمرا غانم البكاسيني حينما قطع يد الجندي المصري وفرَّ هاربًا من غضب محمود بك متسلم بيروت انهُ لا تمضي ايَّام على ذلك الَّا ويشقّ عصا الطاعة ويصبح زعيمًا للشعب في ثورة هائلة ضدّ ابرهيم باشا والمصريين كلَّا لم يخطر ذلك في باله ولم يخطر في بال أحد ان ابا سمرا خادم الامير بشير بالأمس سيكون الرجل اللبناني الذي يملأ البلاد ذكره ويكون قائدًا لرجال لبنان الابطال في التمرد والعصيان على حكومة ارهبت اوربا وبلبلت الارض . فبعد ان تحالف اللبنانيُّون على اختلاف طوائفهم وتعاهدوا على الاتحاد لمقاومة المصريين الذين بعثوا بعمَّالهم في كل الانحاء لجمع السلاح بقسوة وصرامة شديدتين كان اهالي دير القمر اوَّل الثائرين فهجموا على عساكر الدولة المصريَّة المقيمة في جوار الدامور وقاتلوهم . فلمَّا بلغت اخبارهم ابا سمرا وهو في ساحل بيروت اخذت منهُ الحماسة كل مأخذ ونادى بالعصيان وطفق يجول في القرى الساحليَّة وهو يحرض السكان على شقّ عصا الطاعة فتألّب

حوله الرجال واجتمع اليه عدد غفير من برج البراجنة والشيّاح ومزرعة العرب وحارة حريك (١) واخذوا ينهبون الطحين الوارد الى بيروت ميرة الى العساكر المصريّة وقد انضم اليهم ايضاً البعض من أهالي المتن وبيت مري وبرمّانا وغيرها كانوا في ساحل بيروت يعتنون في تربية الحرير يومئذٍ . واما اهالي دير القمر مع الدروز الذين رافقوهم لمقاتلة العساكر المصرية في سواحل صيدا فقد خرج العسكر لقتالهم واشتبك بينهم الحرب فانجلى عن انهزام اللبنانيين

فاما الدروز فعادوا سلموا بواسطة الشيخ حسن حماده من بعقلين الى الامير بشير فلم يضعف مثلهم عزيمة ابي سمرا بل ما زال يثير اهالي ساحل بيروت حتى اجتمع لديه ايضاً في اواخر حزيران من تلك السنة (١٨٤٠) مئات من الشويفات وبعبدا والحدث ووادي شحرور وكفرشيما وعسكروا في المحل المعروف بالطيونة ويسمى هذا المعسكر في لسان العامة (كاشه) ومعناها الجند والعسكر في لغة سوريا . وقطعوا الوارد الى بيروت واصبحت كأنها في حصار

---

(١) جاء في اخبار الاعيان للمرحوم الشيخ طنوس الشدياق صفحة ٥٩٠ . « ثمَّ اخذ الهوس رجلاً يكنى بابي سمرا غانم البكاسيني الماروني ورجلاً اخر يسمى احمد داغر المتوالي واجتمع اليهما بعض انفار الى حرش بيروت واخذوا ينهبون الطحين الوارد الى عسكر بيروت . . . »

٢ واقعة الاشرفية

وفيما كان سكّان القرى التي ذكرنا مجتمعين حول ابي سمرا خرج لقتالهم من بيروت فرقة من الجنود الارناؤوطية بقيادة ضابط يدعى مجهر اغا فأمر ابوسمرا الرجال بملاقاتهم فسارت الراية اللبنانية اولًا وكانت من الحرير المعروف (بالآووز) مركبة من اللون الاخضر واللون الاحمر وباعلاها حربة في رأسها صليب. فالتقى الفريقان في المحل المعروف بالاشرفية في ظاهر بيروت في المكان المشيد فيه الآن دير راهبات الناصرة المشهور فتقدم مجهر اغا وصاح بالثائرين قائلًا: اين قائدكم ؟ فبرز ابوسمرا من بين الرجال وصاح بصوت كالرعد انا هو وماذا تريد ؟ فقال: البراز. فاجابهُ ابوسمرا الى ما طلب وجعلا يتبارزان في السيف ورجالهما ينظرون اليهما. وبعد ان تجاولا في ميدان البراز ساعةً ضرب مجهر اغا ابا سمرا بالسيف ضربةً اصابت خدّه تحت عينه اليسرى فجرحته فصعد الدم الى رأس بطلنا وصاح بخصمه صيحة عظيمة وعاجله بضربة قاضية قطعت رأسه. واخذ حصانه غنيمةً ثم هجم عليه اللبنانيون وفتشوهُ فوجدوا معه خمسة آلاف غرش وزعوها على بعضهم واما الجنود المصرية فلما رأت ما حلّ بقائدها وثبت على اللبنانيين واصلتهم نارًا حامية فقابلها الثوار بقلوب لا ترهب الموت وقد سكروا من خمرة النصر فهزموها شرّ هزيمة بعد ان قتلوا عشرةً من رجالها وقتل من رجال ابي سمرا اثنان فقط احدهما

من برج البراجنة متوالي يـدعى علي حسين والثاني من كفرشيما نصراني اسمه يوسف ابراهيم

٣ زيادة الثائرين · ابو سمرا والشنتيري

ولما بلغ اللبنانيين ما فعله ابو سمرا والثائرون في جوار بيروت وما صادفوه من الفوز والنجاح هب المتقاعدون منهم وهم يهزجون بالاناشيد الوطنية والاغاني الحربية الحماسية وجأووا الطيونة بعدد غفير ولم تكن هذه النهضة قاصرة على الشعب فقط بل تناولت افراداً من الاعيان ايضاً مماً جعـل الثورة في مظهر جديد من الاهمية . فانحدر الامير حيدر والامير منصور اللمعيان يقودان رجال المتن وجاء الفارس المشهور يوسف الشنتيري ومعه رجال مقاطعة بكفيا ووصل ايضاً من ساحل بيروت الامير يوسف والامير فارس الشهابيان ورجالهما . واتى من عبيه الامير فاعور مع اهالي الشحّار . ووفد من كسروان الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن مع الاهالي (١) فاصبح عدد الثائرين مخيفاً ولكنهم كانوا بعازة الى الذخائر والمؤن وكان بعضهم بدون سلاح لانهم كانوا سلموا سلاحهم الى العساكر المصرية قبل الثورة . فتعهد ابو سمرا بتقديم الذخائر فكان ينزل اليوم بعد اليوم مع رجالـه الى

---

(١) كان الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن يلقب نفسهُ بسردار عساكر النصارى (اخبار الاعيان صفحة ٥٩٠)

سور بيروت بالقرب من البرج فيغنم ما يصادفه من المأكولات في طريقه ويعود الى الطيونة يوزعه على رجال الكاشة . وفي احد الايام ظلّ هاجمًا برجالهِ الى باب يعقوب ففاجأ هنالك شرزمة من العساكر المصرية جالسة بين باب يعقوب وباب الدركة وبقربها اسلحتها وامامها رأس غنم مذبوح فاغار عليها في مقدمة اللبنانيين كالاسد واطلق عليها الرصاص وصاح بها صيحةً عظيمة « الا قتلتم يا اكلي العدس » فزعر الجند وفرُّوا يطلبون النجاة ودخلوا المدينة تاركين اسلحتهم غنيمةً باردة وقد كسب اللبنانيُّون ٤٥ بارودة وانتشل ابوسمرا الحروف وعاد برجاله الى المعسكر وهم يهزجون باسم ابي سمرا قهّار الاعادي فلم تكن هذه الاعمال الّا لتزيدهُ جرأةً وبسالةً وكان يكرر الهجوم اليوم بعد الآخر مع يوسف الشنتيري ورجاله فيعودون غانمين . ومن ذاك الحين ذاعت الاغنية الوطنيَّة التي مطلعها : سبعين طلعوا في الديره بوسمرا والشنتيري . وقد جرح ابوسمرا في احدى هجماتهِ تلك برصاصةٍ اصابت بنصر يده الشمال

٤ الامير خنجر الحرفوش وانقاذهُ من الحبس . كاشة زغرتا

وبعد هذه الاعمال اجتمع رؤساء الثورة للمداولة في امر الذخائر والمؤونات اللازمة لسدّ حاجات الثائرين فاتّفقوا على نهب الطحين الوارد للعساكر المصريَّة من مطاحن انطلياس ونهر الكلب سار ابوسمرا بقيادة بعض الرجال الى انطلياس وغنم الطحين الذي

فيها ومنها توجه الى نهر الكلب فجونية وهنالك غنم الذخائر من
المستودعات التي كانت للمحاصرين وارسلها لرجال الكاشية في الطيونة
فلما راى المصريون عدم امكان الطحن في مطاحن نهر الكلب بعثوا
بالحبوب الى نهر ابرهيم فتأَثرهم ابوسمرا وضبط الغلال الواردة الى
مطاحن ذلك النهر وفي اثناء ذلك القى رجال الامير عبدالله حاكم
غزير وابن اخي الامير بشير القبض على الامير خنجر الحرفوش وكان
قاصداً سرقة فرس من خيل الامير فانتبه الامير ياخور والسيَّاس
والقوا عليهِ القبض وارسلوه موثوق اليدين الى غزير حيث اودعه
الامير عبدالله الحبس . فلما بلغ خبره ابا سمرا اسرع حالاً الى غزير
وبمساعدة المشائخ خليل ويوسف حمزة وبطرس وحنا واكد من
الحبيشيين والبعض من اهالي دلبتا وعرمون وشننمير هجم على الحبس
وكسر ابوابه واخرج الامير خنجر واطلق سراحه. فلما رأى الامير عبدالله
هياج الكسروانيين استولى عليه الخوف ففر من غزير متخفياً في دير
الارمن في بيت خشبو جنوبي غزير. واما ابوسمرا فطلع الى حمى مرج
البساط وغزا اربعة من جياد الامير عبد الله وبغلين لمحمود بك متسلم
بيروت وبعد ذلك نزل الى جبة المنيطرة ودعا اليه المشائخ اولاد
اسماعيل حماده من متاولة وادي علمات وافقا ولاسا وطفق يثير في
افئدة اهالي بلاد جبيل والبترون نار الحقد والعداوة على المصريين
فتألب حولهُ السكان وسار بهم الى زغرتا فلما علم بهِ المصريون في

طرابلس بعثوا بجندهم لقتاله فالتقى بهم اللبنانيون في قرية المجدل وقاتلوهم بشدة وحماسة وهزموهم الى طرابلس وبعد هذا الفوز عاد الى زغرتا فوافاه اليها المشائخ ال رعد من مسلمي الضنية والشيخ محمد الفضل وابن عمه الشيخ خضر مع اهالي الزاوية والكورة فشدد قلوبهم واوصاهم بالثبات ولما كانت اشغال الثائرين في الطيونة تستدعي وجوده ترك زغرته واتى الى حرش بيروت

الفصل الثاني

١ الامير بشير والثائرون . الامير امين وابو سمرا

وبعد رجوع ابي سمرا من شمالي لبنان ارسل الامير بشير من قبله الامير بشير قاسم الى رؤساء الثورة المجتمعين في سن الفيل يسترضيهم وينصحهم للخلود الى السكينة اخمادًا لنار الثورة وفوضهُ ان يعدهم بعفو ابرهيم باشا عنهم وباعطائهم مطاليبهم ان ارادوا الطاعة وان يتهددهم بغضب الدولة المصرية ان ابوا الَّا الاصرار على العصيان فجاء الامير بشير وعرض على الزعماء ان يكفوا عن مقاومة الحكومة المصرية فاجابوهُ قائلين اننا لا نسلم الا بالشروط الاتية : وهي اولًا : انهم لا يدفعون الا مالًا واحدًا . ثانيًا : ان يرفع بطرس كرامه من ديوانه . ثالثًا : ان يضع في ديوانهِ اثنين من كل طائفة من طوائف الجبل . رابعًا : ان يرفع عنهم السخرة وحفر المعادن الفحمية

والحجز عن الصابون . خامساً : ان يبقى لهم سلاحهم . ولكن لما كان كثير من الامراء والمشايخ يتحققون بان ابرهيم باشا لا يقبل بهذه الشروط وان قبل بها الامير بشير اخذوا يحرضون العصاة على عدم التسليم وهكذا فعل ايضاً الامير بشير قاسم رسول الامير فانه بينما كان ينذرهم علانية ويتوعدهم بغضب ابرهيم باشا والامير بشير ان لم يخلدوا الى السكينة كان يشجعهم سراً ويحضهم على الثبات ويتوعدهم بان ابرهيم باشا لا يلبث بعد التسليم ان يلقي القبض على زعماء الثورة ويقتلهم فلا تغنيهم شفاعة الامير بشير ذرة فكان كلامه يشدد عزائم العصاة ويوغر صدورهم على ابرهيم باشا . وبعد انصراف الامير بشير قاسم بدون نتيجة بعث الامير بشير الامير ملحم بعبدا رسولاً ثانياً يدعوهم الى الطاعة فجاوبوه بكل جسارة انهم يدافعون عن استقلالهم الى آخر نسمة من حياتهم . وفي اليوم الثالث اوفد الامير بشير ولده الامير امين الى سن الفيل حيث كان روساء الثائرين مجتمعين وبينهم الامير فاعور قعدان والامير يوسف سلمان والامير فارس حسن من الامراء الشهابيين والامير حيدر والامير علي منصور من اللمعيين والشيخ فرنسيس الخازن والشيخ يعقوب طالب حبيش واخواه الشيخ يوسف والشيخ فارس وغيرهم من الامراء والمشايخ وكان من اوجه الشعب ابو سمرا ويوسف الشنتيري المارونيان واحمد داغر المتوالي وسواهم . فاخذ الامير امين يخاطب كلًّا بمفرده فلم يذعن

احد الكلامه وكان رجال ابي سمرا يقولون : ان رضي زعيمنا رضينا فمال الى ابي سمرا واخذ يسترضيه بالكلام واعداً اياه برضى والده ورضى ابرهيم باشا فلم يقوَ على اقناعه . فلما رأى الأمير ان الكلام اللين لا يجديهِ نفعاً عمد الى التوبيخ والتهديد وخاطبه قائلاً : ان هولاء الذين تراهم حولك من امراء ومشايخ لهم نفوذ بين الناس فيحاربون باموالهم ومزارعهم وخدمهم واما انت يا ابا سمرا فبأي شيء تحارب الدولة المصرية ابرجالك ام باموالك . فاجاب ابو سمرا : « اني لست بناكر اصلي وفصلي ولكن اما تعلم ان البارود يصطنع من الزبل ولكنهُ يحطم الصخور وفي هذه الساعة يريك ابو سمرا كيف يحارب »

٢ هجوم ابي سمرا والثائرين على الكرنتينا

ثم صاح ابو سمرا بالرجال متغنياً بنشيد الحرب فاجتمع لديه الثائرون وهم يزئرون كالاسود الكاسرة واشار اليهم ان يتبعوه فنشروا اعلامهم وساروا وراء زعيمهم وهم يهزجون باسمه وهجموا على الكرنتينا في بيروت حيث كانت فرق من الجنود المصرية فالقوا الرعب في قلوبهم قبل ان يتهيؤوا لقتالهم واعملوا السيوف في رقابهم فولوا مدبرين بعد ان قتلوا منهم نحو مائة جندي ونزلوا في القوارب الى البحر لاجئين الى المراكب وقد همَّ ابو سمرا واتباعه ان يلحق بهم الى البحر لكنَّ المراكب اخذت تطلق عليهم المدافع والجأتهم الى

الرجوع على اعقابهم وقد قتل من اللبنانيين ثلاثة رجال لا غير وهم انطون العيلة من برج ابي هدير وبطرس حنا من بيت مري ويوسف ضو من بدادون . فكان نصر اللبنانيين داعياً لقلق المصريين واهتمامهم للمسألة اهتمامهم للحوادث والخطوب الشديدة . واما الامير امين فلما عاد الى ابيه الامير بشير حابطاً في مسعاه قصّ عليه ما توقع له واعامه ان زعيم الحركة واكبر نافخ في بوق الثورة هو ابو سمرا غانم البكاسيني

٣ مجلس الشعب (عامية) خطاب ابي سمرا في الثائرين

وكان ابو سمرا مؤلفاً مجلساً خاصاً بالشعب وكان اعضاؤه من الشعب ايضاً ليس بينهم شيخ او امير وكان مركز هذا المجلس في دكان الطيونة . فكان بعد اجتماعه يرفع الى ابي سمرا نتيجة مفاوضة اعضائه فيرى فيها رأيه وبعد انصراف الامير امين اجتمع الامراء والمشايخ الثائرون مع اعضاء مجلس شورى الشعب (العامية) في جمعية عمومية للتداول في المنهج الذي يسلكونه في تتبع محاربة العساكر المصرية فقر رأيهم ان يتوجه الامير محمود سلمان الشهابي الى جهات صيدا والامير منصور اللمعي الى نواحي البقاع والامير فارس والامير يوسف الشهابيان الى الحازمية وتقرر ان يسير ابو سمرا الى جهات طرابلس حيث كان قد سبق لهُ وجمع رجال تلك الجهات لمحاربة

المصريين (١) وقبل انفضاض الاجتماع وقف ابو سمرا بالثائرين وخاطبهم بما معناه: « ايها الامراء والمشايخ والرجال الابطال اوصيكم قبل الافتراق ان تثبتوا في مباديكم وتداوموا على الاتحاد بينكم فلا تجعلوا لدسائس الاعداء سبيلًا للوصول اليكم ولا تغتروا بمواعيد المصريين الفارغة ايّاكم والتهاون في القتال بعد ان تلجوا ابوابهُ ولكن ان رأيتم في انفسكم العجز عن المقاومة الى النهاية فلنسلم الآن عن يد والينا الامير بشير وهو يكون الوسيط بيننا وبين ابرهيم باشا ويسعى بما هو صالحنا وصالح بلادنا . اعرفوا مَن هم اعداؤكم ومَن انتم تحاربون فاختاروا امَّا التسليم الآن وامَّا الثبات . » فاجاب الكلّ بحماسة جوابًا واحدًا بأنَّهم لا يصالحون ما زال يجري الدم في عروقهم وهكذا ارفضَّ اجتماعهم وسار كلٌّ الى الجهة المعيَّنة لهُ (٢)

---

(١) « واجمع رأي الجميع على قطع الطرق على العساكر المصرية لئلا يدخلوا البلاد فاختاروا توجه الامير محمود الى جهة صيدا والامير علي منصور الى جهة البقاع وابي سمرا الى جهة طرابلس . . . » (اخبار الاعيان ص ٥٩٣)

(٢) وفي اليوم الثالث بعد اجتماع رأيهم على قطع الطرق عن العساكر المصرية توجه الامير محمود الى جهة صيدا ومعهُ احمد داغر وبعض انفار . وتوجه الامير علي منصور الى المتن ليجمع رجالًا من هنالك ويسير بهم الى البقاع وتوجه ابو سمرا الى جهة طرابلوس بمائة نفر ابقاهم محافظين في انطلياس ونهر الكلب وجونية . ولما وصل الى غزير تبعه من المشائخ الحبيشية يوسف حمزه

٤ رجوع ابي سمرا الى زغرتا واعماله الحربية

فقام أبوسمرا من الطيونة بمائة نفر ابقاهم في انطلياس للمحافظة واقام غيرهم في نهر الكلب وجونية وجبيل والبترون وظلَّ سائرًا الى ان وصل الى الكاشة التي كانت لم تزل مرابطة في زغرتا فوجد رجالها قد كادت ان تتراخى منهم العزائم فأَخذ يشدّدهم ويثير فيهم عواطف الشجاعة والهمة ويحضهم على الثبات وقد علم ان الدولة المصريَّة كانت قد عزَّزت حاميتها في طرابلس حتى بلغ عدد الجنود ستة آلاف مقاتل فلبث ابو سمرا متيقظًا مثابرًا على تحميس اللبنانيين الى ان بلغهُ ان العساكر المصريَّة من مدفعية ومشاة قد خرجت من طرابلس لمقابلتهم فزحف بالرجال لصدّهم والتقى الفريقان في سهل مجدليَّا وأصليا نارًا حامية وكان اللبنانيُّون يتغنُّون باغاني الحرب

وبطرس وحنا ابناء واكد. ثم نهض الى الفتوح بانفار فتبعه من المشايخ الدحادحة زعيتر راشد وجماعته. ثم نهض الى جرد كسروان فغذا اربعة افراس من خيل الامير عبدالله. ثم نهض الى جبة المنيطرة فتبعهُ المشائخ الحمادية بمائتين نفر من جماعتهم المتاولة فانحدر بهم الى جبيل وجمع رجالًا من تلك البلاد ووضع انفارًا في جبيل ثم نهض الى البترون. فلحقهُ من المشائخ الخوازنة شمس صفا وعسَّاف البدوي ومن المشائخ بني صالح خطار قيس ومن المشائخ الدحادحة جهجاه حنا. فوضع في البترون انفارًا ونهض الى اميون ثم الى جبة بشري. فارسل اولئك المشائخ الى زغرتا » (اخبار الاعيان ص ٥٩٣)

وينشدون ابياتاً حماسيـة من النوع المعروف في لبنـان بالحدو قائلين :

برهوم ايش لك عندنا   بعـد العطايا خنتنا

برهوم ايش لك عندنا   بارود ورصاص عندنا الخ

وفي هذا الكلام يذكر اللبنانيُّون ابرهيم باشـا الذي بعد ان سلمهم اسلحةً لقتال الدروز عاد اليوم فاسترجعها منهم بعد ان أعطاهم اياها ملكاً لهم . والحقُّ يُقال انَّك كنت ترى كل فرد من أفراد اللبنانيين كانهُ البطل المجرَّب في الحروب والمدرَّب في القتال وكان ابو سمرا مهيجاً ومشـدّداً العزائم فهجم على الاعداء بقلبٍ لم يتعوَّد الجبن وكرَّ على صفوفهم معمـلًا سيفهُ في رقابهم وفتح لهُ ممرًّا بينهم ورجاله خلفه الى نبع عشاش ثمَّ استأنف الكرَّة عليهم الى ارض زغرتا وارض اصنون فولوا من امامه مدبرين وظلَّ أبو سمرا يطاردهم الى أن عـبروا نهر أبي عليّ بالقرب من طرابلس وغنم منهم مدفعاً ولم يرتجع عنهم حتى دخلوا باب التبانة وقد ذبح من المصريين سبعون جنـدياً وقتل من اللبنانيين عشرون . وفي اليوم الثاني خرجت العسـاكر المصريَّة لمحاربة اللبنانيين فاشتبك بينهما القتال في أراضي ايعال وكاد النصر يتمّ للثائرين لو لم تصـل قوة من الفرسان المصريين لنجدة أخوانهم ففرَّ اللبنـانيون منهزمين امام كثرة الاعداء واختبأُوا في الوهـاد والاودية تلك المعاقل

والحصون الطبيعية المنيعة التي كانت تقيهم من هجمات العدوّ وغاراته . وبقي الثوّار مختفين في جوار مرج كفرسغاب الى ان رجع المصريون الى المدينة فعاد ابوسمرا وجمع الرجال من بلاد جبيل والبترون والجبة ورابط بارض اجبع فوق عقبة حيرونا (١)

٥ اخبار سائر الثائرين . تدويخ الجنود المصرية للعصاة واسر الزعماء الى سنّار

واما سائر رجال الثورة فقد جرت بينهم وبين المصريين مواقع نلخصها عن أخبار الاعيان وكتاب النبذة التاريخية في المقاطعة الكسروانية : وفي تلك الاثناء أرسل متسلم بيروت المصري باخرتين الى اسكلة جونية ليلقي الرعب في قلوب الكسروانيين وسلب ان أمكنهُ ما فيها من الغلال وخلافها مع ان الكسروانيين لمّا علموا

(١) « فلما بلغ والي طرابلس قدوم ابي سمرا ارسل اليه اربعة الاف عسكري نظامية بمدافع فالتقاهم وانتشب الحرب بين الفريقين فانكسر ابو سمرا الى ايعال وقتل من جماعته سبعة انفار ومن العسكر المصري نحو عشرين نفراً . وعاد العسكر الى طرابلس ثم جمع ابو سمرا رجالًا الى ايعال . وفي اليوم الثالث قصدهُ عسكر طرابلس الى ايعال فالتقاهم بمن معهم فشن الغارة عليهم فانكسروا الى طرابلس فاعمل اللبنانيون في اقفيتهم السلاح واخذوا منهم مدفعاً فقتل منهم نحو خمسين نفراً ومن اللبنانيين نحو عشرين « ثم انفضّ اللبنانيون عن ابي سمرا وسار بعشرين نفراً من المتاولة الى الضنية » اخبار الاعيان صفحة ٥٩٣

بقدوم الباخرتين المذكورتين وتأكدوا مسيرهم الى اسكلة جونية قد أخذهم الهوس وانحدروا من قراهم مسرعين حاملين العصي والبعض منهم مدججين بالبنادق فلمَّا وصلت الباخرتان الى مرفاها وخرجت الرجال منها بالقوارب لاخذ الغلال وسلب ما وجدوهُ فصدتهم الرجال الكسروانيون واطلقوا الرصاص على الرجال القادمة في القوارب فقتلوا منهم ثلاثة وصدوهم عن الخروج وارجعوهم مذعورين الى البواخر فلمَّا رأوا ذواتهم مغلوبين وغير قادرين على نوال مرغوبهم فاطلقوا المدافع كثيرًا بشدَّة عظيمة فلم تصبْ كلها أحدًا من الرجال بل أصابت بعض شخاتير على البرّ فتعطلت وسلبوا سفينةً كانت في البحر ورجعوا الى بيروت .»

هذا ما كان من امر الكسروانيين وامَّا حوادث أخبار ثائري المتن فهي :

« واذ ذلك قدم عثمان باشا المصري من حلب الى بعلبك بثمانية آلاف جندي نظامي مصري فنهض لمصادمة رجال ثورة المتن مع الامير منصور بللمع المقدَّم ذكره من المريجات الى السهل فحدثت واقعة هائلة بينهم اذ صدم الفريقان بعضهما صدمة صناديد بقلوب فطرت من حديد والحّ الفريقان كالاسد الضواري فانكسر الامير منصور اخيرًا بعسكره لقلته وقتل من المتنيينماية وثمانية عشر رجلًا وانهزم الباقون الى المريجات مخذولين» ...

واليك اخبار ثوار نهر ألاوّلي .» وبغضون ذلك قدم عباس باشا المصري بالبواخر الى بيروت وفيها القوات الحربية فامر اولاً في توجيه الحرب مشدداً على رجال ثورة نهر ألاوّلي فشتتهم فرجع اهل دير القمر الى بلدتهم طالبين الصفح والامان من الامير بشير فأمنهم وصفح عن ذنبهم وذنب كل من كان من تلك الناحية في ثورة نهر ألاوّلي . »

واما رجال ثورة سن الفيل فلحقهم عسكر الارناووط والنظام من بيروت فهزموهم بعد ان قتلوا منهم انفاراً ثم انقلب العسكر المصري على رجال ثورة حمانا الذين كانوا بقيادة الامير خنجر الحرفوش فادركهم تجاه المكلس وغلبت كثرتهم شجاعة اللبنانيين فشتتوهم واحرقوا قراهم »

هكذا انتهت الثورة التي قام بها اللبنانيون ضد الحكومة المصرية ومن علم ما كانت عليه حالتهم من قلة ذات اليد وافتقارهم الى الاسلحة وعدد الحرب عذرهم في انكسارهم . واماَّ زعماء الثورة فقد تاهوا من غضب ابرهيم باشا والامير بشير في الأَودية والمغاور ولكن سعاة الاعداء قد ادركوهم في مخباهم فالقوا القبض على اثنين وسبعين (١) منهم فارسلهم ابرهيم باشا الى مصر ومنها أمر والده محمد علي باشا بنفيهم الى سنّار في بلاد النوبة فاقاموا فيها الى بعد

(١) ويروي البعض اثنين وأربعين

خروج الدولة المصريّة من سوريّة واماَّ الشيخ فرنسيس أَبو نادر الخازن ففرَّ الى جزيرة قبرس مع ابناء عمه الشيخ بشاره فرنسيس وولديهِ حصن وروفائيل . والشيخ فرنسيس وأبوسمرا هما الزعيمان الوحيدان اللذان افلتا من غضب الدولة المصرية ونجيا من الاسر الاول بفرارهِ الى قبرس والثاني باختبائهِ في دير قزحيًّا كما سنفصل ذلك في حينهِ »

٦ اعمال ابي سمرا الحربية في الضنية وعكّار

ولمَّا بلغت اخبار انكسار الثائرين وفوز الجنود المصريّة الرجال المجتمعين في حيرونا برئاسة أَبي سمرا انحلَّت منهم العزائم وانفرط عقدهم ولم يبقَ مع أَبي سمرا سوى عشرة رجال فسار بهم الى الضنيَّة ونزل على المشائخ آل رعد وتحزَّب لهُ الاهالي مع الشيخ محمد فاضل والشيخ خضر وعزموا ان لا يسلموا للدولة المصريّة الَّا بالطعن والكفاح فلمَّا علمت العساكر المصرية ان شرذمة من الثائرين لم تزل رافعة راية العصيان قصدتهم الى اصنون وأَطلقت عليها الرصاص فقحم أُبوسمرا كما هي عادتهُ بكل جراءة واقدام على صفوفها ولكنهُ لم يسرْ قليلًا الَّا وأَصابت حصانه رصاصة فقتلتهُ وكان من أَصل كريم من الرسن المعروف بالجلفه وبعد قليل أَصابت رجله رصاصة أُخرى فجرحتها واستقرَّت بساقهِ وهي ثالث مرَّة

أصيب بجرح في المعارك فتنحى عن القتال وانجلت المعركة عن فوز المصريين ففرَّ اللبنانيُّون من امامهم وعادوا الى أماكنهم ولبث ابو سمرا ايَّاماً يداوي جرحهُ الذي بعد ان اخرجت منهُ الرصاصة لم يلبث ان شفي تماماً ثمَّ قام الى مرج حين وبرفقته أولاد نون من المتاولة الحماديَّة من بلاد جبيل واثنان من اهدن هما الياس الرهبان الشجاع وابن عمه وآخر يعرف بالبدوي من مشمش ومحمد منذر الدرزي وابن عمهِ وغيرهما من دروز برمَّانا وعدد الجميع خمسة وعشرون نفراً وفي مرج حين علم ان الدولة المصريَّة أَرسلت الى الضنيَّة متسلّماً من قبلها بدلاً من حكامها الاصليين المشائخ آل رعد فقرَّ برايه مع رجاله على الهجوم على قرية سير حيث كان حلَّ المتسلم لقتالهِ فقصدوهُ وفتكوا بهِ وغنموا مالهُ وعادوا الى مرج حين فلمَّا علم الجند المصري بعملهم جاؤُوا لقتالهم فلم يجسروا لقلة عددهم على منازلتهم ففروا منهزمين الى عكار وهنالك أغاروا على برج القراعية وقتلوا متسلمها المصري ايضاً فلمَّا درت الحكومة المصرية بشرورهم بعثت بمائة خيَّال بقيادة ضابط كردي يدعى يونس آغا لمطاردتهم فاشتبك القتال بينهم فقتل من المصريين عشرة انفار ومن رجال ابي سمرا ثلاثة وغنم الثائرون ثمانية رؤُوس خيل ثمَّ ساروا من هنالك الى كورادغ على حدود النصيرية فكانت الاهالي تقدم لهم في طريقهم المأكولات والذخائر ثم جاؤُوا من كورادغ الى قرية الريحانية في عكار فنهبوها

وعادوا الى نبع رشعـين في الزاوية وقد واقعوا المصريين في امكنة أخرى يصفها كتاب أخبار الاعيان (١) ثمَّ انفرط عقدهم فسار كلٌّ في جهةٍ فرارًا من الامير مجيد والعساكر المصرية الذين كانوا في مطاردتهم

٧ ما جرى لابي سمرا بعد انفضاض الرجال عنهُ

وبعد ان أَصبح أبو سمرا منفردًا وحدهُ أَخذ يدبّر وسيلةً للنجاة فقصد خفيةً الطِّبّ الأَثر المرحوم المطران بولس كسَّاب الجزيني رئيس أَساقفة طرابلس الماروني فقبلهُ بكل ترحاب ووعدهُ بالسعي لدى الامير بشير بالصفح عنهُ وبعد ان مكث عندهُ أيَّامًا أشـار

(١) « اما ابو سمرا فلما وصل الى الضنية استقبلهُ المشائخ بنو رعد وفي الحـال جمعوا رجالهم ونهضوا على متسلم الدولة المصرية وقتلوه واستلموا مقاطعتهم . فبلغ والي طرابلس ذلك فارسل عسكرًا لمحاربتهم فالتقوه الى قرية بخعة وانتشب الحرب بينهم فانكسر العسكر المصري الى قرية مرياطا وقتل منهم جماعة . ومن الغد رجع اليهم العسكر المذكور وحاربهم فانكسروا وتبددوا وقتل منهم ثلاثون نفرًا واسر عشرة رجال ثم توجه ابو سمرا بالمتاولة الى وادي موسى وهناك اجتمع اليهِ نحوماية وخمسين نفرًا وقصد متسلم عكَّار وقتله ونهبه واخذ منه اربعة من خيلهِ وحاصر جماعة من قرية الريحانية على شاطي البارد ثم انهزموا فنهب ابو سمرا تلك القرية وانطلق الى جرد عكار وانفضت جماعته عنهُ ثم توجه الى مزيارة فاختبأ . » (اخبار الاعيان صفحة ٥٩٩)

اليهِ (١) أن يذهب فيقيم عند خوري أَسلوت حيث لا يعلم بهِ أحد فتوجه الى أَسلوت وأقام عند الخوري اسبوعاً وكان رجال الامير مجيد يطوفون القرى للبحث عنهُ وعن زعماء ثوَّار تلك الجهات وقد شدَّدوا النكير على الاهالي وضيقوا عليهم أشدّ التضييق ليحملوهم على الاقرار عن مخابئهم فخاف البعض من السكَّان وأقروا عن أثنين من مشايخ آل رعد هما الشيخ علي والشيخ أحمد فأُلقي عليهما القبض في قرية تولا . فلمَّا علم خوري أسلوت بذلك جاء أباسمرا وحذَّرهُ من أن يحمل الخوف سكَّان أسلوت ويقرّ أحدهم

(١) جاء في ترجمة المثلث الرحمة المطران بولس كتاب التي نشرها حضرة الاب الفاضل القس عمانويل الشرتوني اللبناني في جريدة البشير في العدد ٦٤٨ ما يأتي: «... وقد ابتدأ بتشييد هذه الكرسي سنة ١٨٤٠ ولسوء الحظ وتعس الزمان لم يتمكن من اتمام مشروعهِ بسبب تغلب الدولة المصرية علي افاقنا السورية ولا يجهل احد ما وقع بينها وبين الشعب من المناقشات وكان يومئذٍ قائد الشعب جناب الرجل الغيور والشهم الباسل من تقرّ لهُ اقطارنا اللبنانية بالغيرة والمحبة الوطنية الشيخ ابوسمرا آغا غانم البكاسيني الماروني الشهير وحيث لم يفز الشعب وقتئذٍ بفايدة طابت الحكومة المصرية تأديب المجرمين مع قائدهم جناب الشيخ الموما اليه فلجأ حينئذٍ المذكور الى سيادة المطران الطيب الذكر فوقاهُ هو ومن معهُ بحسن درايتهِ واخذ بمساعدته ماديًا وادبيًا لفرط حنوه الابوي وشدة رغبته لعمل الخير مع كل احد لا سيما مع ابناء طائفته فلم يدع ان يصيبهم ادنى مضرة بسبب ميل الامراء الشهابيين اليه وتعزيز خاطره عندهم وعند الجميع ....»

عنهُ فيمسك ويلحق بالخوري اهانة ويقع تحت غضب الامير بشير.
فقام أَبوسمرا من عند الخوري وركب حصانه وسار من أَسلوت
لا يدري أَين يقصد للنجاة من رجال الامير بشير الساعين للقبض
عليهِ ولمَّا وصل مزياره اعترض لهُ في الطريق أَحد أَتباع الامير مجيد
فدار بينهما الحديث الآتي : مَن أَنت ؟ فاجاب أَبوسمرا وأَنت مَن
تكون يا أَخسَّ الرجال حتى تعرف مَن أَنا ؟ قال الرجل : هوّن
عليك ايها الفارس اني لم ارتكب اثمًا بالسؤال عن اسمك ؟ قال
أَبوسمرا : قل لي مَن أَنت وما هي صفتك ؟ أَجاب : اني أَحد أَتباع
الامير مجيد ونحن هنا شرذمة من الرجال بقيادة بكباشيين للمحافظة
على الراحة ولتتبع خطوات رجال الثورة. قال : ومَن هم
البكباشيَّان ؟ أَجاب هما عبدالله العجيل من قرية نيحا الشوف
والشيخ خالد جرجس من مزرعة الشوف. قال اذهب وقل
لعبدالله العجيل ان أَبا سمرا يرغب مقابلتك . . . فارتعب الرجل عند
سماعه هذا الاسم وأَسرع الى حيث كان قومهُ فأَخبر البكباشيين بما توقع
لهُ مع أَبي سمرا فلمَّا عرف القائدان ان أَبا سمرا مقيم بالقرب منهما
قاما مضطربين ومتعجبين من رغبة ابي سمرا بمقابلة أَحدهما وخشي
عبدالله من الذهاب وحدهُ لمقابلتهِ فقام بمن معهُ وسار بهم اليهِ.
وأَمَّا أَبوسمرا فانهُ بعد ان أَتمَّ حديثهُ مع الرجل ظلَّ سائرًا في طريقهِ
حتى وصل الى رأْس العقبة الموصلة الى مزرعة الحرف وهناك وقف

منتظراً حضور عبدالله ولكنَّهُ رأى بعد حين البكباشيين مع رجالهما في اثره فصاح بهم عن بعد قائلاً: اين تقصدون ؟ فاجاب عبدالله اننا اتينا اليك لانك طلبت ذلك . قال: اني طلبت مقابلتك وحدك وارغب ان تاتيني وحدك فليعد الرجال الى مكانهم . فامرهم عبد الله بالرجوع ولكنه ابقى معه نفرين . فقال ابو سمرا: قلت لك اني ارغب مواجهتك وحدك فليعد الرجلان ايضاً فعادا واتى عبد الله ووقف بعيداً عن ابي سمرا وكان يصحب هذا رجل من اهمج فجلس بعيداً عنه وصوب نحو عبد الله بندقيته وقال له: احذر من ان تهين مولاي او تقصد بهِ شراً . فاني اصطادك قبل ان تصطادنا . ثم اخذ الفارسان يتكلمان في الشؤون الحاضرة وما آلت اليهِ احوال الثائرين ويندبان تعاسة الاوطان وشقاء السكان ثم قال عبد الله لابي سمرا: اني ساذهب ان شئت الى الامير مجيد واكلمه بشأنك واستحثه حتى يكتب لجده الامير بشير يستعطفه من اجلك فيصدر امره بالرضى والصفح عنك ومتى ورد الجواب احمله اليك وان اصرّ الامير على غضبه خرجنا من طاعتهِ انا والسبعون رجلاً المقيدون في خدمة الامير مجيد واتينا اليك منحازين الى جانبك انت الذي شرفتنا وشرفت اقليمنا (اقليم جزين) وجبل لبنان بما اتيته من الاعمال العظيمة وما اظهرت من البسالة والغيرة وما نلته من حسن الصيت وبعد الشهرة وانا نحمد الله على سلامتك وعدم وقوعك في الاسر . فلما انتهى عبدالله من حديثه هذا سألهُ عن

محل اقامته ليبلغه اليه الجواب فافاده ابو سمرا انهُ مقيم مع رجاله البالغين الخمسماية (ولم يكن معهُ سوى النفر الذي حضر حديثهما) في جرود الضنية . ثمَّ تعانقا وهما على ظهور الخيل معانقة الحبيبين المتصافيين دون ان يعلم ما يبطن الواحد للاخر من الخير والشرّ وعاد عبدالله الى قومه واخبرهم بما حصل وقال لهم انهُ ذاهب الى بشري لمواجهة الامير مجيد بشأن ابي سمرا وحرصهم قبل سفره قائلًا : احذروا من ان يفاجئكم ابو سمرا بجماعته لانهم كثيرو العدد

واما ابو سمرا فتوجه الى قرية بسلوقيت واستدعى اليه الخوري يوسف الرزي وقص عليهِ ما دار بينه وبين عبد الله العجيل من الحديث . وكانت بين الخوري واخيه بطرس وبين الامير علاقة ودية تمكنهما من الوقوف على افكار الامير بدون مظنة او احتراس وسألهُ ان يرسل اخاه الى الامير مجيد ليحضر حديث عبدالله العجيل معه فاجاب الخوري يوسف اباسمرا الى طلبه وانفذ اخاه الشدياق للقيام بهذه المهمة. وقد اسرع الشدياق فوصل عند الامير مجيد قبل عبدالله العجيل وما لبث قليلًا حتى وفد هذا واخذ يقصّ على الامير خبر مقابلته لابي سمرا وسأله ان يعفو عنه فاجاب الامير انه لم يفوض من جده الامير بالعفو عن الثائرين ويخشى ان استقدمه اليهِ من ان يطلبه جده منه فيلحقهُ بروساء الثائرين المنفيين الى سنار فيكون قد ارتكب ضد هذا الفارس خيانةً لا تغتفر . ثم قال ارى حسنًا ان تنهض برجالك وتجدّ باثره

فتلقي عليه القبض فتربح ثناء جدي ورضاه ولا يكون في عملك هذا غش وخداع وبعد ان سمع الشدياق بطرس هذا الحديث قام مسرعاً واتى ابا سمرا وقصّ عليه ما سمعهُ فركب حصانه وجاء مزرعة تدعى بيت بلقيس فوق عربة قزحيا ودخل حرشاً هنالك فوجد فيه مغارةً فادخل حصانه اليها واوصد مدخلها بالحجارة ثم قصد كرم بخعا في جوار دير القديس انطونيوس قزحيّا الشهير فلقي فيهِ قساً يدعى الاب اكلميندوس من بشري فسألهُ ان يخفيهُ عن العيون والارصاد التي يبثها وراءه الامير مجيد فوعده القس المشار اليهِ بالمساعدة وكفل له الاعتناء بحصانه وعهد الى احد شركاء الدير بسياسته ثم جاء الى الدير فقبلهُ الرئيس وكان يومئذٍ القس سابا العاقوري بكل تجلة واكرام واحتفى بهِ كثيراً واماّ الرهبان فسروا سروراً عظيماً بوجود هذا البطل بينهم وكانوا يتسابقون الى ملاطفته ومؤانستهِ وقد تعلّق في خدمته منهم القس نعمة الله السروجي من دير القمر والاخ بولس حرفوش من بكاسين والاخ افرام من بشري

وبعد مضي شهر من اقامتهِ في قزحيا علم بمخبإه بشاره العرب المنصب من الامير شيخاً على بشري مكان شيخها جرجس ابي نار فاستدعى يوسف لطفي من بكاسين الذي كان ضابط المحافظة هناك وامرهُ بالبحث عنهُ فلبى المذكور الامر وسار في الحال الى قزحيّا فشاهده عن بعد يتمشى فوق سطح الدير فعرفهُ ثم دخل الدير وطلب مواجهته

فقابلهُ أبو سمرا ليس مقابلة العدوّ لعدوهِ بل الوطني لابن وطنهِ فاشار يوسف على ابي سمرا ان يرافقهُ عند الامير مؤكداً لهُ انهُ يرضى عنهُ ويعفو عن ماضيهِ فاستشار ابو سمرا الرهبان في المسألة فصرحوا بعدم صوابية تركه الدير قبل الحصول على كتابة من الامير تضمن لهُ اولاً العفو عن دمهِ . ثانياً: عدم نفيه من البلاد ثالثاً: الاغضاء عمَّا فعلهُ مع الجنود المصرية . فرجع يوسف لطفي واخبر بشاره العرب بما كان فرفع بشاره العرب والشيخ ابو ضاهر السخنَّا من بشري عريضةً للامير بشير يسألان فيها العفو عن ابي سمرا فورده الجواب بالعفو والصفح . فحمل يوسف لطفي جواب الامير واتى بهِ الى دير قزحيا مسروراً ان يكون الرسول المبشر لابن وطنهِ برضى الامير عنهُ

وقبل ان يترك ابو سمرا الدير حسب فرضاً واجباً ان يزور احد الحبساء الزهاد المشهورين بالبر والقداسة وهو القس ذكريا حرفوش البكاسيني الذي كان منقطعاً الى العيشة النسكية في احدى الكهوف المجاورة للدير فحضر قداسهُ ثم طلب مقابلتهُ وعرفهُ بنفسهِ فسألهُ الحبيس عن نسبهِ فقال: انا ابن خير الله غانم فسألهُ: هل انت الصغير اجاب نعم . فقال لهُ: لماذا قاومت الامير بشير وابرهيم باشا هل لك قدرة على ذلك ؟ اجاب هكذا كان ولا محل يا ابانا القديس للعتاب الان لان الامير من حلمهِ صفح عني ولكن اسألك ان تحرر كتابة وصاة الى الامير مجيد بشأني فوعدهُ الناسك القديس بذلك وكلفهُ ان ينتظر

خارجاً تحت السنديانة التي كانت امام المحبسة وامر القس نعمة الله السروجي ان يبقى معهُ ثم دخل قلايتهِ وبعد ان اطال مكثهُ الى ثلاث ساعات خرج وبيده ذخيرة القديس منصور الشهيد وقال لابي سمرا خذ واحمل هذه الذخيرة ولم ارَ ما يدعو الى الكتابة للامير مجيد لان حكم الشهابيين قد انتهى ولا تمضي ايام الا وتصل عمارة دول الافرنج مع العثمانيين وسيستقدمونك اليهم حالاً ثم باركهُ وانصرف

كيف توصل الحبيس الى معرفة ماجريات الحوادث وهو في محبسته حتى ارتأى بانتهاء حكم الشهابيين من لبنان ؟ لربما كانت قد بلغتهُ الاشاعة التي اخذت بالانتشار في ذلك الحين بان اوربا حالفت الدولة العلية على اخراج الدولة المصرية من سوريا ولكن من اين عرف ان حكم الامراء الشهابيين قد انتهى ؟ ان ابا سمرا كان يعتقد بانها نبوة من الراهب القديس . ثم جاء ابو سمرا بشري واخذ يترقب قدوم العساكر العثمانية بكل هدو وسكينة متظاهراً بمسالمتهِ الامير والمصريين

عودٌ على بدء

ان من يطلع على اخبار ابي سمرا الحربية في شمالي لبنان لا يشكّ بانهُ كان الزعيم الاول للثورة والقائد الاكبر لرجال هاتيك الانحاء الابطال ومن الحواشي التي ذيلنا بها هذا الفصل نقلاً عن كتاب اخبار الاعيان اثبت التواريخ الوطنية التي يرجع اليها في هذا الشأن ليظهر للقارئ جلياً ان ابا سمرا كان روح الثورة هنالك وصاحب الرأي الاول

بدون اقل شبهة او ريب لكننا لا نستطيع كتمان استغرابنا مما ورد في الكتاب الموسوم «بطل لبنان» عند ذكره حوادث تلك المناوشات فان مؤلفه اراد (تعظيماً لقدر «بطله») ان ينسب لهُ كل الاعمال التي قام بها بطلنا وزهل ان اهم واجبات المؤرخين ان يتحروا الصدق في رواياتهم فلا ينسبون لزيد ما فعلهُ عمر طمعاً في ترويج تصانيفهم او زيادة في تحبيبها الى قرّائهم . فنحن مع اعترافنا لبطل لبنان الشمالي بعلو المنزلة والمكانة والشجاعة والغيرة والكرم وغير ذلك مما هو مشهور ومعروف لا يسعنا السكوت حينما نرى واضع ترجمتهِ يبخس بطلنا منزلتهُ وينزلهُ في تلك المعارك التي نازل فيها الجنود المصرية الى الدرجة الثانية او الثالثة ولم نرَ في تاريخ عربي ام افرنجي ذكرًا «لبطل لبنان» في تلك الايام او كيف امكن للمؤرخ الطرابلسي ان يقيمه زعيماً للشعب ولم يكن قد بلغ بعد التاسعة عشرة من عمرهِ . ومن اخبار «اخبار الاعيان» التي سردناها والتي سوف نسردها ومن الفقرات التي نقلها عن مصنفات الافرنج اعظم برهان على صحة قولنا بان ابا سمرا كان في شمالي لبنان بطل تلك المعارك والقائد الاكبر للثائرين

ثم وقد قرأنا ايضاً في الكتاب نفسه «بطل لبنان» اخبار وقائع واعمال اتاها رجل من بكاسين يدعى ابو سبع البكاسيني فلم نفهم من اين اخترع المؤلف هذا الاسم وكيف امكنهُ ان يدون في تاريخهِ اخبار رجلٍ لاوجود لهُ في العالم وليس كما نعلم من عرف في بكاسين او

غيرها بهذا الاسم وربما كان ابو سمرا يلقب نظراً لشجاعتهِ في تلك الايام بابي سبع ولكن المؤلف قد فرق بينهُ وبين لقبه فجعل منهما رجلين مختلفين فتارةً تراه يثني على اعمال ابي سمرا وأُخرى يعدد مآثر ابي سبع وهذا دليل بين على عدم تدقيق صاحب « بطل لبنان » في التأليف

الفصل الثالث

١ الجنود العثمانية في جونية · ابو سمرا والسر عسكر محمد عزت باشا(١)

ولم تمضي ايام كما قال الراهب الحبيس حتى وصلت المراكب الى جونية (١١ ايلول ١٨٤٠) ونزلت الى البر الجنود العثمانية والانكليزية والنمساوية المتحالفة على اخراج ابرهيم باشا من سوريا ونصبت خيامها في المكان المعروف بشير الباطية . فلما بلغت بشرى قدومهم مسامع الاهالي تهللوا فرحاً واستبشروا بالفرج بعد الشدة فدبت في الرجال روح النخوة والشجاعة بعد ان كان نالها الفتور وظهر المختبؤون من مخباهم كالاسود . ولما كانت العمارة قد مرّت على جزيرة قبرص اقلت منها الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن الذي ذكرنا فراره مع بعض ابناء عمه المشايخ الى تلك الجزيرة وقد حدث هذا الشيخ السرعسكر عن الثورة التي قام بها اللبنانيون وعن اهم رجالها وحين وصول العساكر الى جونية انفذ السرعسكر محمد عزت باشا قول اغاسي

(١) محمد عزت باشا هذا هو والد عزيز باشا أحد ولات بيروت السابقين

ابن عرب من الشام ليستقدم ابا سمرا اليـهِ فلبى الطلب ونزل من بشري الى سرعل ومنها الى البترون وكان يدعو في طريقهِ الناس اليهِ ليصحبوهُ الى جونية لاستلام الاسلحة فتبعهُ الرجال ووافاه من دوما سبعون رجلًا وكانوا يهزجون في طريقهم باسمه ويتغنون باناشيد الحرب ويعظمون قدر قائدهم ولما وصل الى البترون تبعه منها خمسماية نفر وسار بهم الى جبيل فتبعهُ خمسماية نفر غيرهم وتقدم بهم الى المـاملتين وهنالك اظلم الليـل فقر رأيهُ عـلى ان يقضي ليلتهُ تلك في ذلك المكان. ولما كان ثاني يوم نهار أحد ارسل فاستقدم من دير القديس الياس في غزير قسيسًا للاحتفـال بذبيحة القداس للشعب فحضر الكاهن وبعد القداس ركب بطلنـا في مقدمة الجميع وسار الى صربا حيث كان السرعسكر ولما علم هذا بقدومهِ ارسل فرقة من الجنود لملاقاتهِ تعظيماً لقدره واحتفاءً بهِ وقد خرجت الموسيقى السلطانية الى ضاهر جونية لاجراء مراسيم الاستقبال واصطفت الجنود العثمانية والانكليزية لتأدية السلام فسار هكـذا بين اصوات الفرح والتهليل حتى دخل الى سرادق السرعسكر فترجل ودخل عليه فاجلَّ وفادته ورحب بهِ كثيرًا وآنسهُ متلطفًا ثم اخذ يستعلمـهُ عن الحوادث فقصَّ عليه ما ذكرناهُ وقبل انصرافـهِ من حضرتهِ انعم عليهِ بسيف ثمين وعدة من السلاح كاملة وساعة ذهبية ثمينة مع سلسلتهـا وامر ايضًا ان تسلم اليهِ اربعة الاف بارودة واربعون صندوق من الذخائر الحربية ليصير

توزيعها بمعرفتهِ على اللبنانيين (١)

٢ تنصيب ابي سمرا شيخاً على شمالي لبنان

ولما علم اهالي كسروان بقدوم ابي سمرا الى جونية جاؤوا اليهِ مع بعض المشايخ الخازنيين وسألوه ان يرافقهم الى وطا الجوز لمحاربة عساكر ابراهيم باشا فابى رغبةً منهُ في محاربة الامير مجيد حفيد الامير بشير الذي كان مرابطاً في اللقلوق فعرضوا للساري عسكر ان يكلفهُ الى المسير معهم فلم يجبهم الى سوالهم بل وجهه لمحاربة الامير مجيد كما كان يرغب (٢) وسلمهُ بيولوردي نصبهُ فيهِ شيخاً على بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وما يليها وهذا نصهُ بالحرف

« صدر امرنا ومرسومنا المطاع الواجب القبول واللازم الاتباع اعلاماً بهِ لكامل قرايانا اهل بلاد جبيل وبلاد البترون وجبة بشري مع الزاوية والكورة يحيطون علمنا المنتهى اليكم قد نصبنا شيخاً ابا سمرا

---

(١) « وفي غضون ذلك كتب عزة باشا الى ابي سمرا كتاباً يدعوه اليه ففي الحال لبىَّ دعوته ونهض الى البترون بخمسة انفار فاجتمع اليه هنالك نحو خمسماية نفر فحضر بهم الى جبيل وبلغ متسلم جبيل قدومه فالتقاه بنحو خمسماية نفر وجاء صحبته الى جونية فاستقبله عزة باشا بالاعزاز واكرمه بالسلاح وسلّمه اربعة الاف بندقية يوزعها على الرجال » (اخبار الاعيان ص ٦٠٤)

(٢) « وارسله اي السر عسكر الى بلاد جبيل والبترون وجبة بشري فتوجه وجمع اربعة الاف رجل من تلك البلدان وسار بهم الى اليمونة لمحاربة الامير مجيد » (اخبار الاعيان ص ٦٠٤)

آغا (١) غانم البكاسيني لعهدة مرسومنا هذا يكون فيما بينكم مسموع الكلام مرفوع المقـام ولا احد يخرج لهُ (كذا) من خلاف ما بهِ الصالح والعمار ويكون دفع مال اميريكم وصوالحكم وشكاويكم عن يده واخرجنا لهُ هذا البيولوردي من ديوان سرعسكريتنا من جونية اعلموا ذلك من كرمهُ كرمنـا ومن خالفهُ خالفنا واعتمدوه غاية الاعتماد »

محمد

الامضاء والختم　　　عزّت باشا

سر عسكر سوريّا

قد بلغ ابو سمرا هنا مبلغًا عظيمًا من المجد والوجاهة وعلوّ الشأن ولم نرَ في الكتب التاريخية التي طالعناها ذكر من بلغ من زعماء ثورة سنة ١٨٤٠ المنزلة التي حلَّ فيها هذا البطل وقد احببنا ان ننقل في هذا الفصل كلامًا لمؤرخ اوربي كان بين الجنود النمساوية في جونية يوم وفد ابو سمرا على السر عسكر وقد لخص ترجمتـه بكلام قلَّ ودلَّ وحسبنا هذه الشهادة بيانًا لما ادركه بطل الثورة من المكانة بفضل بسالته الغريبة وشجاعته العجيبة خصوصًا ولم يذكر المؤرخ غيره من الزعماء

قـال المؤرخ قيصر ڤيماركاتي في كتابه المعنون : القسطنطينية

(١) « ابو سمرا كان اول نصراني اعطي لقب آغا »

ومصر ما تعريبه (١) صفحة ٣٣٢ « ان ابا سمرا (ابا القوي) كان في

(1) Abu Schiambra (père du fort) était âgé seulement de trente quatre ans. Il était de petite taille, mais il ne manquait pour cela ni de force ni de vigueur, son regard était vif et expressif. Il descendait d'une famille du peuple de Kessine village des monts Ciouff.

Son intelligence et son courage le firent enrôler; encore enfant dans les gardes à cheval par l'Emir Beschir qui l'employa à faire escorter les marchandises des négociants pour les dérober à l'avidité des arabes. Les négociants imploraient la protection de l'Emir et moyenant une somme obtenaient de lui une escorte suffisante pour les garantir de tout danger. Abu Schiembra aussi habile à se servir de l'épée qu'à manier les chevaux, allait audacieusement au devant de tout péril et en peu de temps son nom inspira tant de crainte que personne n'osait se mesurer avec les soldats qu'il commandait dans l'escorte d'une caravane. Il était fidèle à sa parole et inacessible à la séduction du côté de l'intérêt, il s'acquittait des affaires les plus importantes avec un zèle un discrétion et une probité qui lui attirèrent l'aprobation de tous ceux qui se servirent de lui

Une insurrection venait d'éclater dans la montagne contre Mhemet-Ali quand il fit sa soumission. Comme il jouissait d'une grande reputation parmi les montagnards, sa soummission à la Porte et ses conseils entraînèrent un grand nombre à l'imiter; cette conduite le força de s'éloigner de l'Emir Beschir et de gagner le mont Aceepers; avec la compagnie qu'il commandait, il tint longtemps en respect les Albanais et les Arnautes qui infestaient les montagnes. Il attaqua tout seul à Tripoli un détachement de cavaliers sans recevoir aucune blessure, acceuillit avec la même intrépidité près de Beyrouth un certain nombre d'Egyptiens, et après en

الرابعة والثلاثين من عمرهِ ليس الَّا . وكان قصير القامة ولكنه لم يكن ينقصه من اجل هذا قوة او حماسة . وكان نظرهُ حادًّا بليغًا . يتصل نسبه الى عائلة من الشعب من كاسيم (بكاسين) قرية من جبال الشوف وقد أهلتهُ فطنتهُ وشجاعتهُ وهو حديث السن الى التجند في صفوف حرس الامير بشير الخيالة وكان هذا الامير يستخدمهُ حارسًا لبضائع التجَّار ليحميها من مطامع العربان . وكان التجَّار يلجؤون الى حماية الامير ويحصلون ببدل مالي يتقاضاه منهم على خفراء يحافظون عليهم من كل خطر . وكانت براعة ابي سمرا في نقل السيف لا تقل من مهارتهِ في ركوب الخيل فكان يقتحم بكل بسالة المخاطر ولم يمضِ زمان يسير الا واصبح اسمهُ مخيفًا مهابًا حتى انهُ لم يعد يجسر احد على مباراة الجنود التي كان يقودها محافظةً على القوافل وكان صادق الوفاء بعيدًا عن المطامع لا يغره وعد وكان يقوم بالمهمات الاكثر خطارة بغيرة

---

avoir tué de sa main une dizaine il regagna la montagne.

Sa valeur étonnait les siens qui, en le voyant toujours revenir sain et sauf de semblables expéditions lui donnérent le nom d'Abou-Rab (père de Dieu) voulant dire par là qu'il était invulnérable. En se présentant au Pacha avec trois cents des siens il fut très utile à la nouvelle cause qu'il venait d'embrasser.»

César Vimercatti
Constantinople et l'Egypte
deuxième édition page 332

وامانة واستقامة اكسبتـه رضى كل الذين كانوا يستخدمونه

ولما انتشرت الثورة في الجبل ضد محمد علي ادّى فروض الطاعة ولما كانت شهرته عظيمة بين الجبليين تبعه في خضوعه للدولة العلية عدد غفير منهم فاضطر بسبب سلوكه هذا ان يبتعد عن الامير بشير ويلجأ الى جبل (عكّار) وقد حارب طويلًا مع الرجال اتباعه الجنود الالبانية والارناووطية التي كانت تستغير على الجبـال . وقد قابل وحده في طرابلس فرقـة من الخيَّالة بدون ان يصيبه جرح وواقع بنفس هذه الشجاعة بالقرب من بيروت عددًا من المصريين وبعد ان قتل بيده عشرة رجال منهم عاد الى الجبل وكانت بسالته موضوع اعجاب ذويه الذين لما رأوه يعود دائمًا سالمًا من مثل هذه الغارات لقبوه بابي الرب (١) مظهرين بذلك انه لا يجرح . ولما وفد على الباشا مع ثلاثمائة من اتباعه ادّى خدمًا جزيلة للسياسة الجديدة التي انتصر لها . اه

٣ الامير مجيد والعساكر المصريَّة في عيناتا . ابو سمرا في ظهر المتني

وبعد ان نال ابو سمرا ما نال من الاعزاز والكرامة قام من جونيه

(١) « الاصحّ في هذه الكنيــة هو ان رجال ابي سمرا لقبوه نظرًا لشجاعته وهيبته بابي الرعب فسمع المؤلف بهذا اللقب ودونه في مفكرته بابي رب مقتضبًا حرف العين لعدم وجود هاء في لغته . ثم سأل احد العارفين عن معنى ابي رب ففسرها له بابي الله ودونها هكذا خطاء في كتابه . والله اعلم . »

مزودًا بتعليمات السرعسكر وقضى ليلتهُ تلك في عمشيت فلما علم الامير مجيد وهو في اللقلوق ان ابا سمرا نزل الى جونيه واستلم سلاحًا وذخائر حربية ونهض لمحاربتهِ تقهقر برجاله الى اليمونة تجاه بعلبك وبعث الى جده الامير بشير يستشيره في العمل فورده الجواب ان يلبث في اليمونة الى ان تصله نجدة من العساكر المصرية ثم كتب الامير الى ابرهيم باشا في طلب العساكر فصدر الامر الى سليم بك اوتوزبر ان ينهض بالعساكر من طرابلس لينضم الى الامير مجيد فيتهيآنِ لمحاربة عدوهما ابي سمرا . فقام سليم بك بالف وخمسماية من الارناؤوط وجعل طريقه عكّار فقلعة الحصن فالهرمل ووصل الى عيناتا في لحف الجبل تجاه بعلبك وشمالي اليمونة ثم بعث الى الامير مجيد ان يوافيه الى هنالك برجاله وبعد وصوله اليه قر رأيهما على القيام بالجنود الى ارز لبنان فلما علم ابوسمرا بحركاتهم بعث فاعلم السرعسكر فوردهُ الجواب ان يجمع الرجال ويصعد بهم الى ظهر المتني في سطح الجبل الفاصل بين عيناتا والارز

٤ مذبحة ظهر المتني

وبعد ان جمع ابوسمرا الرجال قصد بهم عيناتا فواقع الامير مجيد وسليم بك اوتوزبر وابدى من دلائل الشجاعة ما كان يبديه في كل المعارك التي اصلى نارها مع المصريين وقد قتلت تحتهُ فرسه وكانت من الاصل المعروف بالجلفي وهي الثانية التي قتلت تحتهُ في الحرب

وعند اصيل النهار عاد بالرجال الى سطح الجبل بعد ان قتل من المصريين ثمانية انفار(١) وبدد جموعهم في تلك السهول وبعد ان حاز اللبنانيون هذا الانتصار اخذوا يعودون الى قراياهم لعدم امكانهم احتمال برد الليل في اعالي تلك الجبال فتفرقوا ولم يبق مع ابي سمرا غير ماية نفر للمرابطة فوق ظهر المتني العالي . ومن ثم اخذ سليم بك قائد الجنود المصرية المار ذكره يتهيأ للعود الى قتال ابي سمرا وكان قد جعل جواسيس يستطلعون اخباره فعلم ان معظم الرجال آبوا الى بيوتهم وانه لم يبق مع زعيمهم سوى انفار قلائل فقرّ رايه على ان يفاجئه ليلاً فيفوز بما كان يؤمله من النصر فيكفي الحكومة المصرية شرّ هذا الرجل المخيف . ولما علم الامير مجيد بنيات سليم بك انفذ الى ابي سمرا سرًّا عماد العاقوري المشهور والشيخ دوميط الصعبي ويوسف لطفي يخبرونهُ عن عزم سليم بك ويوصونهُ بالسهر والتيقظ (٢) فبعث حالاً

---

(١) « ولما بلغ الامير مجيد قدومه فرَّ بمن معه الى عيناتا حيث العسكر المصري فتوجه ابو سمرا بالعسكر ونزل في قمة الجبل المسمى سطح المتني تجاههم وفي اليوم العاشر قصدهم ابو سمرا بعسكره والتحم بينهم القتال فقتل من العسكر المصري ثمانية انفار » (اخبار الاعيان ص ٦٠٤)

(٢) « فلما شعر الامير مجيد بقرب زوال حكم الدولة المصرية من لبنان وسورية وبعزم جده الامير بالتسليم للدولة الانكليزية احدى الدول المتحالفات على اخراج المصريين من بلادنا اخذ يقترب من اللبنانيين ليستميلهم اليه طمعاً باكتساب محبتهم لهُ في المستقبل وهذا الذي حملهُ على تحذير ابي سمرا

في طلب الرجال من بشري وما يليهـا من القرى ليهبوا الى القتـال ويحضروا اليه فلم يوافهِ غير القليل من الشجعان ولما كان هذا العدد لا يكفي لمواقعـة المصريين اضطرّ ان ياتي بنفسه الى بشري ليحث الرجال ويجمعهم وياتي بهم الى مواطن الحرب . فترك الرجال المقيمين في ظهر المتني بعد ان حرضهم على التيقظ والانتباه خوفاً من هجوم المصريين عليهم ليـلاً كما انذره الامير مجيد سراً وسلم قيادتهم مدة غيابه الى الشيخ اسعد ضاهر ابي نار

وفي اليوم الثاني عرف قائد الجنود المصرية بغياب ابي سمرا من معسكرهِ فزحف تحت جناح الظلام الى الجهة التي كان عرف ان فيها الاعداء فاستدل على مكانهم من النـار المشبوبة فارسل انفـاراً يستطلعون أحوالهم فوجدوا الخفراء (الصبارة) نياماً من شدّة البرد واسلحتهم معلقة في الشجر بالقرب منهم فاسرعوا واخبروا سليم بك بامرهم فامر بالقاء القبض عليهم ولما مثلوا بين يديه استعلم منهم عن عساكر أبي سمرا فاخبروهُ عن غيابه وعن قلة الرجال الذين في المعسكر فحينئذٍ امر بالهجوم عليهم وباعمال السيوف في رقابهم . فهجم الارناؤوط كالذئاب الخاطفة على المائة رجل وذبحوهم بحد السيف كالغنم ودخلوا خيمة ابي سمرا فوجدوا فيها خمسة عشر رجلاً فاذاقوهم كأس الموت وقد بلغ عدد القتلى ما يربو على الستين رجلاً بينهم الشيخ اسعد ابو نار المارّ ذكره

من مقاصد سليم بك ومراسلته اياه سراً ليحتاط للامر »

٥ معركة عيناتا

وبعد ان تمَّ النصر للعساكر المصرية على الوجه المشروح عقد سليم بك العزم على الزحف برجالهِ الارناؤوط على جبة بشري فخالفهُ الامير مجيد بالرأي قائلاً ان ابا سمرا لا بد حينما يبلغهُ خبر مقتل رجالهِ من ان يجمع اهالي البلاد من جبيل الى البترون ويأتي لقتالنا اخذاً بالثأر فيبيد عساكرنا فخاف سليم بك وعاد بالعسكر الى عيناتا وبعد يوم ابو سمرا برجال بشري وبزعون (التي قتل من ابنائِها في ظهر المتني ستة عشر رجلاً) وسائر القرى المجاورة وواقعهُ في عيناتا فاشتبكَ القتال بين اللبنانيين والمصريين فراج سوق الموت ايما رواج ودامت المعركة ساعات اسفرت نتيجتها عن فوز اللبنانيين الابطال فوزاً عظيماً فقتل من المصريين سبعون جندياً ومن الوطنيين عشرة (١) وقد شوهد من الامير مجيد اهمال في نصرة المصريين وكانهُ شعر بانخذال ابرهيم باشا وتقلص ظلّ ولايتهِ عن سوريا فتراخت منهُ العزائم .

وبعد ان تمَّ لابي سمرا الفوز عاد بالرجال الى بشري وبقي فيها منتظراً ما يرده من السرعسكر من الاوامر

وقد ذكر معركة عيناتا كلٌّ من صاحب تاريخ بعلبك والمرحوم

(١) وفي اليوم الثالث دهم العسكر المصري ابي سمرا في منزله وقتل معسكره ستين نفراً فانهزم الى جبة بشري فجمع رجالاً منها ورجع الى عيناتا واضرم نار الوغى فانهزم العسكر المصري وقتل منه سبعون نفراً ومن جماعة ابي سمرا عشرة وحينئذٍ رجع ابو سمرا الى الجبة (اخبار الاعيان ص ٦٠٤)

الخوري موسى كرم في كتاب خطّ لهُ موسوم « باللطفة الكرمية الى سامي مقام الخلافة العثمانية » وغير مجموعات تاريخية خطيَّة لم نرَ مزيد فائدة بتدوين نصوصها في هذا الكتاب

الفصل الرابع

تسليم الامير بشير للانكليز

وبعد وصول عمارات الدول المتحالفة الى مياه سوريا راسل قواد الحملة سليمان باشا الفرنساوي محافظ بيروت بشأن تسليم المدينة فطلب مهلة اربعة وعشرين ساعة لرد الجواب فلم تعطَ لهُ بل طفقت مراكب الاعداء تطلق القنابل على المدينة مدة يومين حتى دمرت معظمها وفي غضون ذلك بلغ سليمان باشا ان ابرهيم باشا قتل في لبنان فترك بيروت حالاً وفوض امرها الى الامير الاي يدعى صادق بك واتي حيث كان معظم الجيش المصري ليلم شعثهُ ويستلم قيادتهُ مكان ابرهيم باشا ولكنَّ صادق بك جبن في القتال فاخلى المدينة للانكليز وبعد ذلك وردهُ كتابة من سليمان باشا تطمنهُ عن سلامة ابرهيم باشا وعن قرب عودتهِ الى بيروت ولكنَّ صادق بك اسرع فسلَّم المدينة واغار على الاعداء وكان حظ سائر المدن السورية كحظ بيروت فدمرت صيدا وصور وطرابلس ودكت عكا دكاً في ١٣ تشرين الاول من تلك السنة

ولما رأى ابرهيم باشا ما حلَّ بالمدن البحرية جمع جنودهُ من

كل صوب وتقهقر بهم الى بعلبك حيث وافتهُ اليها العساكر التي كانت في حمص وحماة وحلب

واماَّ الامير فكان في بتدين لا يعرف كيف يتصرف في هذه الحوادث وبقي مترددًا في أمرهِ اهو يلحق بابرهيم باشا ام يسلم نفسه للانكليز وقد كان اتفق في ٥ ايلول مع القومندان ستوفور الانكليزي على الاعتراف بولاية السرعسكر محمد عزت باشا العثماني على مصر وسوريا وانهُ لا يعترف من بعد الا بسيادة الباب العالي وكان من شروط هذا الاتفاق ان تبقى ولاية الجبل لهُ كما كانت في السابق وضرب اجلًا معينًا لتسلمهِ ولكنَّ الامير تأخر عن الميعاد اما لكونه لم يكن بعد مال الى الاعتقاد بامكان انكسار الدولة المصرية وتقاص ظل سلطتها من بلاد سوريا واماَّ لكونهِ كان يخشى من المظاهرة بالتسليم للانكليز واولاده واحفاده كانوا لم يزالوا بين العساكر المصريَّة فكان ينتهز الفرص لا يقافهم على افكارهِ واتخاذ رأيهم في الخطة التي يحصل لهُ ولهم اكثر فائدة في اتباعها . ومماَّ يثبت تردد الامير في الامر انهُ اوفد احد معتمديه (١) الى قنصل فرنسا في صيدا يستشيره سرًّا في هذه المسألة فكان جواب القنصل يشفُّ عن قلة امله بفوز الدولة المصرية وعدم امكان نهوض الدولة الافرنسية لنصرتها على اعدائها

(١) وكان رسوله في هذه المهمة المثلث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج وكان يومئذٍ من الكهنة المقربين من الامير بشير

المتحالفين مع الدولة العلية على اخراجهـا من سوريا . حينئذٍ اعتزم الامير على التسليم ولكنَّ المدة كانت قد انقضت وحضر الامير بشير قاسم الملقب بابي طحين (١) الى جونية فنصبهُ السرعسكر مكان ابن عمهِ الامير بشير عمر الكبير وخلع عليهِ خلعة الولاية واما الامير بشير عمر فانهُ بعد ان بعث بالسعـاة الى اولادهِ ليوافوه الى بيروت لتأدية الطاعة لدول التحالف ترك بتدين بعد ان وضع امواله في محـلات امينة وعهد الى المشائخ آل حماده من بعقلين مناظرة سرايته ودوره وجاء صيدا فوجد الاميرال ستوفور قد سبقـهُ الى بيروت وعرف بعد وصوله بخلعهِ من الولاية واستقرار الامير بشير قاسم مكانه . ثم نقله قبطان انكليزي الى بيروت حيث انتظر مجي اولاده واحفادهِ وبعد وصولهم اليهِ نقله مركب انكليزي مع عائلتهِ وحاشيتهِ الى مالطا حيث اقام مدة ودُعي الامير بشير المالطي لذلك ثم نقل الى الاستانة وفيها توفي سنة ١٨٤٩ وهكذا انتهت حياة هـذا الامير او بالاحرى هذا الملك لانهُ حكم في لبنان وما يليها كملك عظيم الشأن جليل القـدر زهاء خمسين سنة رحمهُ الله رحمةً واسعة

٢ هرب الامير مجيد من عيناتا وما جرى لهُ

واما الامير مجيد فبعد انكسارهِ مع العساكر المصرية من ابي سمرا

(١) زعموا انهُ لقب هكذا لانهُ اشتهر بتوزيع الطحين على المحتاجين في سنين الجوع وقيل غير ذلك والله اعلم

واللبنانيين في عيناتا ورده ُ كتابة من جده الامير بشـير مع احد خدامهِ الامناء يوصيه ُ فيها ان يتشدد ويثبت في الحرب ويكون امينًا في خدمـة دولة ابرهيم باشا وصادق النصح لقائد الجيوش المصرية فتلى هذه الكتابة على مسمع من سليم بك فسرّ بها كثيرًا وبعد هذا قام الى خيمتـهِ وهنالك استأذنهُ الرسول بالدخول عليهِ ولمَّا خلا بهِ اخبرهُ الرسول ان جدهُ سلَّم للانكليز وانهُ على أهبة السفر الى صيدا ويحثهُ على الهرب من المعسكر المصري والفرار من غضب ابرهيم باشا فلما وقف الامير مجيد على هذه الاخبـار اخذ في الاستعـداد للسفر وكانت خيامهُ وخيام رجاله منحرفة عن خيام الجنود المصرية فاوعز الى قومهِ ان يبادروا الى الهرب ليلًا دون جلبة وضوضاء واوعدهم بان يلتقي بهـم في جرود كفر سلوان ولم يبق معـهُ غير عشرة من الفرسان فقام بهم وسار تحت جناح الظلام طالبًا النجاة ولم تمضِ لهربهِ ساعة او ساعتان من الزمان الا وورد من ابرهيم باشا امر الى سليم بك اوتوزبر بالقاء القبض على الامير مجيد ورميه بالرصاص ان حاول الفرار فقام سليم بك وقصد مع نفر من الجند خيام الامير مجيد فوجدها خالية من كل ساكن وقد خلفها اصحابها ومصابيحها موقدة ونارها مشبوبة فعاد بصفقة المغبون

وامَّا الامير مجيد فبعـد وصوله الى جرود كفر سلوان اجتمع برجاله على عين الدرزية وانحدر بهم الى كفرسلوان ولما دخلها وعرف

بهِ الامير بشير قاسم الوالي الجديد ارسل رجالاً القوا القبض عليهِ وعلى اتباعه وساقوهم بعد ان سلبوهم اسلحتهم الى حمانا حيث كان الامير الوالي فقابلهم هذا بكل خشونة واخذ يهدد الامير مجيد وينذره بغضب السرعسكر فقال لهُ الامير مجيد اني لا اطلب منك مساعدة او توصية وانما اسألك ان تبعث بي الى السرعسكر فامَّا ان تطلق سراحي لاذهب اليهِ وامَّا ان ترسلني اليه مخفورًا كما فعل بي قومك الذين سيَّرتهم اليَّ الى كفر سلوان فاغلظ الامير بشير لهُ الكلام وتهدَّدهُ بأشدّ العقاب ثمَّ أرسلهُ محفوظًا الى السرعسكر ولمَّا وصل جونية احلَّ السرّعسكر وفادتهُ وردَّ لهُ سلاحهُ وخيَّرهُ في البقاء عندهُ او اللحاق بجدّهِ فطلب الاجتماع بجدّهِ فأُجيب الى ما طلب وأُنزل في البحر حيث كان جدّه بانتظاره

٣ معركة عيناتا الثانية وحضور أبي سمرا الى بيروت

وبعد فرار الامير مجيد من معسكر عيناتا وتسليمه للسرعسكر كما ذكرنا عاد أبوسمرا فجمع رجال جبة بشري البواسل وسار بهم الى نزال سليم بك والعساكر المصرية التي كانت لم تزل مرابطة في عيناتا وقد جرت هنالك بين عساكر اللبنانيين والمصريين معركة (١) عظيمة

(١) ثم ارسل السرعكسر ابا سمرا ليجمع رجال الجبة وبلاد جبيل والبترون ويحارب العسكر المصري المجتمع في عيناتا فجمعهم وصار موقعة عظيمة هنالك (اخبار الاعيان ص ٦٠٨)

دَحرْ فيها ابو سمرا برجالهِ جيش سليم بك وظلَّ في مطاردته الى ان مالت الشمس الى المغيب حينئذٍ عاد الى بشري وتقهقر المصريون الى زحله حيث كانت قد اخذت تتجمع سائر الفرق المصرية بقيادة القائد الاكبر ابرهيم باشا ولما لم يبقَ في جهَّات الجبة وما جاورها من الامكنة الخاضعة لمشيخة ابي سمرا عدوٌّ ينازلهُ رأى السرعسكر ان لا لزوم لبقائه في تلك الجهَّات فاستقدمهُ اليهِ الى بيروت فلبى الامر مسرعًا ولما استأذن بالدخول على السرعسكر وجد في مجلسهِ احمد باشا اليوسف وكان ترجمان الحديث بين السرعسكر وابي سمرا وقد اطنب في مدحه وسرد لعزت باشا تاريخ حياته واعماله فاعتجب ببسالتهِ وشكرهُ على خدماتهِ في جانب الدولة والوطن وبعد انتهاء المقابلة امر السرعسكر بشادر لابي سمرا وحاشيتهِ وان يكون في ضيافتهِ ولما انصرف من حضرة عزت باشا رافقهُ احمد باشا الى الخارج واقبل عليهِ يقبلهُ كولدهِ ويبثهُ فرحهُ من رؤيته وسروره من جرأته التي كانت تضرب بها الامثال ثمَّ دعاهُ في مساء ذلك اليوم لتناول العشاء على مائدته واهداه حصانًا من جياد الخيل

٤ ابو سمرا ضابط على خمسماية رجل · مطاردته المصريين في وادي الحرير

وبعد ايام استدعى محمد عزت باشا اباسمرا والشيخ علي حماده وعلي قاسم قدور وعين كلًّا منهم ضابطًا على خمسماية نفر فحين بلغ الامير بشير قاسم الوالي ذلك سأل ان يكون الضباط مع الالف

وخمسماية نفر الذين تقرر تعيينهم في الجبل تحت امرته وطوع قيادته ليرسلهم مع من عنده من الرجال في اثر العساكر المصرية ليتم اخراجها من بلاد الشام فاجابهُ السرعسكر الى طلبهِ وامر الضباط الثلاثة ان يوافوا الامير الى حمانا ليأتمروا بامرهِ ويكونوا تحت سلطتهِ فاذعنوا للامر وجاؤوا الى حمانا وهنالك اجتمع امراء الجبل ومشائخه وذوو الاقطاع برئاسة الامير بشير قاسم وتداولوا في امر اعادة الكرة على ابرهيم باشا وجنوده فقرَّ رايهم ان ينهضوا بالرجال لمحاربته وكتبوا الى السرعسكر ان ينجدهم بالاي من العساكر الشاهانية فلم يفعل واجابهم بانهُ يعتقد بمقدرة اللبنانيين وكفاءتهم بدون احتياج الى مساعدة جنود الدولة لجهلها البلاد واحوالها . حينئذٍ قرَّ رأي المجتمعين على اثارة حميَّة اللبنانيين واستنهاض شجاعتهم تحريضاً لهم على قتال المصريين فاجابوهم الى ندائهم واخذ يتوارد النصارى والدروز الى حمَّانا ولما بلغهم ان ابرهيم باشا قام بجيشه متوجهاً الى الشام امرهم الامير بشير قاسم ان يطاردوه الى سهل البقاع ولعدم وجود نظام يتمشون عليهِ في حركاتهم الحربية سار كل قسم منهم في طريق . فالبعض توجهوا الى زحله وغيرهم الى غيرها واما ابو سمرا فسار برجاله الى بوارش ومنها الى بر الياس وظلَّ سائراً مع ابن اخت له اسمهُ ذيب ورجال من بلدهِ واخرون من عائلة ابي ملهب من بمهرين وعيد ابي حاتم المشهور مع بعض اقاربه من حمَّانا حتى ادرك العساكر المصرية عند

مصنع المجدل وكانت هذه العساكر مدبرة لا تلوي على شيء فهجم عليها في مقدَّمة الرجال ففصل موخر الجيش عن باقيهِ واعمل في رقابهم السيف وكان اتباعهُ يسلبونهم اسلحتهم ويرسلونهم مكبَّلين الى معسكر الامير بشير في زحله وظلوا يطاردون موخر المصريين الى وادي الحرير وقد أظهر المصريُّون من الجبن والخوف ما أدهش أبا سمرا نفسه حتى كان يذكر ذلك متعجباً كأنَّ هؤلاء العساكر غير اولئك الابطال الذين قادهم ابرهيم باشا في الماضي من انتصار الى انتصار ومن فتوحات الى فتوحات كانهم السيل الجارف

٥ جرح ابي سمرا وقتل ابن اخته

وبينما كان أبوسمرا يفتك بالمصريين ويسقيهم كاسات الردى وابن اخته ذيب بالقرب منهُ يخوض جموعهم كالاسد الزائر مقتدياً بخالهِ واذا بجندي أرناؤوطي قد اطلق عليهِ بندقيَّتهُ فاصاب بطنهُ فصاح ذيب متوجعاً مستغيثاً : آه يا خالي قتلت فانتهرهُ خاله قائلاً : عارٌ عليك يا ذيب ان تخاف وخالك بقربك . تشجَّع وتثبَّت على ظهر حصانك قال هذا وأسرع اليهِ فما أدركهُ الَّا وسقط مجندلاً على الحضيض ثم صرخ : آه وآخالاه اني مائت لا ارجو الحياة فدعهم يقتلوني وانجُ بنفسك لئلا يقتلوك ايضاً . ولكن كيف يتركهُ ابوسمرا ولا ينتقم لهُ من قاتله فانهُ استل سيفه واغار على الارناؤوطي ليفتك بهِ

فما كان من هذا الّا ودخل تحت بطن الحصان وامسك في لجامه واوقفه عن المشي وبينما كان ابو سمرا يفكر في كيفية ضربه بالحسام دون ان يجرح الحصان اطلق العدوّ عليهِ في تلك الفترة غدارة فخرق الرصاص سرج الحصان ومرَّ في اعلى الفخذ ونفذ من اسفل البطن خارجاً من قرب المستقيم فاجفل الحصان من صوت البارود وطفر من فوق الارناؤوطي الذي لم يقوَ على امساكه فهجم ابو سمرا عليهِ حينئذٍ وحكم في رقبتهِ السيف فعزل رأسه عن جسمه وكانت المرة الرابعة التي جرح فيها ابو سمرا في الحرب . وبعد ان قتل الارناؤوطي لم يبال بجرحه بل انقض على الاعداء انقضاض الصاعقة وهو يزبد ويرغي كانهُ عنترة الفوارس فقابلهُ المصريون باطلاق النار فاصابت رصاصة حصانه فقتلتهُ وهو الحصان الثاني الذي قتل تحتهُ في الحرب وكان نفس الحصان الذي قدمهُ لهُ احمد باشا اليوسف من اصل خيل بيت عبد الملك

فلما رأى اللبنانيون ما حلَّ بابي سمرا حملوه مع ابن اخته الذي كان لم يزل حياً بعد وجاؤوا بهما الى مجدل عنجر . وفي اليوم الثاني فارق ذيب هذه الحياة بعد ان تمم واجباتهِ الدينية فبكاه خاله بكاء مرًّا وجرى دفنه غربي القرية في ناووس من حجر

٦ شفاء ابي سمرا . اللبنانيون يطاردون المصريين الى غزة .
دخول ابرهيم باشا الى مصر

وبعد دفن ذيب طلب ابوسمرا ان ينقل الى زحله فملئت عدليتان تبنًا ووضع بينهما لعدم مقدرتهِ على الركوب وجاء على هذا النمط الى زحله ودعا اليهِ داود الجهامي من دير القمر وسأَلهُ ان يتولى معالجتهُ فلازمهُ عشرين يومًا حتى نال الشفاء وبعد ذلك أَتى الى قب الياس حيث كان الامير بشير الوالي وأَقام فيها ايَّامًا . وفي خلال ذلك ورد أَمر من السر عسكر الى الامير لينهض بالرجال ويسير في اثر ابرهيم باشا الى جبل نابلس فاجتمع اللبنانيُّون حول الامير وابوسمرا في وسطهم وقاموا الى البقاع فسوق الخان فميميس الجبل في بلاد بشاره فصفد وفي صفد حدث خلاف بين الشيخ حسين تلحوق والامير عبد الحميد ابن الامير ملحم افضى الى انفصال الشيخ التلحوقي عن سائر اللبنانيين فقام برجالهِ الى عكَّا فأَرسل الامير بشير الوالي الشيخ منصور الدحداح مدبرهُ يسترضيه فلم يفلح . ومن صفد قام اللبنانيُّون الى طبريا فيافا ومكثوا في يافا عشرة ايَّام حضر في خلالها عائدين من مصر مشائخ الدروز نعمان بك جنبلاط والشيخ حمود نكد وابن عمهِ الشيخ نصيف والشيخ خطَّار العماد والشيخ عبد السلام العماد لابسين الخلع من محمد علي باشا عزيز

مصر فخرج اللبنانيُّون الى ملاقاتهم وهم يهزجون ويطلقون البنادق فرحًا وابتهاجًا بعودهم الى الاوطان وكان اطلاق البنادق ليــلًا فلما سمع خيالة الاسباهية صوت البارود ظنوا ان العســاكر المصريَّة دهمت جموع اللبنانيين وهم في مراقدهم فبادروا الى الهرب واجتازوا نهرًا هنالك لا يلوون على شيء فغرق منهم في النهر عشرون نفرًا

وبات مشايخ الدروز تلك الليلة في المعسكر ولمَّا أَصبح الصباح ذهبوا للسلام على الامير ولمَّا مثـلوا بحضرتهِ أخذ يوبخهم على لبسهم خلع العزيز محمد علي وحدَّثهم قائلًا : ما هذه الخلع والنياشين التي تنقلونهــا ؟ أتظنون انكم من رعايا الدولة المصريَّة ؟ او سهى عن بالكم انَّ من خالف أَو وافق او قبــل هديَّةً او علامة شرف من محمد علي هو عدوي وعدوّ البلاد والدولة ثمَّ أَمر ان تؤخذ منهم النياشين والخلع فانصرفوا من عنده يبطنون لهُ الغيظ ويكتمون في القلوب نار الحقد والعدوان

ومن يافا سارت العساكر لمطاردة ابرهيم باشــا فأدركتهُ في غزَّة وقاتله اللبنانيُّون قتالًا شديدًا وقد أَبلى أَبوسمرا في هذه المعركة كعادته بلاءً حسنًا وقتــل بحد السيف احد قواد الهنادلة المصريين واخذ فرسه وما زال في كرٍّ وفرٍّ حتى اصيبت فرسه برصاصة في رأسها فقتلتها فوقع على الارض صريعًا يشكو المًا من جرحهِ السابق الذي انتضى ناكسًا ينزف بعد برئه وهــذه الفرس هي الثالثة التى قتلت

تحته في الحرب وكانت من اصل ام عرقوب من خيل بيت ابي غصن من مرج البقاع

وكانت هذه المعركة اخر المعارك التي دارت رحاها بين اللبنانيين والمصريين فظل ابرهيم باشا متابعاً السير الى مصر تحدق به المخاطر وتحف بجيوشه المخاوف في بلاد تحالف سكانها على اختلاف المذاهب والنحل على عداوته والتنكيل به وقد قاسى جيشهُ من الشدائد في رجوعه الى مصر ما لم يسبق حصوله لغيره من قبل وقد حلَّت بهِ نكبات الجوع والعطش وبلايا البرد والثلج ونزلت به الامراض والاوبئة والاعداء كامنة لهُ في كل وادٍ او طريق او ممرّ اومضيق حتى كان يضطر احياناً الى النكوص على اعقابه وهو لا يعرف سبيلاً يهتدي اليه للنجاة والخلاص واخيراً دخل مصر بعد تعب شديد ونصب ما عليه مزيد بعد ان فني العدد الاوفر من رجاله . وتقرَّر من ثم بقاء محمد علي والياً على القطر المصري مع حق الارث من بعده لكبير بيته وكلف بدفع جزية سنوية الى خزينة السلطنة العثمانية العلية وهكذا لم يقم من بعد خلاف يذكر بين التابع والمتبوع الى يومنا هذا

الجزء الثالث

الفصل الاول

١ رجوع اللبنانيين الى اوطانهم — ٠ ابو سمرا في يافا

وبعد واقعة غزة عاد الامير بشير قاسم مع ذوي الاقطاع ورجال لبنان الى اوطانهم ولما وصلوا الى جسر الاولي امر ان يذهب كلٌّ منهم الى بلده فانفرط عقدهم وتفرقوا الى بيوتهم واما ابوسمرا فلما كان قد انتقض جرحه حين سقوطه في الحرب كما بينا لم يعد بامكانه الرجوع مع الامير الى لبنان فانتقل الى يافا ونزل فيها على مطران الروم الكاثوليك فارسل هذا كاهناً عنده يدعى الخوري اسطفان الصوصه الى السر وود الانكليزي يخبره بامره فاعلم المذكور سليم باشا قائد الجند العثماني بخبره فحضر مع طبيب الطبجية الى القلاية لاستفقاده والسؤال عن صحته. واما الطبيب فاشار عليهِ باستعمال المرهم والفتيل وعلّم احد رجاله نمر منصف طريقة تعاطي العلاج . وقبل ان ينصرف سليم باشا من عنده كافأ أبا سمرا بمال جزيل لقاء خدمته الدولة . وهنا مجال للتصريح بان ابا سمرا لم يكن لهُ راتب مخصوص معين من الدولة ولم يكن همه في كل الاعمال التي قام بها كسب الدراهم والدينار كلّا فلو كان ذلك لاصبح مثريًا شهيرًا واسباب الغنى ومسهلاتهُ كانت موفورة لديهِ فلم يسعَ لنوالها وانما غايته الوحيدة كانت متجهة الى

احراز المجد والفخر واكتساب طيب السمعة وحسن الاحدوثة بين مواطنيه ففاز بالمأمول وخلف بين اللبنانيين على اختلاف المذاهب والمشارب صيتاً بعيد الشهرة واسماعا طرًا مشرفًا

وبعد ان اقام في قلاية الروم الكاثوليك مدةً نال فيها تمام الشفاء اتى سليم باشا واستأذنهُ بالانصراف الى وطنه فاذن لهُ وقال لهُ ان يوافيهُ الى بيروت بعد ان يكون نال النصيب الاوفر من الراحة

٢ ابو سمرا في بكاسين ـ ابو سمرا والاعتراف ـ عند البطريرك

ودع ابو سمرا سيادة المطران واهل القلاية بعد ان شكرهم على حسن عنايتهم بهِ فقام من يافا عائدًا الى بكاسين مسقط رأسه وهي اول مرة يعود اليها بعد خروجهِ من بيت ابيه . ترك بكاسين ولدًا مجهولاً خامل الذكر والان يعود اليها بطلًا مشهورًا وفارسًا مغوارًا وقائدًا باسلًا فكيف تجري في استقبالهِ هيئات لوفادته عليها بعد طول الغيبة ؟ ما علم البكاسينيون بوصولهِ الى صيدا الا واخذوا يستعدون لملاقاتهِ استعدادًا فائقًا وخرج رجالهم ونساؤهم واولادهم خارج القرية واجتمع اليهم عدد وافر من اهالي القرى المجاورة ولما شاهدوه مقبلاً من بعيد اطلقوا العيارات النارية استبشارًا ورحبوا به منشدين الاغاني الوطنية والاهازيج اللبنانية المعروفة بالحدا وكانت النساء يزغرن وهنَّ حاملات البخور المحرق وقماقم الروائح وقرعت اجراس

الكنائس كانه يوم عيد واي عيد ودخل هكذا الى القرية ممتطياً جواده بين دوي البارود واصوات التهليل

وبقي ابو سمرا في بكاسين الى ان جاء سليم باشا الى بيروت بصفة والٍ مكان زكريا باشا فاستقدمهُ اليهِ وجعلهُ ياوراً ملازماً لهُ وفي ذلك الوقت كان ابو سمرا يطلب الاعتراف من الكهنة فلم يشأْ احد منهم ان يحله زعماً منهم انه مرتكب لجريمة القتل المحفوظ حلّها للروساء العظام ولما كان شديد التعلق بالدين متحمساً لهُ ساءه ان يكون محروماً من شركة المؤمنين ومن عدم قبولهِ لاسرار الديانة المقدسة فعزم على الذهاب الى غبطة البطريرك وقام متوجهاً الى ساحل علما حيث كان فيها يومئذٍ المثلث الرحمة البطريرك يوسف حبيش فلما ادخل عليهِ رحبّ بهِ كثيراً وصاح بهِ اهلاً وسهلاً بابي الفرسان عنترة اهلاً وسهلاً بك يا ابا سمرا عقيد رجالنا فخرّ ابو سمرا على الارض ليقبل يده ويشكره على حفاوتهِ به . وقد لبث في ضيافة ذلك السيد الجليل ثلاثة ايام قصّ فيها عليه ما جرى له وتوقع وذكر له اثناء حديثه امر الاعتراف فسأله البطريرك اذا كان قتل احد عمداً فاجابه : في الحرب فتكت بكثيرين وفي غيرهِ لم ارتكب جريمةً فاثنى عليه ومدح من جهادهِ في سبيل الوطن ومحاماته عن ملته ووطنه والاخلاص للدولة العلية وسلمه كتابة يامر فيها اي كاهن كان ان يسمع اعترافه ويحله من خطاياه اذا سأل ذلك بعد استيفاء الشروط والتعليمات

الكنائسية المرعية وبقيت هذه الكتابة مع ابي سمرا لا تفارقه قط الى ان اخذ اسيراً في جبل الاكراد كما سيأتي تفصيل ذلك في حينهِ

٣ ابو سمرا عند الامير بشير الوالي — انعام الدولة على زعماء اللبنانيين

وبعد ان تزود بركة البطريرك عاد الى بيروت واقام عند سليم باشا مدة لم يأتِ فيها عملاً يستحق ذكرهُ في هذا الكتاب ثم طلبهُ الامير بشير الوالي ليكون في خدمتهِ فاذن له سليم باشا بذلك وجعله الامير بكباشياً على الرجال الموظفين للمحافظة على الراحة . وفي اثنا ذلك اي سنة ١٨٤١ جاء مصطفى باشا احد اصهرة السلطان الى لبنان يحمل الى اهم رجاله بعض التقادم المالية انعاماً لهم على حسن قيامهم بخدمة الدولة العلية وكانت هذه الانعامات متفاوتة الكمية بين الثلاثين الف والعشرة الاف غرش فخص الامير بشير الوالي بثلاثين الف غرش وخصَّ ابوسمرا باربعة وعشرون الف ومثل هذا او دونه الى بعض الامراء الشهابيين واللمعيين والى بعض المشايخ من الدروز والنصارى والى يوسف الشنتيري وغيرهم فقابل اللبنانيون هذه الآلاء السلطانية بالشكر والدعاء وغدوا ممتنين من دولتهم العلية سائلين لها نصراً وفتحاً



الفصل الثاني

١ خلاف بين الدروز والنصارى — قتال بين اهالي دير القمر واهالي بعقلين

وبعد انتهاء الحرب بين اللبنانيين والمصريين بات الناس يؤملون ان يصفو لهم العيش مدةً ولكن املهم قد خاب وكيف تستتب الراحة في بلاد كثرتْ فيها الغايات وتعددت الاحزاب وتباينت المشارب. فان الدروز لم يرضوا عن ولاية الامير بشير قاسم الذي اساء معاملتهم باحتقاره اعيانهم في يافا كامر وبخلع ولايتهم عن بعض المقاطعات ليسلمها لقومٍ من ذويهِ واقاربهِ والنصارى ساءتهم ولاية هذا الامير مكان ابن عمه الامير بشير الكبير لفظاظة طباعه وسوء تدبيره وضعفه فكانوا يعملون في اخفاض شأنه واخذوا يوغرون عليه الصدور ليجعلوه ممقوتاً من الشعب فيهب الى طلب اعادة الامير بشير عمر من منفاه ورده الى ولايته ولكنَّ الفريقين وان اتفقا مبدأً الا انهما اختلفا في اتخاذ الوسائل المؤدية الى الغاية فالنصارى كانوا يرجون ادراك مرغوبهم بالطرق السياسية واما الدروز فبالقوة المسلحة

وقد اتفق انهُ حدث في شهر حزيران من سنة ١٨٤١ قتال بين احد اهالي دير القمر ورجل من بعقلين بشأن قنص حجل افضى الى معركة دموية بين الديريين والبعقليين قتل فيها من الفريقين رجال. فلما بلغت اخبار هذه الحوادث مسامع البطريرك يوسف

حبيش السعيد الذكر بادر الى ازالة دواعي النفور والشحناء بين الطائفتين قبل ان يتسع الخرق فارسل الى الامير بشير يستحثه للمبادرة الى القاء السلام بينهم فاناب هذا عنهُ الامير اسمعيل علي وبعث به الى دير القمر مع بعض الوجوه وارسل البطريرك بعضاً من المشائخ الخازنيين والحبيشيين والدحادحة واصحبهم بكتابة الى المشائخ نعمان جنبلاط وحمود ونصيف النكديين طالباً منهم المساعدة في حسم النزاع وعقد الصلح بين الطائفتين وكتب الى اهالي دير القمر يحرضهم على الاذعان والانقياد فتم بهذه الوسيلة عن يد مَن ذكرنا الصلح وعاد كلٌّ الى مكانه واما الدروز فكانت نيران الحقد والعدوان تتاجج باطناً في قلوبهم وقد اتفقوا سراً على الاخذ بالثار وضربوا لذلك موعداً يوم يتوطن الامير بشير الوالي دير القمر التي كان عزم على اتخاذها كرسياً للولاية. ولما نهض الى الدير بحاشيته اخذ الدروز يقطعون الطرق في وادي التيم ووادي القرن وبكا بنواحي حاصبيا وراشيا فقل الامان وكثرت المخاوف والتعديات على ابناء السبيل وبات الناس لا يأمنون على مالهم وارواحهم فاستأ الامير بشير من ذلك خصوصاً لما علم ان هذه المظاهرات كانت موجهة كلها ضده للحط من قدرهِ ولاظهار عجزه وضعفهِ عن المحافظة على الراحة في ولايته

٣ ابو سمرا في راشيا . — نجم العريان

وقد اراد الامير ان يرسل قوةً مسلحةً من لبنان الى جهات

راشيا للمحافظة على الراحة وتأثر قطاع الطرق فاستدعى اليه ابا سمرا وامره ان يجمع رجالاً ويسير بهم الى تلك الانحاء ويمنع بالقوة تعديات الاشقياء واصحبه بكتابة الى الامير افندي شهاب صاحب راشيا يفيده فيها عن مهمة ابي سمرا والغاية من بعثه الى تلك الاطراف

فنهض ابو سمرا بالخمسة والعشرين نفرًا الذين كانوا دائمًا تحت أمرته وجاء بكاسين واختار من شبانها خمسة عشر رجلًا وسار بالكل على طريق عيتنيت ومنها الى ينطا فبات ليلته تلك في هذه القرية ولما عرف به اهلوها وفدوا للسلام عليه وبعد انصرافهم اختلى به شيخ البلد رافع تقي الدين وسأله عن قصده فاجابه انه ذاهب الى راشيا لاجل المحافظة على الطرقات ولقطع دابر الاشقيـاء الذين يعيثون فسادًا في وادي الحرير ووادي القرن وطلب من الشيخ هذا ان يصحبه بانفار من ينطا وحلوى لمعرفتهم البلاد واحوالها فاجاب الشيخ رافع قائلًا: اني اسر اليك بان قطاع الطرق هم من بلدنا ينطا ومن حلوى وان المحرك لهم الى ذلك هو عائلة العريان فانصحك الا تذهب حيث انت ذاهب فقال ابو سمرا لا بدّ لي من الوصول الى راشيا والوقوف على جليَّة المسأَلة لاكون على بصيرة مما اجاوب به الامير بشير . فتركه الشيخ وشأنه ولم يزده ايضاحًا . وفي اليوم الثـاني نهض برجاله الى راشيا ونزل فيها على بيت ابي حمد الحلياني ووزع رجاله على بيوت السريان الكاثوليك في حارة العنـاحلة وبعد هذا جاء دار الامير

افندي وسلمه كتابةً من الامير بشير قاسم ففض ختامها وقرأها ولم يكتم حين تلاوتها غيظه واستياءه ولما اتى على اخرها سأله ابوسمرا قائلاً : ارى سعادة الامير غير راضٍ من الكتابة ايمكني ان اعرف سبب ذلك فاجابه الامير وقال : « ان ابن عمنا الامير بشير قاسم يتقلّد في الاحكام الامير بشير عمر ويجهل او يتجاهل ان اللبنانيين غير راضين عن ولايته ولا يريدونهُ حاكمًا وهو رجل لم يحسن السياسة لا مع اقاربه ولا مع ذوي الاقطاع من النصارى والدروز واعلم ان الاضطراب السائد في هذه الجهات وقطع الطرق وحوادث القتل والسلب كل هذا هو بدسائس بيت العريان بايعاز من مناصب الدروز والمأمورية التي جئت بها لا تقوى على اتمامها لا انت ولا انا فتدبر . . » وقضى ابوسمرا تلك الليلة في راشيا وفي اليوم الثاني حضر نجم العريان عند الامير افندي وسأله عن سبب مجيء ابوسمرا بالرجال الى راشيا . فاجاب الامير وقال : انه اتى لامر من الامور فقال نجم نحن عارفون المسألة فقد ورد كتابة من ينطا الى ابن عمي شبلي (شبلي باشا العريان المشهور) وابن عمي طلبني اليه وامرني ان اقابل اباسمرا فاحضره لنتداول معه . فاستدعى الامير اباسمرا ولما حضر خاطبه نجم قائلاً : ماذا اتيت تفعل في ارضنا فاجابه مازحًا . جئت لمشاهدتكم وللحظوى بسوال خاطر الامير افندي . قال نجم : اننا فهمنا المسألة وانت جئت للمحافظة على الطريق في بلادنا ولكن كان الواجب ان

يحافظ على الطريق في ايام الامير بشير الكبير وليس في ايام الامير بشير هذا وليعلم اننا لا نعترف بولايته علينا ولسنا باتباع له وانما نحن تابعون لحكومة الشام ومن وظيفة حاكم الشام ان يحافظ على الطريق وهنا تفوه بكلام لا يليق بكرامة الامير الوالي فقاطعه ابوسمرا قائلاً: لا يليق ياشيخ نجم ان تتكلم بمثل هذا الكلام بل قل قولاً اديباً لان من كان نظيرك لا يستحق ان يكون خادماً لآل شهاب فكبر هذا الكلام على نجم وخاطب اباسمرا قائلاً. اصمت والا تمت واخمدت انفاسك ولو كنت في مقعد الامير ووضع يده على قبضة السيف فصاح ابوسمرا صيحة مرعبة واستل سيفه وهجم على نجم ليفتك به ولكن الامير افندي وولده الامير محمد واخاهُ وقفوا بينهما وامسكاهما عن القتال ثم اخرجوا اباسمرا من المقعد وادخلوهُ غرفةً ثانيةً واقبلوا على نجم يلومونه على فعله فكلمهم وقال ان بقي ابوسمرا هنا مع رجاله حدث بيننا وبينه ما لا تحمد عاقبته ثم قام منصرفاً وكتب الى ابن عمه الشيخ شبلي محافظ حاصبيا يومئذٍ يخبرهُ بما كان

٣ ابوسمرا وعبد السلام بك العماد

وبعد انصراف نجم العريان من عند الامير افندي اقبل هذا على ابي سمرا وسأله ان يعود سريعاً الى دير القمر خوفاً من حصول ثورة في البلاد بسببه فمال ابوسمرا الى رأيه فقام في مساء ذلك اليوم

الى كامد اللوز وبعد وصوله اليها بعث اهاليها فاعلموا بقدومه عبد السلام بك العماد فاضطرب هذا وقر رايه على استدعاء اقاربه من تل ذنوب ودير طحنيش وغزة البقاع للمفاوضة معهم وكان عنده يوسف اغا لطفي البكاسيني فمنعه عن ذلك وصرح له بعزمه على الذهاب الى مقابلة ابي سمرا في كامد اللوز للاستعلام منه عن سبب حضوره بعدد من الرجال الى تلك الجهات . فعدل عبد السلام عن استقدام اقاربه الى ان يرجع يوسف لطفي . ثم حضر هذا واجتمع بابي سمرا وعلم منه ما ذكرنا من الحوادث وانه لم يدخل كامد اللوز الّا ليستمد راحةً من مشقة السفر ولتناول الطعام وبعد ان فهم يوسف لطفي حديثه مال به الى ناحية واخذ يقص عليه سرًا ما هو جارٍ في دير القمر قائلًا : لا يمكنك ان تسلك الطريق الى دير القمر بل سافر من هنا الى جزين لان الدروز قد حاصروا الدير ولا سبيل لاحد بالوصول اليها وعبد السلام مع اقاربه لا يدعون احدًا من البقاع الغربي ان ينتقل من مكانه فالراي عندي ان تقوم معي الى جب جنين لزيارة عبد السلام متظاهرًا هكذا بجهلك الحوادث وماجرياتها ثم تنصرف الى حيث تشاء فاجابهُ ابو سمرا الى ذلك وقام برجاله الى جب جنين فاجلّ عبد السلام استقباله واكرم وفادته كما هو شأن الدروز مع ضيوفهم والحّ عليه بالبقاء الى ثاني يوم فاعتذر ابو سمرا بداعي كثرة الرجال الذين معه وبعد انصرافه من عنده جاء سمعان

الحاج احد وجهاء القرية واستعلم منهُ عن الاشاعات المتواترة بشأن تهييج الدروز فاعلمه سمعان ان هولاء قد توافقوا على خلع الامير بشير وعلى خراب دير القمر فلما فهم جلية المسألة دبت في عروق بطلنا نار الحمية والنخوة فدعا اليه رجاله وسار بهم تحت جناح الظلام الى جزين جاعلاً طريقه على جسر القرعون فمشغرة فشجرات الهواء ومن هناك انحدر نازلاً بهم الى جزين

الفصل الثالث

١ الحرب النصرانية الدرزية الاولى . القتال في باتر ونيحا في ايلول ١٨٤١

ولما وصل ابو سمرا جزين وجد اهاليها في اضطراب وهياج ولقي تحريراً من الامير بشير باسمه يخبره بالواقع ويستفز غيرته ومروأته المعهودة فاسرع حالاً وجمع اليه اعيان جزين وكهنتهم وتداول معهم في الوسائل الواجب اتخاذها لنجدة الامير بشير والديريين الذين حاصرهم الدروز فقر راي الجميع على دعاء رجال اقليم جزين واقليم التفاح للقتال وعلى استنهاض همتهم لمهاجمة الدروز وردهم عن دير القمر قبل ان تقوى شوكتهم ويستفحل امرهم فنهض الجزينيون مع من لبى نداهم من اهالي الاقليم الى نيحا وجاء ابو سمرا بكاسين فجمع رجالها ورجال القرى المجاورة لها مثل بتدين اللقش وغيرها وسار

بهم الى قرية باتر الدرزية وهجم على رجالها فلاقوه بكل ثبات وتواقعوا وتلاحموا وكاد النصر يتم للدروز لو لم يتخذ ابوسمرا حيلة وهي انهُ اخذ خفيةً بعض الرجال الاشداء ونزل بهم في طريق غير سالكة ثم صعد الى القرية مفاجئًا الحارة السفلى منها فزعر السكان واندروا المحاربين ان فريقًا من النصارى دخل مع ابي سمرا الى القرية من جهتها الثانية فعادوا لنجدتهم فلاقاهم ابوسمرا بمن معهُ من الاشداء الاباسل وجعلهم بين نارين فاقتتل الفريقـان قتالًا عنيفًا اسفرت نتيجتهُ عن انهزام الدروز وقتـل منهم رجال وقتـل من بكاسين انطون موسى عفيف وابرهيم ابي ناضر ثم دخل النصارى القرية ونهبوها واشعلوهـا بالنار وبعد قليل جاءهم مخبر ان النيحاويين الدروز قد هزموا الجزينيين فجمع ابوسمرا رجالًا وقصد بهم نجدة النصارى جاعلًا طريقهُ تحت قلعة نيحا فبصر بهِ شرذمة من الدروز فانقضوا عليهِ انقضاض الصاعقة فتشتت النصارى واما ابو سمرا فتاه عن الطريق واعترضهُ مجرى ماء قد حفر في الارض خندقًا عظيمًا فوخذ الحصان وخذة شديدة طمعًا بالنجاة فقفز الى الناحية الأُخرى ولكن المسافة كانت بعيدة فسقط بهِ الحصان من علو سبعة امتار فقتل وكان صقلاوي الاصل وهو الحصان الثالث الذي قتل في الحرب واما بطلنا فلم يصبهُ أذًى كأَنَّ الله كان يرعاهُ بعنايتهِ الخاصة فترك الحصان وشأنهُ ومضى في سبيلهِ غير مفكر بما عمله من الجسارة الغريبة التي كادت ان تذهب بحياتهِ وكم لهُ من مثل هذه

الأفعال التي يحار في فهمها المتأمل وهي لديه من ابسط الامور واهونها
وبعد ان ترك ذلك المكان عاد فاجتمع باهالي بكاسين فقادهم
الى خلوة بيت ورد فاحرقها ولما رأى اهالي نيحا الدروز ان النار قد
لعبت بقريتهم ارتجعوا عن قتال اهالي جزين وعادوا مسرعين الى الدفاع
عن قريتهم فتأثرهم الجزينيون فاصبحوا بين نارين اي بين اهالي
بكاسين من جهة وبين الجزينيين من اخرى ففروا من امامهما الى
نواحي جباع فدخل النصارى نيحا ونهبوها ولولا مداخلة النصارى
القاطنين فيها لاحرقوها عن اخرها (١) وقتل من جزين في ذلك
اليوم ثلاثة انفار وهم توما شاهين توما وموسى نادر وثالث من بيت
القطار واما دروز جباع فلما رأوا ما حلّ بجيرانهم النيحاويين راسلوا
اباسمرا بامر الصلح فامنهم مشترطاً عليهم السكينة وعدم تعرض النصارى
في سيرهم الى دير القمر لنجدة اهاليها فوعدوا بالخلود الى السكينة
وكان رأي ابي سمرا ان يقضي النصارى ليلتهم تلك في نيحا ليأخذوا
نصيبهم من الراحة ويهبوا صباحاً الى متابعة السير الى نجدة دير القمر
فخالفهُ البعض في الرأي خوفاً من مفاجأة الدروز لهم لان بعضاً من

(١) جاء في كتاب خط قديم يذكر تلك الحرب ما يلي: «... ولما بلغ نصارى اقليم جزين والشوف وغربي البقاع ما حدث في دير القمر اتوا لاسعاف اهل الدير فصدتهم الدروز عن الطريق بالحرب وكان المتقدم على النصارى رجل اسمه ابو سمرا فاحرق قريتين للدروز ...»

النصارى كان بدون سلاح او كانت ذخائرهم قد نفدت . عندئذٍ ايقن ابو سمرا بان لاسبيل الى نصرة اهالي الدير فعاد كلٌّ الى مكانه

٢ سعيد بك جنبلاط يعقد صلحاً مع اوجه اقليم جزين ثم يحاربهم

ولما بلغت اخبار وقائع نصارى اقليم جزين مع دروز نيحا وباتر مسامع سعيد بك جنبلاط نهض ببعض رجالهِ يصحبهُ موسى قمر الجزيني وولده انطون الى مرج بسري وانفذ موسى المذكور الى بكاسين وجزين يدعو اليهِ اعيان البلدتين مع اوجه نصارى الاقليم لمواجهته والمفاوضة معهم في عقد الصلح فاجاب طلبه من جزين منصور المعوشي وموسى قمر ومن بكاسين الخوري ابرهيم الخوري ومبارك غنطوس الخوري وفرحات نصر ويوسف صهيون فيَّاض ومن قيتولي الخوري مخايل الحاج والياس سعود وفضول الحاج ومن عازور لطوف العازوري وغالب العازوري ومن بسري صعب الخوري ومن روم لطف الله الحداد واماَّ ابو سمرا ونصيف الجزيني فلم يحضرا هذا الاجتماع لان ابا سمرا كان لا يرضى بالصلح ما دامت دير القمر تحت الحصار

ولما مثل الذوات المتقدم ذكرهم بحضرة زعيم الدروز لامهم على نهوضهم ضد جيرانهم بعد ان كان يؤمل منهم المساعدة نظراً لما لهُ من حقوق السيادة عليهم وطمنهم ان الثورة القائم بها لم يقصد منها التعدي عليهم وانما الباعث اليها امور ذات شأن مع الامير بشير الوالي وحدهُ ثم طلب منهم الاَّ يحركوا ساكناً من بعد وان يعودوا الى

قراياهم لتسكين الخواطر وابعاد المهيجين الراغبين في الثورة فانقادوا لكلامهِ وعاد كلٌّ الى قريتهِ داعياً الناس الى السكينة

ولما عاد سعيد بك الى المختارة جمع دروزها ودروز سائر القرى وسار بهم الى غربي البقاع فواقع النصارى فيهِ ونهبهم واحرق بيوتهم وعاد الى نيحا غانماً ظافراً وارسل اهالي اقليم جزين بواسطة انطون بن موسى قمر ليجمعوا سلاحهم ويسلموه اياه فبعث اهالي بكاسين اليهِ الخوري ابرهيم الخوري ليشفع فيهم لديهِ فاصرَّ على رغبتهِ من جمع السلاح فعاد الخوري ابرهيم لينصح الاهالي ان يسلموا اسلحتهم فأبوا ولما استبطأهم سعيد بك حرَّر اليهم هذا التحرير الذي نترجمهُ عن الافرنسية من كتاب المؤرخ اشيل لوران (١) وهذا نصه:

الى اعزائنا سكَّان بكاسين المحترمين

بعد التسليمات المعتادة نعلمكم انهُ حضر قبلًا عندنا صديقنا الخوري ابرهيم الذي ترجون بواسطته ان نغفر لكم خطاكم مع الوعد بانكم لا تعودون الى اعمالكم المغايرة رضانا وانكم تكفون هيجانكم وتخرجون من بلدكم المجتمعين عندكم من المعادين لنا وتعودون بعد هذا الى اشغالكم واعمالكم ولكنكم لم تزالوا في تمرد ونراكم دائماً مجمهرين وراغبين في معاودة اعمالكم المنكرة . ولما كان هذا لا يوافق

(1) Relation historique des affaires de la Syrie tome I, page 306, par Achille Laurent

رغبتنا ورغبة رؤسائنا يلزم حين وصول تحريرنا هذا اليكم ان تجمعوا
الاسلحة التي بين ايديكم كلها دون ان تبقوا واحدة ما وترسلوها الينا
الى نيحا في هذا الليل وان خالفتم ارادتنا ولم ترسلوا اسلحتكم قبل
مضي الليل نركب بنفسنا مع عساكرنا المظفرة ونجعلكم عبرة لمن يعتبر
ولا تعود الندامة تجديكم نفعاً . ولكن ان اطعتم امرنا وسلمتم
اسلحتكم تكونون آمنين باذن الله وبجانا لائذين لاننا لا نرغب سوى
راحة اتباعنا العديدين في ولايتنا السعيدة والسلام محل الختم
سعيد جنبلاط

فكبر على النصارى امر تسليم السلاح واجابوا طلب سعيد بك
بالرفض فحنق عليهم وقسم الدروز قسمين سار قسم الى جزين وقسم
بقيادتهِ الى بكاسين فلاقاهُ رجالها الى بجنين وواقعوهُ وكان عدد الدروز
يبلغ الالف عداً واما النصارى فلم يبلغوا الثلثماية اماية رجل فانهزموا
شرّ هزيمة ودخل سعيد بك الى بكاسين ظافراً وانتشر الدروز في
القرية فنهبوها واضرموا فيها النار فالتهمتها ونهبوا كنيستها ثم صعد بهم
سعيد بك الى مزرعة خرائب صباح فقضى فيها تلك الليلة

واما القسم الثاني الذي اتى جزين فواقع اهلها في المحل المعروف
بجل عيشي وظلوا ثابتين امامهم الى ان شاهدوا خراب بكاسين فانحلت
منهم العزائم ورضوا بتسليم سلاحهم لسعيد بك فتوجه ليلاً عطيه
روكس القطار وابرهيم نقولا القرداحي ومبارك العاقوري الى خرائب

صباح وسلموا بالنيابة عن جزين فقـام سعيد بك في صباح اليوم الثاني برجالهِ الى جزين عن طريق عين الثغرة ففرَّ اهالي جزين الى اعالي الجبال فامر سعيد بك بحرق بعض البيوت تشفيًا وارهابًا فكان في مقدمة البيوت المحروقة بيت كلٍّ من الخوري بطرس المعوشي واخيه منصور ونصيف الجزيني ووهبه الاغا. ثم امنَّ الناس وعاد الى المختـارة وابقى في جزين ضاهر ابي عثمان ابي شقرا وكيـلًا من قبله لجمع سلاح النصارى وارساله الى المختارة ثم اخذ الناس بالعودة الى محلاتهم واماَّ الفريق الاكبر منهم فانهُ فرَّ الى كسروان

واماَّ ابوسمرا فلم نعلم بالتحقيق عن مكان وجوده يوم دخل الدروز بكاسين لان نقلة الاخبار لم يرووا لنا عن وجوده مع اهالي بكاسين يومئذٍ وانما نعلم انهُ جرح في وقائع سنة ١٨٤١ برصاصة اصابة ذقنه ونفذت من فمهِ بعد ان حطَّمت قسمًا من اضراسهِ ولكنَّنا نجهل في اية واقعــة جرى له ذلك وسنجده بعد هـذا في كسروان. وقد عثرت على تحرير مؤرخ في ١٨ نيسان شرقي سنة ١٨٤٢ بعث بـه الخوري مخايل جربوع اب عام الحلبية للروم الكاثوليك الى احد ابناء طائفته المقيم في روميــة العظمى يصف له فيهِ اخبـار هذه الحرب النصرانية الدرزية نقتطف منهُ ما يلي بالحرف .... « واماَّ ابو سمرا البكاسيني الرجل الشجاَّع الذي كان مع شرذمة من النصارى في مقاطعة الشوف مصطنعًا الحرب مع الدروز ومحرقًا خمسة ضياع حسبما

سمعنا في المقاطعة المذكورة ومتعشمًا انتصار العساكر في بعبدا . فلما لحظ وسمع بفتك الدروز التزم ان يبرح من هناك بعد ان توجهوا الذين كانوا معه ايضًا وتركوهُ فنزل الى مدينة صيدا ومنها اتى كسروان ...»

٣ قتال الدروز مع اهالي الدير والقرى النصرانية — تسليم الامير بشير ونفيهِ الى الاستانة

وبعد ان فتك سعيد بك جنبلاط بنصارى اقليم جزين وأمِنَ شرهم انقلب بدروزه على دير القمر وهجم عليها بعدد وافر وحاربها مدة ثلاثة ايام وقد قتل من الفريقين جمهور غفير من جملتهم الشيخ عبَّاس ابن الشيخ نصيف نكد قائد الجيش الدرزي واحرقت الدروز الاسواق والقيسارية . وكان الامير بشير قد استنجد باقاربهِ امراء الساحل وسألهم ان يعلموا البطريك يوسف حبيش ليرسل اليهِ من ينقذه من ايدي الاعداء ولما وصل الى امراء ساحل بيروت خبر ثورة الدروز جردوا السلاح على القرى الدرزية المجاورة وانتشب بينهم وبين الدروز القتال ومات من الفريقين جموعٌ وقد جمع الشيخ غندور الخوري (١) ثلثماية رجل من رشميا وسار بهم الى دير

(١) هو الشيخ غندور بك الخوري ابن الشيخ سعد الخوري وقد نال من برهة سنوات لقب كونت روماني من الحبر الاعظم السعيد الذكر البابا لاون الثالث عشر وهو والد حضرة صاحب السعادة حبيب باشا السعد الحائز على رتبة روملي بكلربكي ورئيس مجلس ادارة لبنان السابق

القمر فالتقاهُ الدروز على جسر القاضي فقابلهم وظفر بهم وظلّ في طريقه الى ان وصل الى كفر قطرا فاذاع بعض رجالهِ ان العدو اتجه الى رشميّا فعاد بهم اليها فلم يلقَ احداً وكانت حيلة خدعوهُ بها ليرجع عن مساعدة دير القمر وانحدر اهالي العرقوب الى دير القمر وقاتلوا فيها الدروز وهزموهم الى داخل البيوت (١) واجتمع رجال معلقة الدامور وما جاورها وجاؤوا دير القمر فقصدهم الشيخ نصيف نكد واكد لهم ان الصلح قد تمّ في دير القمر فصدقوه ولما جاء الليل هجم عليهم مع قومهِ فذبحوا منهم خمسين رجلاً . وفي غضون ذلك بعث البطريرك الى الامراء والمشايخ والاعيان من الموارنة يدعوهم الى الاسراع لمعونة الامير بشير ونصارى الدير وبلاد الشوف وارسل وكيلاً الى بعبدا مصحوباً بمال جزيل لتقديم المؤونات والعلايق والبارود والرصاص فلبى القوم نداءهُ وجاؤوا بعبدا بجيش وافر وقد جرت مواقع عديدة بين الدروز والنصارى في الشويفات وكفرشيما والوروار وغير امكنة كان النصر فيها للنصارى . وبينما كان الناس يؤملون انتهاء هذه الحرب بفوز هولاء على اعدائهم خان النصارى المجمهرون في عبيه وانفضوا راجعين الى اوطانهم ثم تبعهم مقتفين اثرهم الغرباء الذين جاؤوا من جهات لبنان الشمالية تاركين نصارى

(١) قبل سنة ١٨٦٠ كان قسم من الدروز يسكن دير القمر وكان آل نكد ذوي الاقطاع فيها

الشوف والامير بشير ورجال دير القمر ونصارى اقليم جزين بدون حماية وقد اختلفت اراء الناس في تفسير الاسباب التي حملت هولاء القوم على الفرار من ساحات الحرب والنكوص على الاعقاب بعد ان برهنوا على ثبات في القتال وتصلب في الجلاد فقال قوم ان زعماء النصارى فعلوا ما فعلوا تسكيناً للهياج وهذا القول مردود عليه لان تسكين الهياج لا يكون بالفرار خفيةً بلا روابط وشروط يعقدونها مع الاعداء وقال اخرون وهو الاصح ان الخائنين تركوا القتال املاً بأن يقضى على الامير في دير القمر فيحملون الدولة على ارجاع الامير بشير عمر الكبير الى مسند الولاية على لبنان لاعتقادهم بأنه الاوفر اهليةً من سواه والاكثر جدارةً لتولي هذا المنصب

واما الامير بشير فبقي في سراي دير القمر هدفاً لشتائم الدروز واهاناتهم الى ان ارسل والي بيروت السيد فتيحا مع ترجمانه احمد الصلح ليصلح بينه وبينهم ولما وصل السيد المذكور الى الدير نزل على المشايخ النكديين وامر بالكف عن قتال النصارى ثم جاء السراي ونبه على الامير بان يأمر النصارى بابطال الحرب ففعل الامير ولكنه مع ذلك لم ييأس من وصول نجدة من نصارى شمالي لبنان ولم يدرِ ان من كان يؤمل مساعدتهم كانوا يريدون موته . ولما بلغته خيانة النصارى رضي بالتسليم عن يد معتمد الوزير على ان يخرج بجماعته بسلاحهم وكل ما لهم وكان عددهم مائة وخمسين رجلاً وفيما هم

خارجون وثبت عليهم الدروز وسلبوهم اسلحتهم واهانوهم بالشتم والضرب وسلبوا الامير سلاحه ونيشانه الملوكي وذلك بحضرة السيد فتيحا نفسه ومن الدير نزلوا الى بيروت وبقي الامير فيها الى بدء سنة ١٨٤٢ وفيها نفاه السر عسكر مصطفى باشا النوري الى الاستانة . وكان اخر والٍ على لبنان من السلالة الشهابية

٤ قتال زحله وفوز النصارى — ابو سمرا في كسروان وزحله وخروجه منها

وبعد ان فتك الدروز بدير القمر ساروا الى زحله لمحاربتها وجاء شبلي العريان يقود دروز جبل الشيخ واقبل ايضاً دروز حوران يصحبهم اكراد وعرب وهجموا على زحله هجمة هائلة فلاقاهم النصارى كالصناديد وردوهم عنها خائبين رغماً عن كثرة عددهم وقد اصيب العريان برصاصة في عنقهِ الزمتهُ الخروج من ساحة القتال وقد قُتل من الدروز عدد يقدره البعض باربعماية نفر ومنهم بالف ونيف

واما ابو سمرا فانه نزل بعد الحوادث التي جرت في اقليم جزين الى صيدا ومنها سافر الى جهات كسروان وقد تبعه اليها النصارى المنهزمون من قضاء جزين والشوف وسألوهُ تدبيرهم فاخذ يثير في افئدة الكسروانيين نار الغيرة طالباً منهم المساعدة لهذه العيال التي خانها الدهر ونكبها الزمان فاجاب الكسروانيون نداءهُ وقد امتاز بحنوه وكرمه البطريرك الطيب الذكر السيد يوسف حبيش كبير احبار

الملة المارونية فانه رحمه الله لم يدّخر وسيلةً الاَّ اتخذها لتخفيف مصاب النصارى ولتهوين كروبهم وقد اكثر من البذل والعطاء وبعث الى سائر العيال المشهورة بالثروة والى المطارنة وروساء الاديار يستنهض غيرتهم ويحثهم على تقديم المؤونات لاخوتهم المرزوئين وقد قصده ابوسمرا الى ساحل علما وقص عليه ما وقع لابنائه في جنوبي لبنان فتأثر لمصابهم واذرف من فرط حنانه الابوي دموعًا ثخينة وقد شكر لابي سمرا غيرته وباركه بكل انعطاف وبعد ان اقام لديه ثلاثة ايام ودعه وانصرف وقبل خروجه من عنده جاد عليه بمال وافر وامره ان يداوم السهر والاهتمام بجماعته وان يواصل السعي وراء راحتهم وسأله ان يحفظهم مُجتمعين تحت تدبيره دفعًا لكل حادث مفاجي ٠

ولما عاد من عند البطريرك بلغه ان الدروز عاملون على حشد جموعهم قصد الهجوم على زحله ثانيةً انتقامًا لما اصابهم من الانخذال في الهجمة الاولى فنادى الرجال ان يتبعوه الى نجدة الزحليين وطلب من الكسروانيين ان يسيروا معه فابوا قائلين ٠ انهم يبقون في اماكنهم للمحافظة على بلادهم معقل النصارى الاخير وحصنهم الحصين لان كسروان كانت الناحية الوحيدة التي كان يُرجى منها صد غارات اعداء النصرانية

فسار ابوسمرا بالغرباء الى بكفيا (١) ومنها سار والامير اسعد

---

(١) حينئذٍ انحازت النصارى الى بكفيا فالتقاهم الامير حيدر اسمعيل

قعدان الشهابي الى زحله فلما علم قائد الجند الشاهاني المرابط في زحله تسكيناً للخواطر ان ابا سمرا وجماعته من النصارى دخلوا زحله بعث الى مطران تلك البلدة واعيانها يطلب منهم أن لا يقبلوه بينهم خوفاً من تجديد الهياج الى الحرب فاجابه هولاء ان حضور ابي سمرا مع رجاله لم تكن لاسباب عدائية ضد الدروز وانما جاؤوا طلباً للرزق والمعيشة فاجاب القائد ان كان الامر كذلك فلا بأس من ابقاء الغرباء واما ابوسمرا وغندور بك الخوري والامير اسعد قعدان فليخرجوا فاذعن اهالي زحله للامر وطلبوا من هولاء الثلاثة ان يغادروا البلدة فغادروها وجاء ابوسمرا الى بسكنتا وبقي فيها اياماً ثم انحدر الى بيروت ولبث فيها مراقباً للحوادث

٥ تقرير الصلح — مصطفى نوري باشا يلبس روساء الطوائف خلعاً

وصل مصطفى باشا السرعسكر في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٤١ ومعه عمر باشا النمساوي ونحو ١٥٠٠ جندي نظامي وقد اصحبه الباب العالي باوامر مشددة ليضع حداً للفتن والاضطرابات التي حصلت في لبنان فارسل من فوره في طلب اعيان

باجمل اللقاء وقدم لهم الاقامات ثم قدم ابوسمرا الى بكفيا ثم قدم الامير اسعد قعدان (اخبار الاعيان ص ٦٣٨)

البلاد ومشائخها وامرائها للحضور الى بيروت وكتب الى روساء الطوائف الروحيين ايضاً بشأن تقرير الصلح فحضروا وبعد مفاوضات ومداولات طويلة تقرر في خلالها امر التعويضات الواجب دفعها للمنكوبين من النصارى قرأ على الجميع في ١٥ كانون الثاني فرمان شاهاني يولي به عمر باشا حاكماً على لبنان وبعد ذلك خلع على كل من الحضور خلعاً سنية

واليك ما جاء في هذا الصدد في كتاب اخبار سورية تاليف اشيل لوران قال : « وبعد قرأة الفرمان الشاهاني خلع السر عسكر باسم السلطان على المشايخ ال حبيش وخازن ودحداح عباءة شرف من الجوخ ذي اللون القرمزي . وقد حاز هذا الانعام الاشخاص الاتي ذكرهم الذين حضروا ايضاً المجلس وهم: حنا استنبولي وكيل وممثل بطريرك الموارنة والمطران الماروني وباسيلوس اسقف زحله الكاثوليكي واغابيوس اسقف بيروت وابوسمرا واعيان زحله وشيخان من بكري (كذا) وثلاثة شمامسة غير كاثوليك . واخيراً اربعة مشايخ دروز من الاكثر وجاهة والامير حيدر واميران مسيحيان نال كل واحد منهم شالاً من الكشمير الجميل وعلبة سعوط محجرة بالماس» (١)

---

(1) Les Affaires de la Syrie par Achille Laurent page 366

الفصل الرابع

١ ولاية عمر باشا النمساوي — ابوسمرا قائد الجند

ولما استلم عمر باشا فرمان الولاية قام الى بتدين وجعلها دار الحكم وبعد وصوله بايام باشر بالتوظيف وتعيين ضباط للعساكر فاستقدم اليه علي بك حماده وقاسم يوسف الدرزيين المشهورين وجعل الاول ضابطاً على مائة وخمسين فارساً والثاني على خمسين وطلب من بيروت اباسمرا واقامه ضابطاً على ثلاثماية من المشاة (١) وعين يوسف الشنتيري على ماية فارس وجعل يوسف لطفي البكاسيني على ماية من المشاة فلما استلم هؤلاء القواد الاوامر شرعوا في تعيين ازلامهم فعين ابوسمرا خمسين من دير القمر وعشرين من نصارى بتدين وثلاثين من معاصر الشوف والبعض من المختارة وبعذران والباقيين من اقليم جزين وبالاخص من بكاسين وسلّمه عمر باشا بيرقين وامر له باربعة طبلات واما الضباط الاخرون فاستلم كلٌّ منهم بيرقاً وطبلتين

٢ اجراآت عمر باشا · نفور الدروز وبعض النصارى منهُ

وتظاهر عمر باشا بادئ بدء بمساعدة الدروز فاصحب معهُ الى بتدين الامير احمد ارسلان واخاه الامير امين وجعل الشيخ خطار

---

(١) ثم ان عمر باشا اتخذ النصارى احلافه ليرتضو بولاية الدولة فادخل في خدمته جنداً منهم وجعل اباسمرا والشنتيري قائدين عليهم (اخبار الاعيان ص ٦٤٠)

العماد والشيخ منصور الدحداح مدبرين له ولما كان يحفظ للشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن احد زعماء الثورة ضد الدولة المصرية وداً وكرامةً جعله والياً على كسروان ونصب الشيخ ضاهر بن منصور الدحداح مديراً على الفتوح وولى على بلاد جبيل والبترون المشايخ ال حماده المتاولة (١) وبعد ايام استقدم الى بتدين الامير احمد ارسلان والشيخ نعمان جنبلاط والشيخ نصيفاً النكدي والشيخ حسين تلحوق والشيخ يوسف عبد الملك فلما حضروا القى عليهم القبض وبعث بهم الى صيدا ومنها الى بيروت حيث سجنوا في برج ام دبوس وقد فعل ذلك بعد ان تحقق ان هولاء الذوات كانوا من اكبر النافخين في بوق الفتنة التي اشتعلت نارها بين النصارى والدروز

فلما رأى الدروز ما حلَّ بزعمائهم ندموا على مصافاة الوالي وخابروا بعض النصارى لينضموا اليهم ضدّ عمر باشا فوافقهم الى ذلك بعض المشايخ من ال خازن لنفورهم منه بسبب ضمه ولاياتهم الثلاث الى واحد وشاركهم في استيائهم نصاري بلاد جبيل والمشائخ الدحادحة وغيرهم من ذوي الوجاهة الكبيرة في لبنان الذين لم يرضوا بان يحكم لبنان عمر باشا مكان الامراء الشهابيين

---

(١) كان ال حمادة يتولون مقاطعات شمالي لبنان من جبيل وما ورائها قبل ذلك الحين بستين سنة فطردهم منها النصارى وولوا عليها المشايخ ال ضاهر ولهذا حنقوا على عمر باشا لاعادته المتاولة الى الولاية عليها كما كانوا من قبل .

٣ استعداد الدروز للقتال

وبعد هذا راسل دروز لبنان دروز وادي التيم وحوران وشبلي العريان ليسرعوا الى نجدتهم وسألوهم ان يأتوا ليشتركوا معهم في قتال عمر باشا الذي القى القبض على روساء ملتهم وحرضوهم على التأهب لمناصبته وقد تعهدت دار المختارة بتقديم الذخائر والمؤونات فاجابهم شبلي العريان مع دروز حوران يعدونهم بالمساعدة وقد اطلع خطار بك العماد على الدسائس الدرزية وكتمها عن عمر باشا فلما عرف هذا بها لاطفه الى ان تمكن من القبض عليه ايضاً ثم ارسله الى بيروت فسجن فيها مع الاخرين فزاد استياء الدروز من ذلك ونادوا علانيةً بمناوأة عمر باشا قبل ان تصلهم نجدة شبلي العريان . ولما كان النصارى في دير القمر وسائر بلاد الشوف يدفعهم حب اخذ الثار الى قتال الدروز عرضوا لعمر باشا تقديم انفسهم لنصرته على الاعداء فاحمد عملهم

٤ شر الزنبقية

وفي احد الايام تجمهر الدروز في كفر نبرخ فلما علم بهم عمر باشا ارسل اليهم يوسف الشنتيري يطلب منهم تسليم اسلحتهم فأبوا حينئذٍ امر بالهجوم عليهم فتأثرتهم العساكر صحبة الشنتيري وعلي حماده الى الفراديس واسروا منهم ثلاثة احضروهم بين يدي عمر باشا فامر بقتلهم

واماَّ ابو سمرا فسار برجاله الى عين اوزيه وبتلون وهجم على الدروز المجتمعين هنالك فبدد شملهم وقتل منهم جماعة وغنم اربعة رؤوس خيل وعاد الى المعسكر فلما وصله جاءه عمر باشا مهنئًا بالفوز ثم تقدم اليه وقبله قائلًا: لم ارَ مكافأتك باحسن من هذا وبعد انهزام الدروز عاد عمر باشا الى بتدين وسير رسلًا الى دير القمر يشددون النصارى وبعث الى اسعد باشا في بيروت يطلب عسكرًا

٥ واقعة السمقانية وسهل بقعاتا — اعمال أبي سمرا

وبعد مضي ثلاثة ايام وصل الدروز نجدةً من حوران وبلاد راشيًا يقودها شبلي العريان وتجمهروا في المختارة ومنها قاموا الى الظهور الكائنة فوق بيت الدين فقصدهم عمر باشا الى خلوة السمقانيَّة وهنالك اقام المدافع وجعل العساكر اللبنانية في مقدَّمة جنودهِ وعساكر الدولة في مؤخرهم ثم امرهم بالهجوم على الدروز فواقعوهم في كروم السمقانية عند عين السوق وهزموهم الى بقعاتا بعد ان ذبحوا منهم خمسين نفرًا وقد انجرح من رجال عمر باشا عبدالله العجيل ومبارك راشد وابرهيم الحلياني وغيرهم وقد انجرحت فرس الشنتيري وقتلت فرس ابي سمرا في سهل بقعاتا وكانت من خيل بيت عراجة وهي الخامسة التي قتلت تحتهُ في ساحات القتال فسقط بطلنا على الارض فظنَّ الدروز انهُ قُتل ففرحوا وزغرتوا مستبشرين بالفوز

والنصر وعادوا اليهِ ليمثلوا بهِ ولكن قومه احاطوهُ باجسامهم ودافعوا عنهُ دفاع الابطال وردوهم على أعقابهم ثمَّ حماوهُ بين ايديهم فرحين لنجاتهِ وجاءُوا بهِ الى السمقانية

فلمَّا عرف عمر باشا بخبرهِ ارسل لهُ فرساً ثانية مع رسول يمدح شجاعتهُ فعاد أبوسمرا الى القتال . واماَّ الدروز فبعد ان وردتهم نجدة من نواحي العرقوب تشدَّدت منهم العزائم وأعادوا الكرَّة ثانيةً على عساكر عمر باشا فكسروهم الى الظهور . حينئذٍ أشار عمر باشا الى قومهِ ان يجلسوا في الارض ففعلوا ثمَّ أمر باطلاق المدافع على الدروز فلمَّا أصابتهم قنابلها زعروا وتقهقروا الى الوراء فلمَّا رأى اعداؤهم ذلك تحمسوا وكان قد وصلهم أبوسمرا بعد ان كان قد اعتزل القتال كما قلنا فهجموا عليهم هجمةً مريعةً وتأثروهم الى جديدة الشوف وكان ابوسمرا يصيح فيهم صيحات كالرعد القاصف قائلاً : أين رحتم يا بني معروف انا أبوسمرا وقد خرج ما بين صفوف الدروز فارس كانت تلوح على محيَّاه سيماءُ الشجاعة فلحق بهِ بطلنا مطارداً ولمَّا دنا منهُ خاطبهُ الفارس المجهول قائلاً : « أتطارد يا أباسمرا أخاك شبلي فوقف أباسمرا وقال : أأنت شبلي ولماذا لم أعرفك ثمَّ اقترب البطلان من بعضهما وتعانقا وهما على ظهور الخيل وكأنَّ شهرة شبلي العريان بين الدروز وابي سمرا غانم بين النصارى هي التي ربطت هذين البطلين برباط الصداقة فكان يجلُّ كلٌّ منهما الآخر ويعترف لهُ

بالشجاعة والبسالة وعزّة النفس والشهامة (١) وبعد ان ودّعا بعضهما عاد أبوسمرا الى ساحة القتال وبرز من بين الرجال هاجمًا على الاعداء فقابلوهُ باطلاق النّار فاصابت رصاصةٌ فرسه الثانية في خدّها فلم يبالِ وظلّ يقتحم صفوف الدروز الى ان ولّوا مدبرين من امامهِ وظلّ يطاردهم الى ان خيم الظلام وكانت العساكر قد سبقتهُ راجعةً الى الظهور فلمّا لم يجده عمر باشا بينهم قلق عليهِ وخشي ان ان يكون ألمّ بهِ سوءٌ ولكنّهُ لم يلبث قلقهُ ان تبدّد اذ رأى أبا سمرا مشهرًا حسامهُ وهو يقطر دمًا مقبلًا عليه ولمّا ترجّل دنا منه عمر باشا وقال له في التركية هذه العبارة: «بادشاهنك اتمك سگا حلال اولسون» الذي معناه خبز السلطان حلال عليك ثم قبله وقال: «مثلك تكون الرجال». اما فرسه فلم تشف من الجرح الذي اصابها في خدها وبعد يومين ماتت فقدم له عمر باشا خلافها وكانت من خيل جذوع الجبيص الدرزي وهي السادسة التي قتلت في الحرب

٦ متابعة القتال

وفي تلك البرهة قدم الى المختارة الامير اسعد قعدان والامير

---

(١) وتجمعت الدروز في المختارة فنهض اليهم الوزير الى سهل بقعاتا فالتقوهُ وانتصب الحرب وقد تنحى العريان عن موقف الحرب فقصدهُ ابوسمرا وألحّ عليهِ. ولمّا درى بهِ كفّ عنهُ ثمّ انهزمت الدروز (اخبار الاعيان ص ٦٤٥)

عبد الله قاسم الشهابيـان ومعهم مشائخ من التلاحقة وعبد الملك ورجال من الغرب الاعلى والجرد لمحاربة عمر باشا وفي غضون ذلك ورد الى عمر باشا علم من اسعد باشا الوالي بـانه سيرّ اليهِ الجنود النظامية والارناؤوطية نجدة لهُ على الدروز بقيـادة محمد رشيد باشا الملقب (بابي عوينات) وعلي باشا عن طريق صيدا وأفادهُ ان العساكر حين وصولها الى نهر الحمام تطلق ثلاثة مدافع تبشيراً بقدومهـا . حينئذٍ شرع عمر باشا يستعدّ للقتال فحصن الطابيَّات والمتاريس وبعث بفرقـ من جنودهِ الى عين بال وغيرها الى نواحي مزرعة الشوف والبعض الى سهل بقعاتا والى جهات العرقوب وأسرّ الى قوّاد هذه الفرق انهُ حينما يسمع اطلاق المدافع من نهر الحمام يطلق هو المدافع من ظهور بتدين معلنًا بوجوب افتتاح القتال وهجوم كل فرقةٍ من هذه الفرق الموزَّعة هذا التوزيع على قرى الدروز المجاورة لها

وامَّا ابو سمرا فسار يقود رجال دير القمر الى جهَّات العرقوب وحين دوى صوت المدافع آذنًا بالحرب اشتغلت نار القتال من كل الجهَّات فاندحرت الدروز وولت الادبار وقد تأثر ابو سمرا الاعداء حتى نيحا وامَّا الارناؤوط فانهم دخلوا المختارة ونهبوها واحرقوا دور الجنبلاطيين وكنيسة النصارى ايضًا بعد ان سلبوا ما فيها ولما وصل ابو سمرا الى عين اوزيه لقي آل عماد ورجالهم منهزمين فصاح بهم قائلاً : ويحكم خربتم البلاد وها ان عساكر الدولة قد وصلت اليكم فالى اين

تطلبون النجاة . اين حريمكم ؟ انني قد عقدت النية على حراستها وصيانتها قال ملحم بك العماد : ان حريمنا قطعت الجبل . قال ابو سمرا ان كان ذلك فاذهبوا واجعلوا حريمكم بأمان ثم اذا كنتم لم تزالوا عاقدين النية على القتال فتعودوا الى الحرب . فاجاب الشيخ كنج العماد وقال : نحن لا نبرح من هنا قبل ان تقسم لنا بالشرف بانك لا تحرق عين اوزيه فاجابه : لا بدَّ من ان احرق منها ولو بيتاً واحداً ليعلم الناس ان أَبا سمرا أَحرق عين اوزيه فدلوني على بيت منفرد فا كتفي بحرقه فدلوه وفعل كما قال وكان ذلك في ٢٣ ك ٢ سنة ١٨٤٢

لم يجهل ابو سمرا ما كان يخشى ان يحل ببيوت الدروز من الخراب وما كان الحق الجند الارناؤوطي من الاهانة بحريمهم لو ادركها فاشفق على حالهم فاحب ان يذود عن اعراضهم ولو كانوا اعداء له كما تقتضيه المبادي الشريفة التي كان متصفاً بها وقد عرف له الدروز هذه المأثرة فكانوا دائماً يتحدثون في مجتمعاتهم ومنتدياتهم بغيرته ومحافظته على العرض

٧ عزل عمر باشا — محمد رشيد باشا —

ابو سمرا شيخ اقليم جزين وسفره الى القدس

ان البلاد التي كلبنان كثيرة الاحزاب متباينة الآراء مختلفة الغايات والمشارب لا تستقرّ في امرها على حال ولهذا فبينما كان نصارى بلاد الدروز كاهالي دير القمر واقليم جزين وغيرهم راضين

عن ولاية عمر باشا الذي كبح جماح اعدائهم بعد ان كسر شوكتهم كان نصارى كسروان متفقين مع الدروز انفسهم على خلع ولايته متخذين لهم عذرًا في ذلك انهم لا يودون ان يتولاهم غير والٍ نصراني من العائلة الشهابية . وبينما كان عمر باشا يقاتل الدروز في بتدين كانوا هم يقاتلون بعضهم بعضًا في كسروان وقد دخلت عساكر الدولة بلادهم ونكبتها بحجة انها راغبة في اخماد نار الفتنة والخصومات وقد كثر تذمر الناس وبلغت الشكوى مسامع معتمدي الدول الاوربية فطلبت من الدولة فصل عمر باشا عن ولاية لبنان فصلت واقامت مكانه حاكمًا موقتًا محمد رشيد باشا المار ذكره الى ان تكون تدبرت في امر تعيين والٍ من البلاد

واما عمر باشا فترك بتدين ونزل الى بيروت وقد شق على ابي سمرا عزله فرافقهُ الى بيروت مودعًا ومن شدة ميله اليهِ سأَلهُ ان يصحبهُ معهُ الى الاستانة فأَبى عمر باشا وأَشار اليهِ ان يعود الى خدمة بلادهِ ويبقى في مأموريَّته عند محمد رشيد باشا ثمَّ قال لهُ : « عسى نصارى لبنان لا يندمون على ابعادنا »

وبعد سفر عمر باشا قابل ابوسمرا أسعد باشا فأَكرم وفادتهُ وكتب معهُ الى رشيد باشا ليبقيهُ في وظيفتهِ ثمَّ عاد الى بتدين وأَقام فيها شهرين وبعد ذلك أَصدر لهُ الحكمدار رشيد باشا المذكور امرًا بصفة بيورلدي يقيمهُ فيهِ شيخًا على اقليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان

بمعنى الامر الذي سلمهُ اياه محمد عزّت باشا يوم جعله شيخًا على بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وأرسل الى أعيان اقليم جزين واقليم التفّاح وجبل الريحان كتابات ليعرفوهُ في هذه الصفة ويدفعوا أموال أميريهم عن يدهِ وكانت مخاطبات الولاة لهُ بمثل هذه العبارة «فخر الملة العيسويّة ابوسمرا آغا غانم زيد قدرهُ» وبعد مضي شهر واحد على مشيختهِ عزل محمد رشيد باشا من ولاية الجبل وعيّن متصرفًا في القدس الشريف فسأل أباسمرا أن يكون معهُ فرضي وترك لبنان الى القدس وقد دامت مدّة غيابهِ عن وطنهِ ستة اشهر زار في خلالها الاراضي المقدّسة . ثمّ طلب الرجوع الى وطنهِ لانحراف طرأ على صحتهِ فأذن لهُ

الفصل الخامس

١ ولاية الامير حيدر اللمعي والامير احمد الارسلاني

ارتأت الدولة بعد الحوادث التي حصلت بين النصارى والدروز ان تقيم على كل طائفة واليًا من بني ملتها فحضر أسعد باشا من بيروت الى مقابلة البطريرك يستشيرهُ في مَن يصلح للولاية من الامراء اللمعيين مظهرًا له رغبة الدولة في عدم تعيين والٍ من السلالة الشهابية فرشّح البطريرك الامير حيدر اللمعي لاتصافهِ

بأجمل الصفات فاستقدمهُ الوزير الى بيروت وولّاهُ على شمالي لبنان في غرّة كانون الثاني سنة ١٨٤٣ ولقبهُ بقائمقام النصارى وكانت حدود ولايتهِ من طريق الشام الى تربل ومن شاطئ البحر الى سطح الجبل وكانت الهرمل والشمستار تابعين لولايتهِ واما جبيل فانهُ ولّى عليها اولًا واليًا مسلمًا من أهاليها اسمه غنوم البكباشي ولم يلبث طويلًا ان ضمها الى قائمقامية النصارى . ودعا اليهِ الامير أحمد ارسلان وولّاهُ على جنوبي لبنان ولقبهُ بقائمقام الدروز وكانت حدود ولايتهِ من طريق الشام الى الخردلة ومن صيدا الى سطح الجبل . امّا دير القمر فتولّاها متسلم من قبل الدولة

وبعد ان انتظمت ولاية هذين الاميرين عقد اسعد باشا ديوانًا حافلًا للتحقيق عمّا سلبهُ النصارى والدروز من بعضهم سنة ١٨٤١ فقدّرت مسلوبات النصارى بستة عشر الف وخمساية كيس ومسلوبات الدروز بألفين وخمساية كيس اخرجوها من مال النصارى فبقيت ثلاثة عشر الف كيس تعهدت الدولة بأن تدفع منها عشرة آلاف كيس والباقي فرضتهُ على الدروز

فلم تستتبّ السكينة زمنًا حتى توالت الخصومات والفتن اولًا بسبب مساحة البلاد وقد عيّنت الدولة مقوّمين سيّرتهم الى انحاء البلاد لمسحها فمسحوها مسحًا فاسدًا في ثلاثة أشهر ولمّا اطلع أهالي الخبرة على دفاترهم خطّؤوها فأُعيدت الحال كما كانت عليه من

قبل . ثمَّ اتَّفق النصارى والدروز على نزع البقاع من والي الشام ونهض بعض الرجال الى قبّ الياس فبعث اليهم والي الشام عسكرًا فقابلوهُ وهزموهُ فسيَّر اليهم جيشًا اوفر فارتجعوا عنهُ وتركوا ما كانوا صمموا عليهِ مكتفين بجمع محصولات أراضيهم في تلك الانحاء

٢ خلاف بين النصارى والدروز

ولم يمضِ ردحٌ من الحين الَّا ووقع اختلاف بين القائمقامين النصراني والدرزي على المختلطين في المقاطعات من دروز ونصارى فأمرت الدولة بان يتولَّى الحكم كلٌّ منهما على السكان الذين هم ضمن حدود ولايتهِ من ايَّة ملَّةٍ كانوا ولكنَّ النصارى المتوطنين في قائمقامية الدروز أبوا الاذعان لتلك التدابير ورفعوا احتجاجهم الى المراجع العالية بواسطة وكلاء الدول الاوربية فكانت دولة فرنسا تعضد الموارنة ودولة انكلترة تنتصر للدروز وذلك ليكون لها حقّ التداخل في امور البلاد اسوةً بفرنسا فازدادت نيران الحقد والعداوة بين الطائفتين اشتعالًا فأخذ كل فريق منهما يتهيَّأ للقتال باعداد عدد الحرب . وفي بدء سنة ١٨٤٥ عزلت الدولة أسعد باشا وولَّت مكانهُ على ايالة صيدا وبيروت وجيهي باشا فزادت نيران الفتن سعيرًا واشتدَّت العداوة بين الطائفتين وكثر قطَّاع الطرق والسلبة والقتلة

الفصل السادس

١ بدء الحرب النصرانية الدرزيّة الثانية سنة ١٨٤٥ — افعال ابي سمرا

ولمّا رأى وجيهي باشا ان الطائفتين تتأهبان للقتال بعث الى كثير من القرى جنودًا للمحافظة على الراحة وأرسل الى دير القمر عساكرًا بقيادة الفريق داود باشا والأمير الاي اسمعيل بك ومصطفى بك ولكنهم بدلًا من ان يسيروا بمقتضى التعليمات المعطاة لهم كانوا يدعون من جهةٍ النصارى الى ملازمة السكينة ويشدّدون الدروز من جهة أخرى على القتال ويسلمونهم سرًّا بارودًا ورصاصاً

وامّا نصارى سائر المقاطعات فانّهم توافقوا على الاجتماع في أماكن معيّنة ليهجموا منها على الدروز في آنٍ واحد ان بدأ منهم مظاهرات عدائيّة وكان ابو سمرا قد جمع نصارى غربي البقاع في صغبين وبذل في تسليحهم واعدادهم للقتال غاية جهده وتجمّع اهالي اقليم جزين في جزين واهالي زحله وما جاورها في زحله واهالي المتن مع القاطع في بحنس واهالي ساحل بيروت في وادي شحرور واهالي بعبدا والحدث في بعبدا

وفي يوم من شهر نيسان من سنة ١٨٤٥ هجم المجتمعون في جزين الى قرية نيحا بعد ان خاطبوا أباسمرا ان يوافيهم من البقاع (١)

---

(١) وفي اليوم الثالث قصدت نصارى اقليم جزين دروز الشوف من

فنهض بثلاثمائة رجل وانحدر بهم الى قرى الدروز

٢ حرق قرى الدروز وانهزام علي بك حماده من امام ابي سمرا

ولمَّا بلغ أبوسمرا بالرجال معاصر الفخّار خرج الدروز لقتاله فحمل عليهم حملةً شديدةً وهزمهم فاحرق القرية ومثل هذا كان نصيب دروز مرستا وجباع والخريبة فانّهم ولّوا مدبرين وأحرق أهالي اقليم جزّين نيحا وباتر وقتل من بكاسين عبد الاحد مبارك الخوري وابو نخله قنديل حنينه وكانا يعدَّان من بواسل الرجال وبعد ان دوّخ ابوسمرا تلك القرى كتب سعيد بك جنبلاط كتاباً الى قائد الجنود العثمانية المرابطة في دير القمر يستعطفهُ ويرجوهُ مساعدة الدروز وارفق الكتابة بمالٍ جزيل فبعث القائد على الفور الف

جانب وانحدر ابوسمرا برجال غربي البقاع النصارى لملاقاتهم وصعد الامير حسن أسعد من صيدا بكتيبةٍ من النصارى من جانب آخر فاستظهروا على الدروز وهزموهم وفرَّ بعضهم الى بتدين يستغيثون بداود باشا فأرسل معهم عسكراً فأحرقت النصارى من قرى الشوف باتر ومرستا ومعاصر الشوف الفخّار وجباع والخريبة وحارة الجنادلة وعاريه ونيحا حتى وصلوا الى عمّاطور فأحرقوا بعضها واذا بالعسكر العثماني قادم ومعهُ الشيخ سعيد جنبلاط ورجاله فانكفأت النصارى لانهم لم يقصدوا قتال العسكر العثماني فقبض قائد العسكر على اربعين رجلاً من النصارى بالأمان وأخذ سلاحهم وأرسلهم الى سجن دير القمر ورجع كلٌّ الى مكانهِ (اخبار الاعيان ص ٧٠٦)

جندي الى المختارة لوقايتها من النصارى

واما ابوسمرا فبعد ان هزم دروز الخريبة التقى برجال اقليم جزين فهجم معهم صحبة رجاله غربي البقاع على قرية بعذران وقاتلوا دروزها وظفروا بهم بعد ان قتلوا منهم انفارا . ثم اجتمع كبار النصارى للمداولة في كيفية متابعة القتال وكان بينهم المرحوم المطران يوسف رزق الجزيني فقر رأيهم على الزحف على عماطور فقام ابوسمرا برجاله الى حارة الجنادلة ودخلها واخذ يحرق في عمارها وكان قسم من الدروز يجدُّون في اثر نصارى اقليم التفاح المنهزمين امامهم فلما شاهدوا النار في حارة الجنادلة انكفأوا عنهم متراجعين فخرج ابوسمرا والرجال لملاقاتهم ثم انقلب عليهم نصارى اقليم التفاح وجعلوهم بين نارين وصدموهم صدمة مريعة هائلة فولوا من امامهم مدبرين لا يلوون على شيء وقد قتل منهم جماعة بينهم الشيخ سعيد بن حسن حماده من بعقلين وقد طارد ابوسمرا اخاه علي بك حمادة فانهزم موليًا من امامهِ ولم يرتجع عنهُ حتى ألجأهُ الى الرمي بنفسهِ من فوق شيرٍ عالٍ . وقد كسر علي بك في سقوطه هذا فخذهُ وبقي منطرحًا على الارض الى ان مرَّ به ايوب مرتا من مجدلونا وسلبهُ سلاحهُ وتركهُ مغميًا عليهِ وهو يظنهُ ميتًا وبعد قليل عاد الى نفسه فبصر بهِ رجل نصراني من مزرعة الشوف يدعى صباح فناداهُ مستغيثًا ووعدهُ باحسن مكافأة ان انقذهُ من مكانه فحملهُ الرجل

فوق ظهرهِ وتقلهُ الى القاطع الثاني ووضعهُ في غابة الزيتون في خراج المزرعة وذهب فاعلم الدروز بأمرهِ فجاءوا مسرعين ونقلوهُ الى بعقلين واماَّ كسر فخذهِ فلم يبرأ تماماً وبقي أعرج الى حين وفاته سنة ١٨٩٠ وكان من الدروز الذين اشتهروا ببسالتهم وعلوّ مكانتهم في طائفتهم وكان يعتبر أبا سمرا ويجله كثيراً معترفاً لهُ بالشجاعة وامتهان الموت في ساحات القتال. وقد حارب علي بك حماده متطوعاً في حرب الدولة مع الروسية فابلى بلاءً حسناً

وقد ظلَّ النصارى يعملون السيف في اقفية الاعداء حتى شتتوا شملهم فولّى فريق منهم الى المختارة وانهزم القسم الاخر الى قاطع النهر الثاني وبعد هذا هجم ابوسمرا بالرجال على عماطور فلم يقوَ سكانها على المقاومة فخرجوا منها منهزمين فتفرق النصارى في بيوتها للسلب والنهب واضرام النار فيها

٣ العساكر العثمانية تلقي القبض على النصارى — ذبح النصارى في عانوت

وعند منتصف الليل احدقت الجنود العثمانية بعماطور دون ان يشعر النصارى بهم لانهماكهم في السلب والنهب فأمر قواد الجنود ان يهجموا عليهم فالقوا القبض على ستة وثلاثين رجلاً منهم ولما علم ابوسمرا بما فعل الجند صاح بالرجال ان يوافوه مسرعين لانقاذ اخوانهم فلم يسمع نداءه احد لان النصارى لما سمعوا بدخول

العساكر الى عماطور ارتعدت منهم الفرائص وولوا الادبار طالبين النجاة فلما رأى انه عاجز عن لم شعثهم خرج هو ايضاً من القرية وهو يتميز غيظاً

واماَّ الاسرى فسيقوا الى دير القمر حيث اعتقلوا اياماً ولما كان اهالي الدير مضطرين الى تقديم ما يلزم لهولاء الغرباء من المؤونة سألوا قائد الجند ان يأذن لهم بالانصراف الى اوطانهم فوعد بارسالهم الى ساحل صيدا محفوظين من العساكر لئلا يهاجمهم الاعداء ويقتلوهم فارسل داود باشا الاسرى بدون سلاح صحبة العساكر الى جهات صيدا ولما وصلوا بهم الى نهر الحمام تركتهم العساكر وشأنهم ولما بلغوا عانوت هجم عليهم الدروز الكامنون لهم في الطريق من جهة وسكاَّن البلدة المسلمون من جهة اخرى واطلقوا عليهم النار فقتلوهم عن اخرهم ولم ينج منهم سوى رجلين فقط وهما القس انطونيوس رئيس دير جزين وجرجس جعيان من بكاسين (١) وهو لم يزل حياً يرزق

(١) اماَّ النصارى الغرباء الذين كانوا حينئذٍ في دير القمر فالتمسوا من داود باشا ان يوجه معهم عسكراً يوصلهم الى صيدا آمنين فاجابهم وارسل معهم انفاراً ولما بلغوا نهر الحمام نكص العسكر وانفرد عنهم فلحقهم الدروز الى عانوت ولما صاروا في وسط القرية اطلق سكاَّنها الاسلام عليهم الرصاص فقتل منهم اربعة وثلاثون رجلاً ونجا منهم رجلان فانهزم احدهما الى صيدا والاخر الى دير القمر (اخبار الاعيان)

واماَّ ابوسمرا فخرج كما قلنا من عمَّاطور ثمَّ تبعهُ طنوس بن وهبه ابي زخم من جزين فالتقى بهما دروز بعذران الذين لمَّا عادوا الى قريتهم ووجدوها محروقةً ثاروا على سكَّانها النصارى (ولم تكن العادة ان يحارب الدروز مواطنيهم النصارى) فذبحوا منهم اثنتي عشر رجلاً من عائلة القهوجي فلمَّا بصروا بابي سمرا ورفيقه هجموا عليهما للفتك بهما فقابلاهم بقلب شديد كأنهما عدَّةٌ ونازلاهم وما زالا في كرّ وفرّ الى ان نجيا من بينهم سالمين . ولمَّا اقتربا من جباع وجد ابوسمرا رجاله قد تجمعوا بعد تشتيتهم فدخل بهم القرية وهزم اهلها وسار بعض رجاله الى خلوة جباع فقتلوا مَن فيها من الدروز

وبات ليلته تلك في جباع مع رجاله اهالي غربي البقاع وفي صباح اليوم التالي شوهد عن بعد جمع مقبل فبعث ابوسمرا انفارًا يستطلعون امرهُ فاذا هم نصارى من دير القمر بقيادة مبارك ابي راشد وخليل الطرابلسي (١) فلمَّا وصلوا جباع سألهم ابوسمرا عن المكان الذي يقصدونه فاجابوهُ الى جزين لتعزيز رجالها واماَّ هو فسافر برجاله الى البقاع ومنها الى زحلة

٤ ابوسمرا في حمى كفرسلوان — خراب اقليم جزين — اجمال الوقائع النصرانية الدرزيَّة

وبعد ان اقام ابوسمرا في زحله ايَّامًا نهض برجاله الى حمى

(١) والد المرحوم سليم بك الطرابلسي الباسل الذي تولَّى أمارة الجند اللبناني مرتين

كفرسلوان ووافاهُ اليها نصارى المتن فهزموا دروزها واحرقوا جانبًا من حمّانا وفالوغا وبتخنيه فتبدد الدروز وولوا من امام النصارى يطلبون لهم ملجأً لم يجدوه . وروى تاريخ اخبار الاعيان ما نصه: وتجمَّعت الدروز من قرنايل وارسلوا يستغيثون بالدولة قائلين داركوا امَّة محمد وانجدوها فان النصارى ابادوها . عند ذلك عزم الوزير على النهوض الى المتن لمنع الحرب فكتب الى المناصب ان يوافوهُ الى خان الحصين للمذاكرة وجعل رابطة يكفّ بها الحرب » اه

ولكن فوز النصارى لم يدُم كثيرًا فان سعيد بك جنبلاط لمَّا رأى ضعف نصارى اقليم جزين بعد مبارحة ابي سمرا الى المتن جمع دروز الشوف وسار بهم الى بكاسين فجزّين وواقع النصارى فهزمهم وبدَّدهم فتاهوا الى الجبال العالية ونهب الدروز بيوتهم وأحرقوها وسلبوا ما في كنائسهم وقد بلغ قتلى النصارى ما يزيد على المائة رجل من بينهم الامير حسن اسعد وقتل من الدروز نحو اربعين نفرًا وهي المرَّة الثانية التي دمَّر فيها الدروز اقليم جزّين

وأمَّا الحرب في سائر الجهات فكانت متواصلة متلاحقة بين النصارى والدروز وقد قتل من الفريقين مئات من الشجعان البسل وحلَّ الدمار في البلاد . وأهم هذه المناوشات جرت في عرمون الشوف ومعاصريتا ورشميَّا وكفرقطرا وعين بسابا وعين الرمَّانة وبعبدا وحارة حريك والشيَّاح الخ . وجرت معركة عظيمة في اعبيه

بين الدروز الذين كان يقودهم الشيخ حمود نكد والنصارى وكان عدد الدروز نيف وثلاثة آلاف رجل ودام القتال ملتحماً النهار كله فقتل من الفريقين جموع ونهب الدروز دير الآباء الكبوشيين وذبح البادري شرل احد رهبانه وشمّاسه وكاهن ماروني كان هنالك

ولمّا بلغ قنصل فرنسا خبر مقتل الراهب احتج لدى الوزير في بيروت فصدر امر هذا بالقاء القبض على الشيخ حمود النكدي ولكنهُ لم يلبث ان اطلق سراحه فلمّا علم بذلك سفير فرنسا بالاستانة طلب من الباب العالي تأديبه فصدر الامر بارساله الى الاستانة فسيق اليها

وجرت في حاصبيّا مواقع شديدة بين دروز حوران بقيادة الشيخ نصيف نكد وبين النصارى وكان الفوز فيها للدروز لانهم كانوا اوفر عدداً وقد قتل من الفريقين رجال وبالاجمال كانت هذه الحرب الاهلية بين هاتين الطائفتين وخيمة العاقبة على الطرفين

ولمّا بلغ مسامع الدولة ما جرى في لبنان من المناوشات الدموية اوعزت الى وزيرها وجيهي باشا ان يسعى في اخماد نارها فنهض الى المديرج وخاطب روساء النصارى والدروز ان يكفوا عن القتال ويحضروا اليهِ لعقد الصلح وتقرير السلام فحضر بعضهم فأمرهم ان يكتبوا شروطاً تمنع الفتنة فكتبوها وامضوها وارسل الى الشيخ

نصيف النكدي يأمره بفض عسكره وبالحضور اليه ففعل ولما مثل بين يديهِ طيَّب بخاطره وصرفهُ الى بيتهِ

٥ فض عسكر ابي سمرا في حمى كفرساوان – سخاء الافرنج – شكيب افندي ناظر الخارجية

وكتب وجيهي باشا الى ابي سمرا يأمرهُ بصرف جماعته وبعث اليهِ بكتابة مع الامير بشير احمد فلما حضر عنده شرح له عن واقعة الحال وعن عقد الصلح الذي تمَّ بين النصارى والدروز وبيَّن لهُ ان رغبة الوزير هي ان يفض رجاله ويحضر اليهِ الى المديرج فلم يحفل ابوسمرا بكلامه وقال انهُ لا يصرف الرجال قبل ان يعلم بتأكيد ان الدروز عادوا الى اوطانهم واخلدوا الى السكينة فعاد الرسول الى المديرج وقصَّ على وجيهي باشا ما اتفق له مع ابي سمرا

فكتب له ثانيةً كتاباً يقول فيهِ: « ان لم تفض رجالك اعتبرناك عدوًّا للدولة والبلاد وسيرنا اليك العساكر لمحاربتك كجرم متمرد. »
فلما اطلع ابوسمرا على هذه الكتابة لم يرَ بدًّا من تلبية الامر فأمر حالًا رجاله بالانفضاض ولم يبقَ معهُ سوى بضعة انفار انتقل بهم من حمى كفرسلوان الى قرية رومية في المتن وبقي فيها اياماً يراقب الحوادث ويتتبع اخبارها الى ان تأكد استتباب الامن واخلاد الناس الى السكينة فعاد الى بيتهِ

هذه خلاصة هذه الحرب بين الطائفتين المتعاديتين وقد لحق كما بينّا بكل منهما اضرار جسيمة من خراب الديار وقتل الاعمار

ويجمل بنا ان نعترف بالجميل لاخوتنا المسيحيين في اوربا عموماً وفي فرنسا خصوصاً لاقبالهم على مساعدة النصارى مادياً وادبياً وقد قام خطباؤوهم في المحافل والمجالس يحرضون اهل البرّ والسخاء على بسط ايديهم للاحسان وقد افتتحت بعض جرائدهم اكتتاباً لجمع المال ووكل الروساء الروحيون في توزيعها على المنكوبين

وبعد قليل وصل من الاستانة مأموراً فوق العادة لاعادة النظام الى جبال لبنان الرجل الشهير شكيب افندي ناظر الخارجية فكان من عمله انهُ اثبت نظام لبنان القاضي بوجود قائمقامين واضاف جبيل الى قائمقامية النصارى وفصل قائمقام الدروز ونصب مكانه اخاهُ الامير اميناً الارسلاني وعزل وجيهي باشا لوجود الشبهة عليهِ بانه اظهر ميلاً الى الدروز في هذه الحرب وساق الشيخ حمود الى المنفى الخ الخ .

وبعد هذه الحوادث عاد ابوسمرا الى بكاسين وسعى في ترميم بيته الذي دمرهُ الدروز وبعد ان نجز من عمله أتى بيروت بطلب من وزير الدولة فيها فجعلهُ هذا ضابطاً على مائة نفر ووكل اليـهِ امر تحصيل الاموال الاميريّة في قائمقاميّة الدروز فقام بهذه المهمّة بكلّ دقّة ونشاط اكسباهُ رضى الحكومة والاهالي وقد جدّد مساحة قرية بكاسين وصان حرشها العمومي ومشاعاتهـا من تعدّيات القرى

المجاورة ولم يألُ جهداً في المحافظة على الصوالح العمومية المفيدة لمواطنيه مماَّ جعلهم ان يذكروا مآثره بالشكر حتى اليوم ويتحدَّثوا عند كل طارئة بغيرته الوطنيَّة وشهامته النادرة

الفصل السابع

١ ابو سمرا عند الامير حيدر سنة ١٨٤٧ — رجوع عمر باشا من الاستانة

ولما رأى الوزير استقامة ابي سمرا في ادارة الاعمال التي انيطت بهِ والهمة التي بذلها في تحصيل الاموال الاميرية اوعز الى الامير حيدر قائمقام النصارى ان يجعله قائداً للرجال المنصبين عنده لجمع الاموال الاميرية فطلبه الامير وجعله عنده بوظيفة بكباشي فبقي فيها مدة يسيرة الى ان جاء بيروت عمر باشا حكمدار لبنان السابق منفذاً من قبل الدولة العلية الى جبل الاكراد في اطراف بين النهرين لقمع ثورة اضرم نارها بدرخان بك زعيم الاكراد في تلك البلاد

ولما كان عمر باشا قد عرف اباسمرا وقدر شجاعته قدرها في مواقف الحروب ومواطن القتال رغب ان يقلده منصباً عسكرياً ويصحبه معه في حملته هذه فارسل اليه كتاباً يستقدمه في الحال اليه فلبى الطلب مسرعاً ولما جاءهُ أَجلَّ عمر باشا وفادتهُ وبالغ في اكرامهِ . وقد استعملهُ

عن أحوالهِ وما جرى لهُ من بعد سفرهِ الى الاستانة فقصَّ عليهِ حوادثهُ الى ان ذكر لهُ تعيينهِ أخيراً عند قائمقام النصارى . ثم أعلمهُ عمر باشا عن سبب استقدامهِ اليه ورغبتهِ في أن يكون معهُ في الحملة على العصاة . وقال لهُ اني جعلتك قائداً على مائتي خيَّال فشكرهُ ابوسمرا على حسن ظنهِ بهِ وثقته بمقدرتهِ على تولّي هذه القيادة ولكنهُ سألهُ ان يستأذن الامير حيدر ليقبل استقالته من وظيفتهِ عنده فكتب عمر باشا الى الامير كتاباً يطلب فيهِ أَباسمرا ليتقيَّد في خدمتهِ فبعث الامير عيد ابي حاتم ومخايل الحاج نصَّار موفدين من قبلهِ ليقدما لهُ ابا سمرا

٢ نفور ضباط الاكراد من ابي سمرا

ثمَّ سافر عمر باشا الى الشام مصحوباً بابي سمرا و بعد ان وصلها كتب لهُ هنالك بيورلدي يمينهُ فيهِ قائداً على مائتي خيَّال متطوعين ولكن لمَّا علم بذلك ضبَّاط الاكراد كشمدين آغا (١) وعج اليقين آغا ومحمد بوزو آغا وحسن آغا اليازجي الَّا وقاموا وقعدوا لهذا الخبر فاجتمعوا ببعضهم واحتجوا على تعيين رجل نصراني في مصافّ الضبَّاط المسلمين وجاؤوا نامق باشا السرعسكر وتذمروا

(١) والد محمد سعيد باشا المثري الشهير في دمشق الشام

لديه من عمل عمر باشا قائلين: لا نرضى بان يكون النصراني ضابطاً بيننا فوعدهم نامق باشا باقناع عمر باشا للعدول عن تعيين ابي سمرا ولمّا حضر عمر باشا عند السر عسكر اخبرهُ هذا عن احتجاج الضباط المسلمين وحذّرهُ من سوء المنقلب فأخذ عمر باشا يبيّن للسر عسكر عن شهرة ابي سمرا في الحرب وعن غريب بسالتهِ يوم الطعان والنزال فاجابه نامق باشا قائلاً: ربّما كان ما تصفهُ به باعثاً الى غيظ الضبّاط واخشى ان يستولي عليهم الحسد فيسعوا في هلاكهِ فان كان ولا بدّ من ان تصحبهُ معك فأصلحهُ معهم

فطلب عمر باشا أبا سمرا واخبرهُ بما جرى من الضبّاط الاكراد وعن حسدهم من تعيينهِ فاجابه ابوسمرا وقال: «انّي ايها المولى قد تركت وطني حبّاً بك والآن ارى ان سفري هذا يكون محفوفاً بالمخاطر فلا حاجة لي به فايذن لي بالعودة الى مركزي عند الامير حيدر.» قال عمر باشا: «كلا لا بدّ من السفر بمعيّتي فحيثما اكن تكن.» فلم يسع ابوسمرا الّا التسليم لارادته ثمَّ سعى عمر باشا ونامق باشا باصلاح ذات البين بين ضبّاط الاكراد وبين ابي سمرا فافلحا وذهب ما كان حصل بينهم من النفور

٣ سفر ومرض — مطران الكلدان الكاثوليك

وبعد ان كملت استعدادات عمر باشا قام وبمعيته الاعيان من

العساكر النظاميَّة وألف باش بزوق بقيادة ابي سمرا (١) ومن ذكرنا من الضبَّاط ولمَّا وصلت العساكر الى حلب نزلت على ضفاف النهر خارج البوابة بجوار الشيخ يبرق ونزل ابو سمرا ضيفاً على مطران الموارنة في الجديدة وبقي عمر باشا في حلب خمسة عشر يوماً ثمَّ قام واصحب منها آلاي نظامي والضَّابط دالي علي يقود ثلثماية خيَّال وسار الى بيراجيك الى قاطع الشطّ مراد وبقي فيها اسبوعاً ثمَّ انتقل الى اورفا بطريق خان السبع ملوك ونزل في شماليها واقام هنالك خمسة عشر يوماً

وفي اثناء ذلك أُصيب فارس رفيق ابي سمرا بحمَّى خبيثة فاعلم الباشا بامرهِ فبعث اليه طبيباً ينظر في علاج لهُ فأَتى الطبيب وأشار بوجوب فصدهِ ولمَّا فُصد كان ابو سمرا بقربهِ فصعدت رائحة الدم في رأسهِ وانتقلت اليه العدوى فمرض ايضاً ولمَّا علم عمر باشا بمرضهِ تكدَّر جداً وقام من ساعتهِ وأتى لعيادته

ولمَّا تمت استعدادات العساكر للرحيل امر عمر باشا بان تجعل محفايتان (هودج) فوق بغل يوضع كل مريض في محفاية وكلف اربعة انفار من العسكر ان يلازموهما في الطريق محافظةً على راحتهما .

---

(١) وقد اصحب ابو سمرا معهُ رجلين من بكاسين هما نمر منصف حنينه وابن عمه فارس حبيب غانم والد عزتلو حبيب بك غانم الآنف الذكر

وسارت العساكر في طريق سيورك وجرموك وحمام القدرة الى ديار بكر ونزلت على نبع هنالك يقال لهُ الحمراوات

ولمَّا وصلوا الى ديار بكر امر عمر باشا ان يحمل المريضان الى القشلاق فحملا ووضع كل واحدٍ في غرفة ومنعا عن محادثة بعضهما ولم يؤذن لاحد ان يقابلهما بل كان الطبيب يأتي صباح كل يوم فينظر اليهما من الباب دون ان يدخل فيكتب ما تلقنهُ اياه صناعته من الدواء فيذهب في سبيلهِ ويأتي بعدهُ الممرّض فيناولهما الدواء ويذهب . وبقيا على هذه الحالة نحو خمسة عشر يومًا سئم ابوسمرا بعدها الاقامة وشكا من ألم الجوع لانهم لم يؤذنوا لهُ الَّا بأكل شيء قليل من الارز المسلوق تضاف اليهِ أحيانًا كسرة من الخبز . فلمَّا رأى هذه حالته طلب من الممرّض ان يأتيهُ بثيابهِ ففعل فلبسها وخرج من القشلاق وهو منهوك القوى وجاء مطرانخانة الكلدان الكاثوليك فقابل فيها المطران وكان يدعى بولس بطرس وكان في مجلس المطران كاهن ارمني اسمهُ يوحنَّا فسأَل أَبا سمرا عن خبره فحدثه بامره واخبرهُ انهُ جاء صحبة عمر باشا مع الحملة العسكريَّة فسأَلهُ عن اسمه فاجاب: اسمي ابو سمرا . فاخذ القس المذكور ينظر اليهِ باندهاش وتعجب فقال لهُ ابو سمرا وما الذي يوجب تعجبك ايها الاب فقال : كنت في لبنان سنة ١٨٤٠ حين ثار الموارنة واللبنانيون على ابرهيم باشا وكنت اسمع بذكر فارس شجاع يدعى اباسمرا كان قد لعب في

تلك الثورة دورًا مهماً . فاجاب ابو سمرا وقال: انا هو ذلك الفارس فسرّ الكاهن سرورًا عظيمًا وشرع يحدّث المطران عن اعمالهِ وشهرته في مواقع الحرب

فاحتفى المطران عند ذلك بهِ كثيرًا واخذَ يثني عليهِ وعلى الطائفة المارونية ويمدح من تعلقها الدائم بالايمان الكاثوليكي ويحدث عن سامي منزلتها بين الكنائس الشرقية وبعد هذا انعم على ابي سمرا عربونًا على صداقتهما الجديدة بذخيرة عود الصليب المقدس ثم امر سيادتهُ باحضار طبيب بلدي يتولّى معالجته فجيء برجل اسمهُ الحكيم منصور وامره المطران ان يعالج ابا سمرا ويعتني بهِ اكرامًا لخاطره فاجاب الحكيم منصور مطيعًا واخذَ ابا سمرا الى بيته واستعلم منهُ عن مرضهِ وسيره فشرح لهُ المريض ما توقع لهُ وشكا اليهِ الجوع . فاستدعى الطبيب امرأته حالًا وقال لها اذبحي دجاجة وبعد ان تنظفيها اسحقيها في الجرن بعظمها وضعيها فوق النار لتستوي استواءً جيدًا وبعد ان يُنضج طبخها صفّي مرقها في خرقة واطرحي اللحم خارجا ثم اعملي على المرق حساءً واحضريها اليهِ مع رغيفين من الخبز . فلمّا أُعدّ هذا الطعام أكل ابو سمرا منهُ بِنَهم وبعد الاكل اعطاه الحكيم منصور معجونة بحجم الجوزة مركبة من عقاقير طبية فأكلها . ثم امرهُ ان ينام فنام ساعات ولمّا افاق من نومه وجد نفسه في احسن حال شبعًا وراحةً وكان قد عرق عرقًا غزيرًا حتى ابتلّت ثيابه وفراشه ايضًا وسألهُ

الحكيم ان يبقي عنده ثمانية ايام فشكره على صنيعه

ثم جاء عمر باشا واخبره بما توقع لهُ من بعد طلوعه من القشلاق واستأذنهُ باخراج ابن عمهِ فارس ليذهب بهِ الى الطبيب منصور فاذن لهُ ونال فارس الشفاء ايضاً بعناية هذا الرجل . وقبل سفر العساكر جاء ابوسمرا عند المطران مودّعاً وشاكرًا ما لقيه من سيادته من الاعزاز والاكرام وبعد ذلك اعترف وتناول القربان الطاهر مع رفيقيه فارس ونمر في كنيسة المرسلين الكبوشيين هنالك مزودًا نفسه باسرار الديانة قبل الولوج في حرب لا يعرف ما يخبئ لهُ فيها المستقبل ولا يعلم كيف تتم

٤ اخبار بدرخان بك والسرعسكر محمد طاهر باشا

وفي مدة اقامة العساكر في ديار بكر وصل السرعسكر محمد طاهر باشا من برّ الاناضول يقود اثنين وثلاثين الف جندي نظامي وتسعة الاف ارناؤوطي تحت قيادة مصطفى باشا ليضافوا الى الفي نفر عام والفين وخمسمائة موش والفين وخمسماية من ديار بكر حتى بلغت القوّات ستة واربعين الفاً . وبعد وصول السر عسكر كتب الى بدرخان بك الى محل اقامته في دير كلي بان يسلّم للدولة ويكون في طاعتها بدون حرب حذرًا من سوء العاقبة عليه فجاوبه زعيم العصاة جوابًا شديد اللهجة اشار فيهِ الى عدم الاذعان والتسليم . فبعث السرعسكر بهذا الجواب الى الاستانة فوردهُ الامر ان يحمل

عليه حملةً شديدة بكامل قواته ويقاتله الى ان يسلم او يطلب الصفح او يقتل

فقام السرعسكر وعمر باشا بالجيوش من ديار بكر وصحبتهم ابوسمرا وتابعه نمر (اماَّ فارس فبقي في ديار بكر وكيلًا على خيل عمر باشا) الى مديات ومنها الى جزيرة الشرف (او جزيرة ابن عمر) وكان هنالك جسر قد خربهُ بدرخان بك ليمنع العساكر العثمانية من اجتياز الدجلة . فبقيت العساكر على ضفة النهر اياماً شدوا فيها جسراً ليعبروا عليه وكان بدرخان بك ينظر من الضفة الثانية مع جماعته الى اعمالهم مستهزئاً فاخذ السرعسكر وعمر باشا في العمل في انشاء الجسر فاحضرت الكاكات (وهي عبارة عن قُرَب تعرف عندهم بالطوف تنفخ وتشد الواحدة الى الاخرى لتحمل الناس فوق الماء) وشدت الى بعضها بين الواحدة والاخرى منها مسافة اربعة اذرع ثم جيء باخشاب قوية فشدت اليها وسمرت فوقها الواح من خشب وفرشت بالرمل والتراب حتى نجز جسراً صالحاً لمرور الجنود بعد ثلاثة ايام

وقبل ان يعبر الجنود اخذ عمر باشا الفين من العساكر غير المنظمة التي تحت قيادته وصعد فوق رابيةٍ عالية تكشف على سهول واسعة ورأى عن بعد قلعاً ثلاث شيدت فوق مرتفعات من الارض تحمي ممراً ضيقاً . فلما شاهد استحكامات الاكراد وتحصيناتهم عاد الى السرعسكر يبادلهُ رايهُ في كيفية القتال . وكان عمر باشا يشير بوجوب

عبور الجنود كلهـا الى الشاطئ الاخر لترحف على حصون الاكراد فخالفه السر عسكر في الرأي احترازاً ووقع بينهما خلاف بشأن ذلك فقال عمر باشا اعطني الجنود العربية التي اصحبتهـا معي من بلاد سوريا وحلب وما بين النهرين وسلّمني اثني عشر مدفعاً وانا اتكفل لك بالفوز والنصر على الاعداء وابقى انت مع الجنود التركية وبقية المدافع في مكانك وكن على اهبة لنجدتنا ان ظفر بنا الاكراد . فاجابه السر عسكر الى طلبـه وعبر عمر باشا مع الجنود العربية الى الشط الاخر وكانت الاعداء ترى حركاتهم فصبروا عنهم الى ان ارخى الليل سدوله فجاؤوهم يناوؤنهم ليحملوهم على الخروج من اماكنهم حتى اذا ما اقتربوا من القلاع والحصون وابتعدوا عن سائر الجنود التركية فتكوا بهم فتكاً ذريعاً . فادرك عمر باشا مقصدهم فصدر امره الاّ يبرح احد مكانه الى الصباح ولما اشرق نور النهار امر بالهجوم عليهم وطفقت المدافع تطلق قنابلها من الشط الاخر على الاعـداء فصبر الاكراد ساعات على القتال كانت ابطالهم تهجم فيها بكل بأس وشدة كالاسود على المدافع فتلاقي الموت الزؤام

٥ قتال ابي سمرا — وقوعه في الاسر

ولمّا رأى ابو سمـرا ان الحرب قد دارت رحاها ثارَ فيهِ ثائر النخوة الى قتال العصاة وكانت العساكر تودّ ان تراهُ في ساحات

الحرب بعد ان سمعت عن شهرته في القتال وثباته في الكفاح ما سَمِعت فامتطى جواده والابصار تحدق بهِ من كلّ صوب وصاح صيحاتهُ المعهودة «انا ابو سمرا ذبّاح الاعادي» وأخذ يُغير على صفوف الاكراد في مقدّمة الجنود حتى كاد ان يلامسهم فيطلق على جموعهم النار دفعات متوالية ويعود الى جماعته فيقابلونهُ بالتهليل والاعجاب فلم يكن ذلك الّا ليزيدهُ جرأةً واقداماً . وكنت ترى عمر باشا يتبسم مسروراً ولسان حاله يقول: «هذا هو الرجل الذي استخفَّ بهِ واحتقرهُ ضبّاطنا واحتجوا على تعيينهِ في مصافهم .» ولكنّهُ لم يرَ بُدًّا من الالحاح عليهِ الّا يعرّض بنفسه للتهلكة

ولكن انّى لأبي سمرا ان يرضخ للنصيحة وقد اسكرتهُ ثورة الحرب وثمل من خمرة المجد فما زال في كرّ وفرّ حتى أُصيب حصانه برصاصةٍ قتلتهُ في الحال وهو عاشر الخيل التي قتلت تحتهُ في الحرب فوقع على الارض وأحدق بهِ الاعداء وألقوا عليه القبض وقادوهُ اسيراً الى معسكرهم وكان الاكراد كلما أَسروا رجلاً احضروهُ بين يدي بدرخان بك فان كان تركياً امر بقتله وان عربياً عفى عنه

فبعد ان سلبوا أبا سمرا سلاحه وثيابه قادوهُ الى بدرخان بك فأَخذ هذا يسأله عن امرهِ وإليك بعض حديثهما: من اين انت؟ انا مسيحي من جبل لبنان . وما الذي جاءَ بك الى هنا؟ كنت

وكيلًا على ارزاق الامير بشــير وطولبت بدفع الاموال الاميريّة ولم يكن لديّ دراهم فخفت من الاضطهاد وهربت الى حيث النجــاة ولمّا علمت بانك شقّيت عصا الطاعــة على الدولة قصدت الفرار اليك واغتنمت فرصة قدوم العساكر الشاميــة لآتي بصحبتهم ولمّا دارت رحى الحرب بينك وبين الجنود اغرت بحصاني نحو قومك فعرف قائدنا بخيانتي فأمر برمي بالرصاص فقتل حصاني ولما وقعت على الارض اسرني رجالك وسلبوني اسلحتي ودراهمي وثيابي وقادوني اليك والان ارجوك ان تعفو عن دمي وتأمر قومك ان يردوا لي مــا سلبوه مني لاني رجل نصراني . فاجابــه بدرخان بك لو تأكدت بانك نصراني لكنت اعفو عنك : فشمر ابوسمرا عن ساعده وقال له انظر وشم الصليب وصورة مار جرجس في يدي اتريد برهانًا اقوى من هذا على صحة قولي ؟ فنظر بدرخان بك الى الصليب والصورة وتحقق لديه صدق ابي سمرا ولكن حاشيته كانت تسعى في هلاكه لما شاهدت من فعاله في الحرب . ولما كان بدرخان بك يعلم ان النصارى لم يكن من عادتها التجند في جيش الدولة حار في امر وجود هذا النصراني بين العساكر الاسلامية فاشفق عليه وامنه من القتل قائلًا : اني اعفو عنك اكرامًا لخاطر الامير بشير لاننا نحن والامراء الشهابيين من سلالة واحدة يتصل نسبهــا بسيدي خالد بن الوليد وكان بيننا وبين الامير مكاتبات ومواصلات اخبار . وقد تكدرت جدًّا لما علمت

بانه خرج من طاعة الدولة المصرية وكان الواجب عليه ان يأتي الينا عوضاً عن ان يسلّم لدولة الانكليز . ثم استعلم عن قوات السر عسكر فاخبره ان الجنود يبلغ عددها نيِّف وخمسين الف جندي يضاف اليها نحو عشرين الف من الموش والنفر عام والباش بزوق (١) فقطب بدرخان بك حاجبيهِ وبعد ان سكت قليلاً قال : اني ساسحقهم بقدرة الله وعناية الرسول

ثم امر اباسمرا ان يخرج من حضرته فخرج ولم يعد يراه من بعد وقضى بين الاكراد ثلاثة ايّام قاسى فيها من الشدائد والمحن أشكالاً وألواناً فكانوا تارةً يوسعونه ضرباً وطوراً يرمونهُ الى الارض ويرفعون فوق رأسه سيوفهم وخناجرهم متهدّدينهُ بعذاب الموت او يسخرون بدينهِ مستهزئين وقد نزعوا من عنقهِ ذخيرة عود الصليب التي كان اهداهُ أياها المطران بولس الكلداني في ديار بكر . ولمَّا سلبوهُ ثيابه اخذوا ايضاً ما كان موجوداً فيها ومن جملتها الخطّ الذي كان سلمهُ اياهُ السعيد الذكر البطريرك يوسف الحبيشي الآمر فيهِ أي كاهن كان ان يسمع اعترافهُ ويحلهُ من خطاياهُ كلما طلب ذلك وكان يتحمَّل تلك المعاملات الصارمة بالصبر والتسليم والدعاء الى الله كي يفرج عنهُ ويقيه من الخطر الذي اوقعتهُ فيهِ جراءَته

(١) اسماء اجواق العساكر التركية الغير المنظمة

٦ نجاتهُ من الأسر

وبعد مضي ثلاثة ايَّام كان عرف فيها مواقع الاعداء والسبل الموصلة الى معسكر عمر باشا صبر الى ان جنَّ الليل ونام الاكراد فخرج من بين المضارب وهو يزحف شيئاً فشيئاً على بطنه خوفًا من ان يراهُ احد وأخذ بالابتعاد واذنه صاغية الى كل حركة وقلبهُ خافق من الرعبة والهلع ولمَّا عظمت المسافة بينه وبين الأكراد وتأكد انهم لم يشعروا بفرارهِ اطلق ساقيه للريح وظلَّ في جريهِ لايلوي على شيء الى ان وصل الى صبَّارة (رقباء) معسكر عمر باشا فصاح بهِ احدهم «كيم بو» اي من هذا فاجابهم : انا ابوسمرا فلاقاهُ بعضهم وأتوا بهِ الى المخفر (القراقول) فرحب بهِ الموجودون وهنؤوهُ بالنجاة والقوا عليهِ بعض الثياب تدفئةً لهُ واشبعوهُ من طعامهم

ولمَّا اصبح الصباح ساروا برفقتهِ الى المعسكر ناحين نحو خيمة عمر باشا فرأوهُ جالساً في ظاهرها على كرسي وحوله الضباط قعوداً يشربون القهوة ولمَّا اقترب منهم ابوسمرا عرفهُ عمر باشا فصاح فرحاً مسروراً اهلاً وسهلاً الحمد لله على نجاتك ثم الحمد لله . ثم اخذ يقبلهُ وهو يردّد هذه العبارة الحمد لله . فتساقطت دموع ابي سمرا من الفرح واقبل الضبَّاط يعانقونه ويهنؤونه بالسلامة

ثمَّ اجلسهُ عمر باشا بقربه وأَمر لهُ بالقهوة واخذ يستعلمه عمَّا توقَّع لهُ قائلًا انَّا حسبناك في عداد الاموات وقد أرسلت رجالك نمرًا مع نفر يبحثون عنك فوجدوا حصانك مقتولًا ولم يعثروا على اثر لك بين القتلى . فتأكد لدينا انك أُسرت وقطعنا الرجاء من سلامتك . فطفق ابو سمرا يقص ما جرى لهُ وتوقع وكيف عفى عنهُ بدرخان بك لكونه نصرانيًا ومن خدمة الامير بشير وكيف احتال في الفرار الى ان كتب الله لهُ النجاة وبعد ان اتمَّ حديثه قدَّم لهُ عمر باشا ثيابًا وأَسلحة وفرسًا من الرسن الصقلاوي من خيل صفوق الجرباء .

واماَّ نمر منصف رجل ابي سمرا فلمَّا تحقَّق لديه موته حزن حزنًا شديدًا ولم يقبل عزاءً وكان كمن أُصيب بجنون ولم ينكفَّ عن سكب الدموع الأيَّام الثلاثة حتى علم بسلامة سيده فطاب نفسًا وقرَّ عينًا واسرع اليه يقبِّل يديه ويبلها بدموع الفرح والسرور

٧ طاعة ابني عم بدرخان بك — متابعة القتال — جرح ابي سمرا

ولنعد الى تتمَّة حديثنا في هذه الحرب فنقول : وفي المعركة التي أُسر فيها ابو سمرا تمَّ الفوز للعثمانيين فانهزم الاكراد الى القلاع الثلاث التي ذكرنا وتحصنوا فيها . وكان لبدرخان بك ابنا عمّ يدعى الاول منهما شيردين بك والثاني سيدون بك فراسلهما السر عسكر

سرًّا ليخرجا من مخالفة ابن عمهما ويدخلا في طاعة الدولة ووعدهما بانهُ يجعلهما في منصب الولاية على جبل الأكراد مكانه . فطاب لهما الامر وحضرا الى معسكر الجنود العثمانية فطيّب المشير خاطرهما وخلع على كل واحدٍ منهما سيفًا كريمًا وساعةً ذهبيَّة وانعم عليهما بخلعة الولاية واصدر بيورلدي يؤذن بتصيبهما حاكمين على جبل الأكراد وامرهما ان يبعثا بنصٍّ منه الى البلاد ففعلا وكانت النتيجة ان انقسم الاكراد الى صفين الواحد يأتمُّ بامر شيريدين بك واخيه سيدون بك وهم الموالون للدولة والثاني يشدّ ازر بدرخان بك وهم العصاة . ولمَّا علم بدرخان بك بخيانة ابني عمهِ فرَّ من سرايتــه في الديركلي وذهب الى قلعة المعلقة فاحتلَّت الجنود المظفَّرة ديركلي ونزل السرعسكر في سراي زعيم العصاة

وبعــد ان اخذت الجنود نصيبًا من الراحة بضعــة ايام فرَّ بدرخان بك الى قلعة القنديل فدخل العثمانيُّون القلعة وغنموا ما فيها من المفروشات العجمية الثمينة وقد عثروا على كميَّة وافرة من العسل في عشرات من الزقاق وعلى نحو عشرة آلاف من الاحذية وعلى شيءٍ كثير من الذخائر والأقوات

وبعد ان حازت الجنود العثمانيَّة هذا النصر راسل السرعسكر بدرخان بك في الصلح فأبى الّا الحرب فسيَّر اليهِ فرقًا من الجند بقيادة عمر باشا وحسن باشا ومصطفى باشا ومحمد نديم باشا فحاصروهُ في قلعة

القنديل خمسين يوماً ولمّا نفذت من عنده المؤونات فرّ تحت ظلام
الليل الى قلعة الاوراق وهي آخر معقل يلتجئ اليه وكان موقع هذه
القلعة فوق رابية عالية وفي جنوبيها وغربيها رابيتان عاليتان ايضاً
فاحتلتها الجنود العثمانية وشرعت تطلق من أعلاها المدافع على القلعة
فقابلها الاكراد بما فُطروا عليهِ من البأس والشدّة كانهم ابطال
صناديد وكان عمر باشا مع العساكر العربيَّة فوق الرابيَّة الجنوبيّة
فأمرهم ان يهجموا على القلعة ويسعروا في الاكراد ناراً حامية
فهجموا وهم يزأرون كالاسود فصدمهم الاكراد صدمةً شديدة
أماتوا منهم مائة نفر ما عدا الجرحى وكان بين القتلى حامل
الراية (البيرقجي) فزعرت عساكر عمر باشا وتقهقرت الى الوراء
تاركةً الراية في الارض فالتفت عمر باشا الى ابي سمرا الذي كان
يقاتل بقربهِ وأشار باصبعهِ الى الراية فلم يحتج الى زيادة ايضاح
وفهم ان الموقف حرج فقال لهُ لبيك مولاي وصاح صيحةً شديدة
دوت لها الجبال وأسرع الى الراية فرفعها وهجم في مقدمة الصفوف
نحو الاعداء فثارت في رؤوس الجنود ثورة الشجاعة والحماسة بعد
ان تولّاها بعض الفتور ودبّت في عروقهم نيران البسالة بعد خمودها
فقابلهم الاكراد بقلوبٍ قُدّت من حديد وهلّلوا وكبّروا وصبوا عليهم
ناراً شديدة غير منقطعة ولاسيا على ابي سمرا الحامل الراية المظفّرة
لانهم عرفوهُ جيداً وفيما هم على هذه الحالة أُصيب ابوسمرا برصاصة

في زندهِ فوقعت الراية من يدهِ وكانت المرَّة السادسة التي أُصيب بها هذا البطـل بجرحٍ في الحرب . فلمَّا رآهُ عمر باشـا مجروحاً امر نفرين ان يحملاهُ حالاً الى المعسكر ولمَّا وصل حضر الجراح وكشف عن جرحهِ فرأى الرصاص قد نفذ من جهةٍ الى أُخرى وامَّا العظم فلم يُصب باذًى . ولمَّا جاء عمر باشا لعيادتهِ قال لهُ : اني اشكرك بالنيابة عن الدولة على الخدم العظيمة التي اديتها انتصاراً لها وعساك تلاقي دائماً من اولياء الامر التفاتاً ورعايةً فجاوبهُ ابو سمرا وقال : « اني خادم الدولة ولي الشرف ان اجاهد في سبيلهـا واسفك دمي حباً بها . »

٨ تسليم بدرخان بك — عودة ابي سمرا الى وطنهِ

ودام حصار القلعة بعد جرح ابي سمرا ثمانيـة ايَّام ونار الحرب يتأجج سعيرها بدون انقطاع الى ان سقطت قنبـلة على مستودعات البارود فاضرمتها واهلكت كثيرين من الاكراد . حينئذٍ تولَّى اليأس بدرخان بك فرفع فوق القلعة راية بيضاء فلمَّا رآها السرعسكر امر حالاً بابطال القتال وبعث امير آلاي كردي اسمـه مصطفى بك رسولاً الى بدرخان بك للمخابرة بامر الصلح فاتَّفق الرسول معه على ان يحضر ثاني يوم مسلماً للسرعسكر بدون شرط . وفي الغد ارتدى بدرخان بك بثوبهِ الرسمي ووضع على رأسه الكلاة (وهي

قلنسوة من لبد كالتي يلبسها دراويش الطريقة المولوية وزيّن صدره بنشان عثماني كان قلده اياه حافظ باشا الذي تولّى قيادة الجنود العثمانيّة في معركة نصيبين سنة ١٨٣٩ وسار الى المعسكر فصدحت الموسيقى السلطانية احتفالاً به وقبله السر عسكر بالبشاشة والترحيب وأمر له بالقهوة والچبق . ثمّ زار عمر باشا في خيمته فأكرم وفادته وبعد هذه الزيارة أدخل الى خيمة أعدت له في وسط المعسكر

وعلى اثر هذا اجتمع عمر باشا مع السرعسكر وتباحثا فيما يجب فعله بعد هذا التسليم فأقرّا على عرض الواقع للباب العالي وامرا ان تخفر خيمة بدرخان بك وان يجعل شخصه قيد المراقبة الى ان يرد الجواب من الاستانة . وأمّا الامتعة والذخائر والاسلحة التي كانت في القلعة فقد وزّعت على القوّاد والضبّاط . وبعد ايّام وردت الاوامر السلطانية التي مفادها ارسال بدرخان بك محفوظاً الى الاستانة واثبات ابني عمه شيردين بك وسيدون بك على ولاية الجبل تحت مراقبة اسعد باشا والي الموصل وبعد تنفيذ هذه الاوامر استتب الامن وسادت الراحة بين الاكراد فصدر الامر باعادة العساكر الى اوطانها بعد ان تدفع للضبّاط والجنود المتطوعين المعاشات المرتبة لهم

وقام عمر باشا الى ديار بكر وهناك استدعى ابا سمرا وشكره على خدمته الصادقة في جانب الدولة واجزل له العطاء ونقده عشرين الف غرش وأذن له بالانصراف الى وطنه . فودّعه ابو سمرا

واخذ رفيقيه وقفل راجعًا الى بـلادهِ

ولمَّا وصل حلب نزل على سيادة مطران الموارنة وبقي في ضيافتهِ ثلاثة ايَّام وقام من حلب يوم الاحد فوصـل بكاسين بعد اسبوع اي يوم الاحد التالي . ولمَّا بلغت البشرى بقدومه الى بكاسـين وما جاورها هرع النَّاس لملاقاته فرحين ببابهِ بالسلامة بعد ان شاع خبر موته لانقطاع خبره زهاء ستة اشهر وقد اشترك بالاحتفال بقدومه اهالي القرى المجاورة فاطلقوا البنادق في الفضـاء وقرعوا الاجراس وتغنى الرجال بمديحه وزغرتت النساء مرتلةً آية الحمد والشكر للعزة الالهية التي أعادت للوطن بطله سالمًا غانمًا

٩ ملخص ترجمة عمر باشا

لم نحبّ ان يبارح عمر باشا بلادنا دون ان نلخص للقرّاء ترجمته ليكونوا على بيِّنةٍ من أمر هذا القائد الشهير الذي ذاع صيتهُ في الشرق والغرب وكان من أعظم رجال الحرب في الجيل الماضي فنقول:

ولد عمر باشا في قرية تدعى بلاسك من اعمال كرواسيا سنـة ١٨٠٦ من ابوين مسيحيين ارثوذكسيين وكان اسمهُ ميخائيل لتَّاس وقد تلقى دروسهُ الحربية في اوغلي وتطوَّع في الجيش النمساوي الَّا أنهُ لم يلبث ان ترك خدمة النمسا ولجأ الى البوسنه وجحد فيها الدين المسيحي واعتنق فيها الدين الاسلامي كما فعل من قبـله كثيرون من

مواطنيه اخصهم بالذكر احمد باشا الجزّار والي عكا الشهير وكان عمر باشا بارعًا في الخط فعرفهُ حسين باشا (الشهير بعدوانهِ للانكشاريّة والعامل الاكبر على انقراضهم) والي ايدين اذ ذاك. فاتخذهُ مدرّسًا لاولادهِ

وفي سنة ١٨٣٤ ارسله الى الاستانة حيث تجنَّد في الجندّية العثمانية وتعيّن معلمًا للخط في المدرسة الحربية. ثمَّ اختارهُ السلطان محمود معلمًا للخط ايضًا لنجله وليّ العهد السلطان عبد المجيد. ولمَّا جلس السلطان عبد المجيد على تخت السلطنة العثمانية سنة ١٨٣٩ رُقي معلمه عمر الى رتبة امير آلاي وبعثه سنة ١٨٤٠ مع العساكر التي سارت الى سوريًا لاخراج ابرهيم باشا المصري وفي نهاية تلك السنة رقي الى رتبة لواء

وسنة ١٨٤٢ جعله حكمدارًا في لبنان وأخبارهُ مفصلة في هذا الكتاب وسنة ١٨٤٣ أُرسل الى البانيا وأخمد ثورةً فيها وأدخل عددًا من الالبانيين في الجندية ومن ذلك الحين أَخذت شهرته تنمو في أُوربا ومنزلته تعلو في الاستانة

وسنة ١٨٤٧ كان من اكبر العاملين على اخماد الثورة التي قام بها بدرخان بك في جبل الاكراد والتي سردنا أَخبارها اعلاه. وسنة ١٨٤٩ جُعل فريقًا وقاتل الروسيين في حربهم مع الدولة وفي السنين التالية تولّى مأموريّات مهمَّة في البوسنه والجبل الاسود. وسنة ١٨٥٣

عيّن سرداراً وقاتل ايضاً الروس فأبلى بلاء حسناً

واماَّ في حرب القرم فقد وقع خلاف بينه وبين قواد الدولتين المتحالفتين مع دولتنا العلية اعني بهما فرنسا وانكلترة فلم يأتِ عملاً يذكر بل ترك جيشهُ وجاء الاستانة ليدافع عن آرائهِ وفي غيابه سقطت سباستبول (٨ ايلول سنة ١٨٥٥) بفضل بسالة الجنود الفرنسويَّة وبالأخص الفرق التي كان يقودها بطل فرنسا ماكماهون الشهير . واماَّ الجنود العثمانية فلم تشترك بهذا الفتح

ثم عهد الى عمر باشا ان يأتي الى نصرة قلعة القرص فتقاعس عن ذلك وسقطت القرص قبل ان يصل لنجدتها . فاوغر عمله الصدور عليهِ وأبعد من الاستانة . ثمَّ أستقدم سنة ١٨٦٠ ومُنح رتبة المشيريَّة السامية وجعل قائداً عاماً للجيوش المرابطة في الروملي وأخمد الثورات التي كانت تتأجج نيرانها في تلك الولايات . وسنة ١٨٦٧ عهد اليه قمع الثورة في اكريت فاشتهر بالقسوة والصرامة

وسنة ١٨٤٨ رقي الى أعلى مقام في الجندية وجعل القائد الاول على الجنود العثمانيَّة المظفرة . وكانت وفاته سنة ١٨٧١ وهو في الثانية والستين من عمرهِ وكان رجلاً عالي الهمَّة ماضي العزيمة رحمه الله

الجزء الرابع

الفصل الاول

١ زواج ابي سمرا — مولود — اعتداء — سكنه في دير القمر

بلغ ابو سمرا الخامسة والاربعون من عمره ولم يفكر بالزواج بل كانت شواغل الحرب وبعواعث الجهاد والكفاح اخذةً بعقله وكان اصحابه وذووه يلحون عليه بالزواج فارتاحت نفسه اخيرًا الى الاقتران بامراة تكون رفيقة حياتهِ وشريكة له في تدبير امره . وكانت صداقة مكينة تربطه بالخوري بطرس المعوشي فطلب منهُ يد ابنته تاج فلم يرد طلبهُ بل خطبه قبل سفره الى محاربة بدرخان بك وبعد بضعة اشهر من رجوعه من بلاد النهرين تزوج بها

وبعد سنة رزقه الله ولدًا ذكرًا ففرح بهِ فرحًا عظيمًا واقام الافراح ايَّامًا وقد منحه المطران عبد الله البستاني سر العماد وسمَّاه سليمان (وهو الاب سليمان غانم اليسوعي) وقد ظنَّ ابو سمرا ان ايَّام التعب قد انقضت وجاءَت مكانها ايَّام حظ وهناء فخاب ظنًّا .وكأَن الله قدر ان لا يصفو لهُ الدهر يومًا الا ليكدرهُ سنةً وكأَن الحكمة الربانيَّة شاءَت ان لا يهدأَ لهذا الانسان بال في هذه الدنيا بل ان تكون حياته كلها عرضةً للمخاطر تكتنفها المشقَّات وتحف بها المخاوف وكان

حساده واعداؤه يعملون على هلاكهِ واماً العقلاء المحبون فكانوا يحذرونه دائماً من مكائد الاعداء وقد اصابوا كل الاصابة فقد تم ما كانوا يخشونهُ

ففي احدى الليالي الحالكة السواد دخل بضعة انفار بكاسين والناس نيـام وجاؤوا بيت ابي سمرا للفتك بهِ واتفقوا على ان يقرعوا الباب حتى اذا ما جاء صاحب البيت ليفتح لهم اطلقوا عليهِ رصاصهم واماتوه شر ميتة . وكان من حسن حظ ابي سمرا ان ثلاثة رجال اشداء من اتباعهِ كانوا نائمين عنده وهم نمر منصف وبيضون قايين وضاهر لحود وكان هولاء لا يضنون بارواحهم فداءً عن سيـدهم فلماً سمعوا قرع الباب قام احدهم ضاهر لحود ليرى من القادم وما فتح الباب الاَّ واطلق عليهِ اولئك اللئام بنادقهم وهم يظنونه ابا سمرا فاصـاب الرصاص بعضه الباب وبعضهُ داخل البيت وخرقت رصاصة ثياب ضاهر دون ان تمسـهُ بأذىً فلما سمع ابو سمرا من داخل اطلاق العيارات النارية صاح بهم صيحةً عظيمة ثم عمد الى سلاحه وهجم عليهم يريد البطش بهم فرآهم قد ولوا الادبار . ولمَّا سمع اهـالي بكاسين اطلاق النار وعرفوا ان بعض الاوغاد قصدوا قتل ابي سمرا قامت قيامتهم واسرعوا الى محل الحادثة مدججين باسلحتهم فلم يروا احداً بل سمعوا صوت ابي سمرا في خارج القرية وهو يتأثر الاعداء فتفرقوا في النواحي يبحثون عنهم فلم يعثروا لهم على اثر لشدَّة سواد الليل وقد وقعت الشبهة على اربعة رجال من الدروز وعلى اثنين من

نصارى نيحا . واما اهالي بكاسين فشق عليهم ما جرى وعينوا كل ليلة خمسة انفار يتناوبون خفارة بيت ابي سمرا خوفًا من تعدٍّ جديد

وقد انتشر خبر هذه الحادثة في الجهات حتى بلغت اهالي دير القمر فاستاؤوا جدًّا وعقد اكابرهم اجتماعًا قرروا فيهِ ارسال وفدٍ الى بكاسين ليأتي بابي سمرا وبعائلتهِ الى دير القمر. فجاءَ نحو خمسين رجلًا في مقدمتهم خليل الطرابلسي وحسن عيد الى بكاسين ونقلوا ابا سمرا الى الدير مارين بهِ في المختارة وهم يهزجون باسمه ويطلقون البنادق احتفاءً بهِ . وبقي ابو سمرا في دير القمر سنتين كان فيها موضوع اكرام الديريين وحبهم ثم عاد الى بكاسين ولزم بيته دون ان يأتي عملًا يذكر الى سنة ١٨٦٠

٢ لمحة عن حوادث لبنان قبل سنة ١٨٦٠

كنا ذكرنا في حينهِ حضور شكيب افندي ناظر الخارجية الى لبنان ونزيد الآن ان الناس عاشت بعد الترتيبات التي وضعها هذا الوزير الخطير في سلام وراحة وأمان الى سنة ١٨٥٤ وهي السنة التي انتقل فيها الى دار البقاء الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى وكانت وفاتهُ في قرية صربا فنقل منها الى بكفيا باحتفال عظيم ودُفن في كنيسة الاباء اليسوعيين فيها وقد اشتهر هذا الامير بالتقوى والتدين ورصانة الرأي حتى جمع على حبه النَّاس كافتهم وقد دامت ايام ولايته احد عشرة سنة

وبعد وفاته عهد وامق باشا والي ايالة صيدا الى ابن اخيه الامير بشير عسَّاف بادارة شؤون القائمقامية وكتب الى الاستانة يلتمس الولاية للامير بشير احمد منصور فامر الباب العالي بتوليته وما طال الزمان الّا واستاءَ النَّاس من سوء سياسته وتحزَّب بعضهم للامير عسَّاف وانقسمت القائمقامية الى حزبين يعرف الواحد منهما بالاحمدي والثاني بالعسَّافي وتناول هذا التحزب رجال ديوان القائمقامية (١)

ولمَّا رأى الخوري يوحنَّا الحاج (البطريرك يوحنَّا بطرس الحاج) استبداد الامير احمد وزيغه عن محجة العدل استقال من عضويَّة الديوان فنصب القائمقام قاضياً مكانه الخوري يوحنا الحبيب (المطران يوحنَّا الحبيب) الذي اضطر الى مبارحة مأموريته بعد سنة لعدم مجاراته للقائمقام في اعماله

فطلب الامير من البطريرك ان يأمر باعادة الخوري يوحنا الحاج ففعل وعاد الخوري يوحنَّا الى مركزه اشدّ عزماً من قبل على معارضة القائمقام في اجراءَاته الغير العادلة

وسنة ١٨٥٦ كثر التخاصم بين أعوان الامير بشير احمد

(١) كان شكيب افندي قد رتب لكل قائمقام مجلساً مؤلفاً من اثنتي عشر عضواً اي اثنين من كل طائفة من طوائف لبنان الموارنة والدروز والروم الكاثوليك والروم الارثوذكس وعضواً مسلماً وآخر شيعياً ورتب لهم معاشات ووضع لهم نظاماً من ثمانية وثلاثين بنداً يتمشون عليه

القائمقام وبين اعدائه وقد تناول التحزب والتشيع كلًّا من قنصل فرنسا وقنصل انكلترة فكان الاول منتصرًا للقائمقام والثاني عاضدًا لاخصامهِ وكان القائمقام عدوًّا لآل الخازن ولآل حبيش وقد كان عاملًا على نكايتهم وتقليل شأنهم فكان ذلك يزيدهم كرهًا لهُ ويحملهم على بثّ روح الفتن والخصومات اسقاطًا لهُ ليس فقط في كسروان بل في كل انحاء القائمقامية وبقي الحال على هذا المنوال الى ان حضر من الاستانة معتمد اسمهُ عطا بك وقد فوّض اليهِ فحص احوال قايمقامية النصارى وبعد ان قبل تشكيات القائمقام على اخصامه وتشكيات هؤلاء عليه رفع تقريرًا الى جانب السلطنة السنية فورد الجواب بتوقيف الامير بشير احمد عن ادارة شؤون القائمقامية وبجعل الامير حسن اللمعي وكيلًا يدير امورها مكانه (٢٨ ايلول سنة ١٨٥٨)

وفي هذه السنة جمع الامير بشير احمد القائمقام المفصول بعض الكسروانيين واخذ يبث فيهم روح الحقد والعصيان على المشايخ الخازنيين فآنس منهم ميلًا الى ذلك وصرفهم الى اماكنهم بعد ان تواثقوا وتعاهدوا بالاقسام المعظمة على معاداة مشايخهم والسعي وراء خلع ولايتهم عن كسروان واختاروا لهم زعيمين الواحد من الزوق اسمه الياس المنير والثاني من عجلتون اسمه صالح جرجس صفير وأقاموا في كل قرية زعيمًا لقبوه « شيخ شباب » يزرع في قلوب

مواطنيه بذور الشقاق ويثير في افئدتهم نار الهيجاء وكانت نتيجة ذلك ان ثار الكسروانيون على المشائخ واخرجوهم من اماكنهم وسلبوهم أموالهم ووضعوا ايديهم على املاكهم وقد امتاز بين الرجال شيخ شباب قرية ريفون المدعو طانيوس شاهين الذي بلغت بواسطته الثورة مبلغاً عظيماً من الانتشار حتى لم يعد في الامكان ملافاتها وقد هجم طانيوس شاهين المذكور على قرية عجلتون للفتك بمشائخها ودخل رجاله دار الشيخ افندي ذياب ليقتلوهُ فوجدوهُ قد فرَّ منها ورأوا امرأتهُ وابنته في ساحة الدار فرموهما بالرصاص فقتلتا وهذا اقصى ما بلغت اليهِ اعمال الثائرين وقد ظلَّ المشائخ خارج الاوطان الى بعد حرب سنة ١٨٦٠ ولم يعودوا الى اماكنهم الّا سنة ١٨٦١ اي بعد ان ترتبت نظامات لبنان الجديدة التي الغت ولاية ذوي الاقطاع في الجبل . وقد اثنى الناس طرّاً على آل الخازن الكرام لتعلقهم الشديد الدائم بايمانهم الكاثوليكي رغماً عمّا بذله اصحاب البدع من المساعي لاستمالتهم الى معتقدهم وعمّا افرغوهُ من الحيل واظهروهُ من الخداع ليبعدوهم عن الطائفة المارونية التي كانوا قطبها وعمادها زهاء ثلثمائة سنة

الفصل الثاني

١ اختلال الامن في لبنان — بداية حوادث سنة ١٨٦٠

هذه كانت احوال لبنان يوم دخلت سنة ١٨٦٠ ومن رأى ما كانت عليه البلاد من الاضطراب الدائم وسلب الراحة وفقد الامن لم يعجب كثيراً لتكرار المناوشات والوقائع الدمويّة بين طائفتين عظيمتين كالموارنة والدروز ومنذ وجدت القايمقاميتين المارونية والدرزية لم تردد الفتن والمخاصمات الّا تفاقماً بين الشعبين ولم يكن القايمقامان ليقدرا على المحافظة على الراحة لضعف سلطتهما . ومعلومٌ ان كل بلاد وجدت محكومةً من رجل ضعيف السلطة تكون عرضةً للاضطرابات وهدفاً للشرور وهذه كانت حال لبنان في عهد نظام القايمقاميتين . فكثر تعدي قطّاع الطرق على السابلة وتوالت المخاصمات وأهريقت الدماء في انحاء شتى من لبنان وتتابعت بكثرة في قايمقامية الدروز وقد اغتنم اعداء المسيحيين فرصة ثورة نصارى كسروان على مشائخهم سنة ١٨٥٨ ليتحالفوا عليهم وقد عقد اعيان الدروز والمسلمين والشيعيين اجتماعاً في مدينة بعلبك وحرّروا بينهم صكّ تحالف اثبتوهُ بالقسم على ان يكونوا يداً واحدة في العمل ضدّ النصارى وقد وقّع على هذا الصكّ ايضاً الامراء آل حرفوش(١)

(١) قد اشتهر الامراء آل حرفوش بالبسالة والاقدام والجراءة

المتاولة فلمّا بلغ اهالي زحلة هذه المحالفة حرَّروا الى كبراء النصارى يحذرونهم فزاد قلق الناس على قلق واصبح مقررًا في الاذهان انه لا بد من ان تنجلي هذه الاراجيف عن فتنة دمويّة هائلة

وفي اواسط سنة ١٨٥٩ حدث قتال بين نصارى بيت مري والدروز افضى الى قتل عشرة انفار من النصارى وضعفيهم من الدروز فأخذ الدروز يتأهبون للاخذ بالثار وفي ذات يوم جاء بعض دروز حاصبيًا وميميس الى خان محمد علي شبيب الواقع بقرب عين المزراب بنواحي المروانية ودهموا النصارى مستأجري الخان وكانوا من قرية قيتوله في اقليم جزين فقتلوا احدهم وقطعوا يد ثانيهم المدعو الياس سعود . فلمّا بلغت اخبار هذا الاعتداء اهالي اقليم جزين هاجوا وماجوا ونادوا بوجوب اخذ الثار . وامّا العقلاء فانّهم عقدوا اجتماعًا قرروا فيه بثّ روح السكينة في الاهلين واتفقوا

في القتال واقتحام الموت في ساحات النزال لكنَّ بعضهم كانوا يستخدمون بعض الاحيان صفات الشجاعة هذه التي زينهم الله بها في اجترام المنكرات وارتكاب المحرمات كالسطو والقتل وقطع الطرق ممّا حط بقدرهم كثيرًا ولم يثبتوا على مبدا في سياستهم فتارةً كانوا يحالفون النصارى كما فعلوا سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٤ وطورًا كانوا يحالفون الدروز كما فعلوا سنة ١٨٦٠ . وبعد ان اعطي لبنان استقلاله وبطلت الفتن عمدوا الى قطع الطرق والسلب والسرقة فتأثرتهم حكومة لبنان وحكومة سورية ونكلت بهم اشد تنكيل فلاقى كثيرون منهم حتفهم ومن سلم منهم بقي في بعلبك فقيرًا خامل الذكر

على ارسال ابي سمرا صاحب هذا التاريخ الى حاصبيا ليعرض للامير سعد الدين شهاب حاكم تلك الاطراف حقيقة الواقع ويسأله البحث عن المعتدين ليجري تأديبهم كما تقتضيه شرائع العدالة وان يسعى في ارضاء اهالي القتيل والجريح النصرانيين بالزام الدروز الى دفع التعويض والدية

فقام ابوسمرا مصحوبا بعشرة رجال من قيتولي وبكاسين وجزين وجاء حاصبيا ونزل على الامير سعد الدين وحدثه بشان بعثته فكتب الامير من فوره يستدعي اليه اوجه اهالي ميمس وطلب منهم جوابا عمّا اقترفه ابناء قريتهم من قتل النصراني وجرح رفيقه فانكروا حصول ذلك كل الانكار . فخاطبهم ابوسمرا وقال: « انَّ تجاهلكم الخبر لا يقنعنا فان لم تسعوا في ردع جهلائكم عن التعدي على النصارى احوجتم هؤلاء الى الاخذ بالثار ولسنا ايها الاصحاب في حاجة الان الى الحرب وقد كفانا ما قاسيناه في السنين الماضية من قتل الاعمار وخراب الديار فاصرفوا المسألة بالتي هي احسن ودعونا نعود الى بلادنا على وفاق معكم والّا فاني لا اكفل لكم سلامة العاقبة وقد تركنا اهالي قيتولي والاقليم في هياج فان لم تبادروا الى مصالحتهم حملتموهم على الاعتداء على كل درزي يصادفونه في طريقهم فيكثر الاضطراب في البلاد وتسود الفتن . » فلم يلاقِ كلامه هذا

عند الجماعة اذنًا صاغية . فلما رأى ان مهمته جأت عقيمة الفائدة عاد بالرجال الى جزين

واما اهالي قيتولي فلبثوا مصرين على الانتقام لقتيلهم وجعلوا يبثون العيون والارصاد ليعثروا على درزي يفتكون بهِ الى ان بصروا ببعض الدروز من قرية المعاصر في جوار صيدا فقتلوا اثنين منهم وشوهوا اثنين اخرين بقطع اذانهم وانوفهم . فلما بلغ دروز الشوف مصرع الرجلين قامت قيامتهم وارغوا وازبدوا ونادوا بوجوب قتال النصارى . وقد حضر خمسون نفرًا من عساكر الدولة لاحتلال قيتولي ولمَّا كان نظام لبنان في ذلك العهد لا يجيز لعساكر الدولة دخول الجبل بدون سبب هام موجب مبني على امرٍ من وزير الدولة منع ابوسمرا العساكر من الاقامة في قيتولي خوفًا من ان وجودهم يدعوا الى الاضطراب بدلًا من السكينة

٢ مخاوف النصارى

وبعد ان عادت العساكر من قيتولي بات نصارى اقليم جزين في قلق واضطراب وكان ابوسمرا لا يفتر ساعةً من نهاره عن تشجيع الاهالي وتسكين قلقهم وقد اقام خفراء في الليل يتناوبون السهر حوالي بكاسين خوفًا من ان يفاجئها الاعداء وكان يطوف ذهابًا وأيابًا من مخفر الى آخر وهو يحث الرجال على مداومة التيقظ والانتباه . وقد ذهب ايضًا الى جهات حاصبيًا تشجيعًا للنصارى هنالك وتحريضًا

لهم على القيام بالاستعدادات الكافية الوافية لرد غارات اعدائهم ثم عاد بسرعة الى بكاسين . الاَّ ان ذلك لم يقلل شيئًا من مخاوف النصاوى التي كانت تزداد يومًا فيومًا لمَّا كان يبلغهم من الاخبار المرجفة المنبئة عن اتحاد جميع الطوائف الغير المسيحية ضدهم وعن عقد الخناصر على سحق النصارى وابادتهم . فلم يجد ابوسمرا حيلةً لازالة مخاوف سكَّان اقليم جزين او اقله ليجمع كلمتهم ويوحد رأيهم ليوجد من اتحادهم قوة يقاوم بها الاعداء . وقد بلغ الرعب من بعضهم مبلغًا عظيمًا حتى ان الكثيرين بادروا الى ارسال حريهم واولادهم الى صيدا او بيروت وارسل ابوسمرا عائلتهِ الى بيت حميه الخوري بطرس المعوشي في جزين

الفصل الثالث

١ غارة الدروز على اقليم جزين — اخبار ابي سمرا

وفي اليوم الاول من شهر حزيران سنة ١٨٦٠ سمع اهالي بكاسين عن بعد اطلاق البنادق واغاني الدروز الحربية فعمدوا الى سلاحهم وتجمعوا في ساحة القرية يتشاورون في العمل فاشار ابوسمرا اليهم ان يلبثوا في اماكنهم وينتظروا الدروز بقلب ثابت ويصدوهم عن دخول القرية فلم يطاوعه الجهلاء المتحمسون بل قالوا بوجوب الهجوم على الاعداء ومناوأتهم خارج القرية وهكذا اخذوا يجرون مسرعين

غير ملتفتين الى تحذير ابي سمرا نحو المكان المعروف بتل الباشا شمالي بكاسين فاضطر الباقون الى اللحاق بهم وتبعتهم بعض النساء حاملات لهم الماء ولمَّا وصلوا الى المكان المذكور بصروا بالدروز يقاتلون قبالتهم نصارى قرية بحنين فأخذ الطيش من بعض الشبان الذين لم يسبق لهم حضور المواقع وانحدروا من تـل الباشا قاصدين بحنين لنصرة نصاراها فلم يستصوب ابوسمرا عملهم واخذ يناديهم ليعودوا اليـهِ فلم يعودوا ولمَّا علم بما كان مزمعًا ان يحل بهم من الخطر رضي مضطرًّا ان يلحق بهم لينقذهم من التهلكة التي ذهبوا ليلقوا بانفسهم فيها فسار الى بحنين بثلاثين رجلًا وأشار على الباقين ان يلبثوا اما كنهم ويكونوا على حذر من مفاجـأة الدروز لهم من طريق مرج بسري . وقـد صدق ظنه لانه لم يحضر قليـل من الزمان على انصرافـه حتى هجم فريق من الدروز على من كان من النصارى في تل الباشـا فاقتتلوا اقتتالًا عنيفًا وثبت النصارى امام اعدائِهم مدَّة

ولما وصـل ابوسمرا الى بحنين برجالهِ التقاهم نحو خمسين رجلًا من الدروز فاشتبك بينهم القتال وتمَّ الفوز للنصـارى وظلوا يطاردون الدروز الى المكان المطل على قرية باتر وهنالك وثب عليهم الدروز البالغون نحو ستماية رجل فردوهم الى بحنين ولما رأى النصارى الذين كانوا يقاتلون في تل الباشـا ان الدروز سيفتكون بابي سمرا والشرزمة القليلة التي كانت معه انحلت منهم العزائم وولوا متقهقرين

الى جزين ظنًا منهم ان النصارى تجتمع اخيرًا هنالك لمقاومة الاعداء وقد قتل من النصارى رجلان ومن الدروز ثلاثة . وقد امتاز اذ ذاك بين النصارى بشجاعتهما منصور مبارك الخوري وراجي الحداد من بكاسين

فلما رآهم الدروز قد تقهقروا من تل الباشا زادوا تحمسًا وجراءة واخذوا يطاردون ابا سمرا ورجاله القليلين وهو يرتد عليهم ويصيح فيهم صيحات كالرعد وقد حمى بفضل شجاعته ودرايته هذه الزمرة القليلة من اعدائها ولولاه لما سلم منها احد فانه ظل يدافع عنها في مؤخر الجميع الى ان اذن الله بسلامتها واصبح هو وحده ازاء الاعداء فطارده ُ خيالتهم وكان بينهم سليم بك شمس من دروز حاصبيا ولما كانوا يقتربون منه كان يرتجع اليهم وهو يصيح : عليهم عليهم فيرتدوا مذعورين وما زال هكذا في كرٍّ وفرّ الى ان وصل ساقية فلقا بين بحنين وعارية وكان كلما ابتعد عنهم قليلًا ينادونه متهكمين . « انت ابا سمرا لماذا تهرب » . فيجاوبهم قائلًا : لست بهاربٍ بل ان كنتم فرسانًا تدنون مني فانكم جماعة ووراكم قومكم واما انا فاني فردٌ وليس لديَّ رجال . »

ولم يتبع في تقهقرهِ طريقًا بل كان سائرًا في فجاج بين الصخور وهم في اثرهِ حتى وصل الى خندق عظيم فوقف مذعورًا فاراد النكوس على الاعقاب فرأى الدروز محدقين بهِ من كل جانب .

فيئس من النجاة وأبى التسليم لاعدائهِ فقال: « ينالوني ميتاً لا حياً .»
ثمَّ تباعد قليلاً من الخندق واتكل على الله ورسم اشارة الصليب
المقدس على نفسهِ ووخذ حصانه بقوة وصاح بهِ صيحةً عظيمة فادرك
الحيوان قصدهُ وشخر ونخر كانه يقول: « لبيك . » وطفر من جانب
الى آخر فاذا هما سالمين

ولما وصل خيالة الدروز الى الخندق وقفوا مبهوتين ولم يجسر
احد منهم على الاقتداء بعمل ابي سمرا بل نكصوا على اعقابهم واخذوا
يبحثون عن مسلك ينفذون منه ليتبعوا اثره . واما هو فبعد ان نجا
باعجوبة اخذ يبحث عن طريق يسير عليه فطفق يطفر بجواده من فوق
الصخور حتى وصل الى معبر سار فيه الى النهر وقطع الى قاطع
كفر تعلا فشاهده خيالة الدروز وكانوا لم يزالوا في قرية عاريه لا
يهتدون الى الطريق فصاح به احدهم متهكماً وقال: « رح يا ابا سمرا
غسلّ حوافر حصانك واشرب ماوها .» مشيراً بذلك ان الفضل لنجاة
ابي سمرا عائد الى الحصان . فانتهره سليم بك شمس قائلاً « اصمت
ويلك لا تعيره والله هذا عنترة فارس الفرسان » وكان بين الدروز
الذين طاردوا ابا سمرا الفارس المغوار الشيخ رافع عبد الصمد المشهور
وكان يروي هذه الحادثة متعجباً ببسالة ابي سمرا

٣ الفرار والنجاة

وبعد ان نجا ابا سمرا من اعدائهِ الى قاطع النهر تأثرهُ الدروز

الى بكاسين فلما وصلها وجدها خاليةً من السكان وكان هولاء بعد
ان قاوموا مدة الدروز الذين اتوهم من طريق مرج بسري مقاومة
الصناديد انهزموا مغلوبين من كثرة عدد الاعداء . وقد رأى أبو سمرا
الدروز متفرقين في القرية للنهب والسلب واضرام النار في المساكن
وكان قسمٌ منهم يتأثرون خارج القرية المتأخرين من الرجال الشيوخ
الذين لم يمكنهم كبر سنهم وعجزهم من السرعة في الهرب . فهجم
على شرذمة من الدروز وبددها وانقذ اهالي القرية من شرهم
ونصح لهم ان يختفوا في غابة الصنوبر التي هي بظاهر القرية جنوبًا
بين الادغال وشقوق الارض لئلا يدهمهم الاعداء . وكان الدروز قد
بصروا بأخيهِ يوسف وهو يحاول الفرار من امامهم فقتلوهُ رميًا بالرصاص
واما هو فلم يعلم بمصرع اخيهِ بل ظلَّ متابعًا السير الى جزين وكان
يعتقد ان اهالي الاقليم يجتمعون آخر الامر في جزين ليكونوا عصبةً
واحدة شديدة في الدفاع عن انفسهم واوطانهم فلما وصل الى المعبور
شاهد دخان جزين ينطح السحاب فتحقق دخول الدروز اليها بعد
انهزام سكانها فعاد القهقرى فاذا بالدروز يتأثرونهُ في ردوم جزين
فسلك حينئذٍ بحصانه طريقًا وعرة في الشير العظيم لم يسلكها قبلهُ غير
الماعز وقد سمّي من ذلك الحين ذلك المعبور بمعبور ابي سمرا وبعد
ان مرّ فيهِ بقي متابعاً السير الى عين الثغرة وهكذا كانت نجاته من
بين ايدي الدروز الذين ضايقوا عليهِ السبل من كل الجهات

وفي عين الثغره لم يجد نصرانياً بل كان الدروز قد ملاؤوا كل تلك النواحي ولكنهم لما كانوا يظنون انه لم يبق نصرانياً في تلك الجهات ظنوه احد خيالة الدروز فلم يتصدوا لمعارضته وهكذا مرَّ بين الاعداء آمناً . ومن هناك جاء حيطورة وكان قد دخل الظلام فوجدها ملأى من النصارى من رهبان وكهنة ورجال ونساء وأولاد وكانت هذه القرية من أملاك المشايخ آل شمس الدروز فظنَّ النصارى انهم يكونون فيها في مأمنٍ من الاعداء لان اصحابها الدروز وقوا النصارى شركاءهم في الحروب التي اتَّقدت نيرانها سنة ١٨٤١ و ١٨٤٤ بين النصارى والدروز . ولم يبطئ ابوسمرا في حيطورة بل سأل عن المطران بطرس البستاني وعن جمهور النصارى فقيل لهُ انهم في مرج زحلته فتبعهم الى هنالك

٤ ذبح النصارى في حيطورة

وبعد ان خرج ابوسمرا من حيطورة جاء عبد لحسين شمس اسمه مرجان وأمَّن النصارى الموجودين فيها وخدعهم قائلاً : من دخل البيوت منكم قدرت على حمايتهِ ومن بقي خارجاً لا اضمن لهُ السلامة فصدَّق البعض كلامهُ ودخلوا البيوت وامَّا البعض الآخر فبقي يتردَّد حول القرية خائفاً

وبعد هذا جاء مصطفى سيف من نيحا بثلثماية درزي ليفتك بالمحميين وكان بين رجاله نصارى نيحا فلمَّا أطلوا على حيطورة

اطلق عبد الله العجيل بندقيته عن بعد وصاح صيحةً عظيمة مغيراً في مقدمة الدروز على القرية وقد فعل ذلك تنبيهاً وتحذيراً للنصارى لئلا يأخذهم اعداؤهم على حين غرة فانتبه النصارى الخارجون من البيوت فولوا مدبرين واما الذين كانوا في داخلها ففاجأهم الدروز ووثبوا عليهم واحكموا السيوف في رقابهم ولم ينج منهم سوى القليل وقد قتل من الكهنة اربعة ومن الرهبان خمسة عشر بينهم سبعة من قرية بكاسين وقتل من سكان حيطورة شركاء الدروز خمسة وعشرون رجلاً ومن الغرباء خمسة عشر نفراً

٥ ابو سمرا والنصارى في المعارية — تشتت النصارى

ولما وصل ابوسمرا الى مرج زحلته رأى منظراً يفتت الاكباد فما كان يرى الّا اماً ثاكلة تندب ولدها او ارملة حزينة تنوح على فقد زوجها وهنالك ولداً يصرخ ابتاه واخر ولداه وعويل النساء متصاعد في الفضاء وصراخ الاطفال يحرق القلوب فاخذ ابوسمرا يجول بين تلك الجموع وقد خنقته العبرات وهو يبحث عن امرأتهِ واولادهِ فلم يهده اليهم احد وبقي مجداً في التفتيش وهو منتقل من مكان الى آخر ومن زمرة الى زمرة حتى عثر عليهم وكانت امرأته قد اعياها التعب وخارت قواها من شدة الخوف والهم فاقبل عليها يهنئها بالسلامة فهنأته بالنجاة لانه كان قد بلغها انه قتل في بحنين وكانت قد فقدت اثنين من اولادها سليمان وسليماً ولم تعرف اين كانت

وجهتهما وبقي بصحبتها ولدان يوسف وابرهيم فدفعتهما الى ابيهما وقالت : خذ ولديك واستعيض بهما عن الاخرين فاخذهما وهو يقبلهما ويبكي

ثم سار بعائلته تحت ظلام الليل الى قرية عقتنيت في ساحل صيدا وفي صباح اليوم الثاني وصل الى المعارية ومنها أرسل امرأته واولاده الى قرية الحجة وسنفرد لهم فصلًا نأتي فيهِ على اخبارهم . وفي المعارية وجد المطران بطرس البستاني وجماهير النصارى لا يدرون الى اين يسيرون فرارًا من اعدائهم وفيما هم على هذه الحالة جاءهم متسلم صيدا وحذرهم من الاقامة في المعارية وكلفهم القيام منها لانها تابعة صيدا وليس الجبل وقال انه لا يسمح للبنانيين ان يأتوا الى ارض الولاية

وفي مساء ذلك اليوم حضرت بعض النساء المسيحيات من صيدا وقابلن ابا سمرا واخبرنه انهنَّ موفدات اليه من قبل قناصل صيدا لينذرنه بالخطر المحدق بالنصارى ويعلمنه بان قاسم يوسف حماده الدرزي المشهور بعداوته للنصارى جاء صيدا وهيج اسلامها واسلام اقليم الخروب وسيأتي بهم في هذا الليل مع زمرة من الدروز ليدهم النصارى . فلما سمع ابو سمرا هذا الخبر جمع الناس واتى بهم حيث كان المطران وقص عليهم ما ورده من الاخبار ثم قال : ترون ان الاعداء تحدق بنا من كل جانب ولا مناص لنا منهم فأرى ان نستعد

لمقاومتهم والدفع عن انفسنـــاء فليقم خمسون رجلًا خارج المعارية بصفة خفراء يسهرون الليـــل متيقظين لئلا ياتينا الاعداء بغتةً واما الباقون فليقيموا متاريس على ظهور المعارية ويستعدوا لملاقاة الاعداء بقلوب لا ترهب القتال « يا قوم اين شجاعتكم اين بسالتكم ان الموقف حرج واعداؤُنا قد ضربوا نطاقنا فان عدنا الى بـــلادنا لاقانا الدروز وان نزلنا الى صيدا فالدروز والاسلام يفتكون بنا ولم يبق لنا فرج الا في بلاد المتـــاولة ولكن من يعلم ما يضمر لنا هولاء القوم فالاولى ان نستعد للقتال ونموت موت الابطال » وفيما هم في هذا الحديث اذ ورد المطران بطرس كتابة من محمد علي شبيب يدعوه فيها اليه بالحاح فقام المطران من ساعته وجاء المروانية فلاقاه محمد علي المذكور بكل تجلة واكرام وأمنه على نفسه واكد لهُ بالاقسام المغلظة انه لا يلم به اذًى وفيهِ بقيه حياة

ولما رأى النصارى ان المتـــاولة مسالمين لهم بادروا حالًا بعد سفـــر المطران الى الهرب وتشتتوا في قُرى الشيعيين يطلبون لهم ملجئًا امينًا

٦ ابو سمرا يهرب الى صور ومنها الى بيروت فجونيه

واما ابو سمرا فركب حصانه وسار بثلاثة انفار قاصداً عدلون ولما بلغ نهر العاقبية فاجأته شرذمة من متاولة عدلون والسرفند الذين

اغتنموا فرصة تلك الحوادث لينقطعوا الى قطع الطرق والتعدي على ابناء السابلة فهجموا عليه وهم لا يعرفونه وقبضوا عليهِ قبل ان يتمكن من الدفاع عن نفسه وسلبوه اسلحته · وفيما كانوا لاهين بها غير متفقين على قسمتها افلت من بين ايديهم

ثم انقلبوا على رفقائه الثلاثة وسلبوهم اسلحتهم وثيابهم وكادوا ان يقتلوهم لو لم يخبروهم ان الذي افلت من ايديهم هو ابو سمرا فلما سمع المتاولة باسم ابي سمرا تركوا الرجال الثلاثة وجدوا في اثره الى عين القنطرة وهم يطلقون عليه النار فلم يدركوه فانكفوا راجعين يحرقون الأرم ندماً على افلاته من بين ايديهم

واماَّ هو فظلَّ متابعاً السير الى بيادر السرفند فوجد غلماناً يدرسون القمح ليلاً فسألهم عن اهلهم فاجابوه ان سلمان الحسين توجه بهم الى نواحي عين القنطرة والعاقبية ليقطع الطرقات على النصارى فلما سمع ذلك ظلَّ في طريقه ماراً بخربة البصل فالنصيرية الى عدلون وهنالك دخل دار سلمان بك الحسين وترجل عن جواده ودخل المنزول فوجد فيه البعض من اعيان جزين بينهم حبيب نصيف واخواه امين ويوسف وفارس شديد المعوشي وغيرهم فسألوهُ من اين اتى فاخبرهم بكل ما توقع لهُ وللمطران

وانه جاء عدلون ليحتمي بسلمان بك لانه من اصدقاء اخيه تامر بك الحسين فاجابه الجزينيون انه ورد كتابة من سعيد بك جنبلاط بواسطة قاسم يوسف الى سلمان بك مآلها انه يدفع لمن يلقي عليك القبض ثلاثين الف غرش ولما وصلت الكتابة الى سلمان بك جمع اهالي قرى اقليم الشومر وسار بهم للتفتيش عليك وها انك اتيت لتقدم نفسك بنفسك . فلما عرف بذلك اسرع من فوره الى حصانه وسار متكـلًا على الله وهو لا يدري اين يتوجه ولا في اية ارض يلقى السـلامة . ومرَّ في طريقه على نبع عدلون فسهـل الحاتمية فالمطارية حتى بلغ جسر القاسمية وهنـالك بصر به خمسة خيالة من رجال علي بك الاسعد فصاحوا بهِ عن بعدٍ: « من انت ايها الفارس» فلم يجبهم وظلَّ في سيره فصاحوا ثانيةً « قف مكانك .» فلم يفعل . فطاردوه مدةً فلم يدركوه لان حصانه كان نادر المثيـل في سرعة جريهِ وبقي سائرًا الى ان وصل الى ظاهر مدينة صور عند صباح ذلك اليوم في ٣ حزيران سنة ١٨٦٠

ولمَّا بلغ البوابة التقى بيوسف افندي النجَّار خارجًا منها ومتوجهًا الى قرية المعشوق فلما وقع نظره عليهِ عرفه وكان من اصحابه فمنعه يوسف المذكور من الدخول الى صور خوفًا عليهِ وسأله ان يرافقهُ الى المعشوق للتبصر في امرهِ فرضي وتوجها اليها معًا ولمَّا وصلاها ادخله الى غرفته ونصحه الا يخرج خارجًا وقـال له اذا سألك احد ما هو

شانك فقل له انك من عكا . وجعل على حصانه جلال بغل حتى يرفع عنه كل شبهة وبعث الى صور يعلم نصاراها بوجودهِ

فلما بلغ خبره وكلاء القناصل ومن جملتهم سليم عطاالله وكيل قنصل انكلترة وعلموا بوجوده في المشوق حضروا من فورهم عنده واتوهُ بملابس افرنجية وببرطلة فلبسها وحضر في هذا الزي الى صور وبعد ان اقام ضيفاً على سليم عطاالله مدة ايّام طلب ان يسافر الى بيروت فهيؤوا لهُ مركباً شراعياً لسفره . فلما علم رئيس المينا بذلك لم يأذن بالسفر لان متسلم المدينة كان قد اصدر امراً بعدم جواز السفر بحراً فجاء القناصل المتسلم وسألوهُ ان يأذن للمركب بالسفر فأَذن ونحو الساعة الثالثة من الليل ركب ابوسمرا البحر وبمعيته القس برتلماوس بيت لهيا ورفقاءهُ الثلاثة الذين كانوا رافقوهُ من المعاريـة والذين سلبهم المتـاولة سلاحهم وثيابهم وكانوا وصـلوا الى صور مستترين بقطع الحصر ولمَّا عرف اهالي المدينـة بهم كسوهم باثواب جديدة ونزل غيرهم في المركب نحو الخمسين نفراً من النصـارى المهاجرين

وبعد ان سار المركب قليلاً انقطعت الريح ووقف المركب فخاف الركاب ان بقوا ليلتهم تلك على هذه الحالة ان يصبح الصباح ويعرف بهم الاعداء فيفتكون بهم . فسألوا رئيس المركب ان يعيدهم الى البرّ فأبى . حينئذٍ جثوا جميعهم على ركبهم واخذوا يتضرعون ويتوسلون الى

الله ان يرسل ريحه لانقاذهم فما أتموا من صلواتهم حتى استجاب الله دعاهم فهبَّت الريح الجنوبية اخر الليل وسار المركب باسم الله الى بيروت ولما وصلوا الى مار الياس الطينا نزلوا من المركب وذهب كل في سبيله

وامَّا ابو سمرا فجاء مزرعة العرب ونزل فيها على بعض معارفه الكثيرين من ايام ثورة اللبنانيين على ابرهيم باشا سنة ١٨٤٠ فرحبوا بهِ واكرموا وفادته ولكنه وجدهم في خوف شديد وكانت الاشاعات متواترة على الالسنة بان مسلمي المدينة يتأهبون للفتك بالنصارى وعلم ان الناس تتحدث كثيرًا باسمه وان الحكومة قد وضعت الرقباء في كل مكان وبثت العيون والارصاد للبحث عنه ووعدت بالمال لمن يحضره حيًّا او ميتًا

فلما رأى ان المخاطر محدقة بهِ من كلّ جانب لم يعد يرى البقاء في مزرعة العرب ممكنًا خوفًا من ان يعلم بوجودهِ احد من ذوي السعاية فيعملون الى القاء القبض عليه طمعًا بالمال فقام من ساعته وجاء قنصل فرنسا فاستقبله القنصل بترحاب وأخذ يسأله بواسطة ترجمانه عن حوادث انحاء لبنان الجنوبية وعن كيفية نجاته ووصوله الى بيروت فحدثه بكل ما جرى وصار فمدحه القنصل واثنى عليه كثيرًا وأشار عليه ان يذهب الى كسروان فودعهُ وسار من

ساعته الى جونية بعد ان اجتمع ايضاً بالمطران طوبيّا وحدثهُ باخبار قضاء جزين

٧ حوادث جزين — اخبار عائلة ابي سمرا

لنترك اباسمرا في جونية ونقص ما جرى لامرأته واولاده من بعد اقامتهم في جزين فنقول موجزين: انهُ بعد اسبوع من اقامة تاج امرأة ابي سمرا واولادها في بيت ابيها هجم دروز نيحا وما جاورها على جزين في اول حزيران فلاقاهم اهلها الى اراضي باطوم وجرى بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه من الدروز جبر سيف وولده من نيحا وجرح من النصارى يوسف فرنسيس الحاج الشهير (١) وكان يقاتل مع الجزينيين وقتل منهم الخوري اغناطيوس الرومي الكاثوليكي وشدبد

(١) كان يوسف فرنسيس الحاج من نوابغ الرجال وهو من عائلة الحاج الوجيهة في قرية قيتولي وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة وركوب الخيل ولهُ كتاب (سراج الليل في ركوب الخيل) ولد في حاصبيا سنة ١٨١٥ ولما شبَّ انتخبه شبان حاصبيا من كل الطوائف نظراً لما اتصف به من الشهامة والشجاعة شيخاً عليهم وسنة ١٨٤٤ شهد موقعة دموية جرت في القرعون بين النصارى والدروز ابلى فيها بلاء حسناً وسنة ١٨٦٠ قاتل مع الجزينيين ولم يتقهقر النصارى الّا بعد ان اصيب برصاصة نفذت في خاصرته وسنة ١٨٦٦ اشترى قرية دفنه بناحية الحولة وتوطن القليعة في قضاء مرجعيون فاشتهر في تلك الانحاء ببسالته وكرمه وعلت منزلته كثيراً وتوفي سنة ١٨٩٢

المعوشي من اعيـان جزين وشاهين الاسمر وغيرهم ولما كثرت جموع الدروز تبدد النصـارى وانهزم الجزينيون من امام الاعـداء وتاهوا لا يلوون على شيء فهربت النسـاء والاولاد وكثر اللغـط والولولة وخرجت امرأة ابي سمرا باولادهـا سليمان ويوسف وسليم وابرهيم تطلب النجـاة وكان سليمان يبلغ الثـانية عشرة من عمره فسبق والدته ولم تعد تعرف عنه خبرًا وقد قيض الله له ان بصر به يوسف بك مبارك الخوري فاردفهُ وراءهُ

وظلت امرأة ابي سمرا تائهـة الى ان اجتمعت به في زحلتـه ومن زحلته ذهبت الى قرية الجحة كما قلنـا سابقًا ومن الحجة توجهت الى المروانية وبصحبتهـا والدتها وشقيقتها مريم واولادهـا سليمان ويوسف وابرهيم ونزلت على محمد بك شبيب من اعيـان عشائر المتاولـة فرحب بها المومـا اليه كثيرًا واستطلعهـا اخبـار زوجهـا ووالدهـا والمطـران فاخبرتـه بمـا جرى . ثم حضـر المطران والخوري بطرس والدهـا الى المروانيـة كما ذكرنا ذلك سابقًا

وبعد ان اقامت امرأة ابي سمرا مع ابيها واولادهـا في المروانية ثلاثة ايام حضرت معهم الى دير الزهراني . وفيها علم الخورى بطرس بوفاة ولده ووحيده ضاهر وكانت وفاته بداء السكتة في مراح المكنونية اذ كان النصـارى منهزمين امام الدروز . وكان رجلًا ممتازًا بذكائه

وصفاته الممدوحة وغيرته واقدامه وكان وكيل النصارى بقضاء جزين وهو والد سليم بك المعوشي رئيس محكمة المتن الحالي

وبعد ان مكثت امرأة ابي سمرا في دير الزهراني بضعة ايام قضتها في النوح والبكاء على اخيها ضاهر ارسل الخواجا حنا نادر يدعوها الى النبطية فلبت دعوته وحضرت اليها مع والدتها وشقيقتها واولادها وبعد وصولها الى النبطية علم بخبرها حسين بك الامين فخصص لنزولها قسماً من داره فشكرته على اريحيته • والحق يقال ان روساء عشائر الشيعيين اظهروا في كارثة سنة ١٨٦٠ كل شهامة ومروءة يذكرها لهم نصارى قضاء جزين مع الشكر

وما مضت ايام على اقامة هذه العائلة في النبطية حتى توفي ابرهيم بن ابي سمرا الرَّضيع فوفاته اثر وفاة خاله ضاهر وفي غياب والده في بلاد الغربة في حال التعاسة والشقاء اوقع والدته في يأس وحزن شديدين وكثر شوقها الى معرفة اخبار ولدها الرابع سليم الذي خرجت به الخادمة من حين انهزام النصارى من جزين ولم يعرف الى اين اتجهت به فارسلت والدته من يبحث عنه فلم يهتدِ عليه احد فضاعف ذلك همّ والدته وحزنها ويا ما اشد ما كان خوفها وهلعها لما علمت بان قاسم يوسف الذي اتخذ ديدنه قطع الطرق على النصارى قد انقض بجماعته على عددٍ من الذين فرّوا منهم الى صيدا فقتلوهم بحد السيف قبل ان يدخلوا البوابة وكان

بينهم الخوري يعقوب الحاج من قيتولي فظنوه المطران بطرس فقطعوه إربًا إربًا

واقامت امرأة ابي سمرا في النبطية عشرين يومًا قضتها مذعورةً قلقة على حياة ولديها سليمان ويوسف وكان الدروز خلال هذه المدة يترددون على النبطية فاوجست خيفةً من ان يعلموا بوجودها فيها فيراقبون الغلامين ويفتكون بهما انتقامًا وتشفيًا من ابيهما فسألت حسين بك الامين ان يرسلها الى صيدا فلم يوافقها اولًا لكنه انقاد اخيرًا لرأي كاتبه حنا نادر الصيداوي فارسلها مع والدتها وشقيقتها وولديها واصحبهم بخيَّال للمحافظة عليهم وقد البسوا سليمان ويوسف البسة بنات وساروا متكلين على مراحم المولى متوسلين اليه ان يدفع عنهم كل شر وضيم ولما وصلوا الى جوار قرية سِنّيق القريبة من صيدا لقيهم قاسم يوسف برهطهِ فصاح بهم ان يقفوا فوقفوا وفرائصهم ترتعد خوفًا ورهبةً فسأل البغالة مستعلمًا عن الركبَة فاجابوهُ انَّهم من مرجعيون فتقدم الخيَّال المحافظ عليهم وقال « ان الست (مشيرًا الى امرأة ابي سمرا) هي امرأة حنا نادر كاتب حسين بك الامين وهي متوجهة الى بيتها في صيدا » فقال قاسم يوسف « كلا بل من نساء الجبل الهاربات » ثم خاطبها قائلًا : « وانت يا امرأة ماذا تقولين : ؟ » فاجابت مقلدةً لغة اهالي صيدا « انا امرأة حنا نادر وانا ذاهبة الى بيتنا في صيدا وهاربة من اهالي الجبل ومن ثقالتهم . » فلم يقنعه

كثيراً جوابها بل التفت الى البغالة وقال : « يا ملاعين تهربون النصارى وتحسبون انفسكم في امان ولكن لا باس عليكم الان وسيأتي يوم يكون لكم معنا فيهِ شأن . » فقال احد هؤلاء « لماذا هذا التهديد فان كنت تحب قتل هذه الامرأة فاقتلها ولا يهمنا امرها وقد سخر حسين بك دوابنا ولم ينقدنا فلساً . » قال هـذا وساق البغل الذي كانت راكبة عليه امرأة ابي سمرا قدام قاسم يوسف . فلما سمع هذا كلامهُ قال لها : « اذهبي يا امرأة في طريقك انتِ وبناتكِ فانكِ سلمت بحماية حسين بك الامين . » ثم سار في سبيله ومضى سفير الموت ورسول الخراب !

فتنفس المسافرون الفرج بعد الشدة وهنأوا ذواتهم على النجاة وشكروا الله على السلامة ولما وصلوا الى صيدا اجرى عليهم قنصل فرنسا الجراية . ولكن هذه العائلة لم يهدأ لها بال لان نصارى صيدا كانوا في ذعر شديد وخوف ما عليه مزيد لما كان يردهم اليوم بعد الاخر من الاخبار المقلقة عن تحالف الطوائف الغير المسيحية على قتل النصارى فقامت من صيدا وجاءت بيروت صحبة امرأة حنا نادر المارّ ذكره

ولما وصلت تاج بيروت سألت عن زوجها ابي سمرا فقيل لها انه في جونية وكانت في حاجة الى الدراهم لانها خرجت من الوطن باولادها وهي صفر اليدين . وبينما كانت تائهة في بيروت تجر وراءها

ولديها ووالدتها وشقيقتها شاكية سوء حالها وشقائها الى بعض النساء قلنَ لها ان تجار بيروت جمعوا اموالًا وافرة وسلموها الى الخواجه كريمونا المالطي وصادق المملوك لينفقا منها على المهاجرين من النصارى فلما عرفت ذلك ارسلت ولديها سليمان ويوسف الى الخواجا كريمونا ليعلماه بحالها . فلمَّا علم بها حضر من فوره ُ اليها واخذها مع ولديها ووالدتها وشقيقتها الى بيته وانزلهم فيه على الرحب والسعة واخذ يهون عليهم كربتهم ويعزّيهم على مصابهم ويشجعهم على احتمال النوائب التي نزلت بهم فشكروهُ على عنايتهِ

وفي مدة اقامتهم في بيروت وجدت امرأة ابي سمرا ولدها سليماً وتفصيل خبره : انه لما حملته الخادمة وهربت به من جزين جاءت به الى القبع ووضعته في بيت نوفل طنوس غانم ولما كانت قرية القبع من املاك ال جنبلاط لم يصبها ما اصاب غيرها من قرى اقليم جزين من النهب والحريق . وبعد ايام من وجود سليم في القبع حضر اليها مسعود حماده الدرزي من قرية غريفة ناظر املاك الجنبلاطيين وكان صديقاً خلوصاً لابي سمرا فلما رأى الخادمة عرفها فسألها اذا كان معها احد من الاولاد فانكرت وجود احد منهم معها لان نوفلًا كان نصحها بان لا تخبر احدًا بوجود سليم معها ولكن الولد لم يبالِ بالخوف ولم يفقه للخطر المحدق به فلما سمع صوت مسعود حماده عرفهُ فأَسرع اليهِ وجلس في حضنهِ كما كان يفعل يوم كان مسعود هذا يزورهم في

بكاسين فاخذهُ الدرزي بين يديهِ وطفق يقبلهُ ويقول : « ترى من ينبئني عن ابيك ويبشرني انهُ سالم . » وقبل ان ينتقل من القبع اوصى نوفلًا ان يعتني بالولد الى ان يكون عاد من تفقد المزارع المجاورة فيعود الى القبع ثانية ويأخذه معهُ الى بيته في غريفه ليحفظهُ عنده الى ان تكون عادت مياه الراحة والسكينة الى مجاريها فيعيدهُ الى ابيهِ

ولكن نوفلًا خشي من ان يلم بالصبي مكروه في غريفة فحمله واتى بهِ الى صيدا فعلم فيها بسفر والدته الى بيروت فجاء به بيروت ولما وصلها اخذ يبحث عن عائلة ابي سمرا حتى اهتدى اليها في بيت المسيو كريمونا فسلم الولد الى امه

وما رويناه عن شهامة مسعود حماده يمكننا ان نرويه عن مروءة كثيرين من الدروز الذين لم يمالؤوا ابناء طائفتهم على قتل النصارى بل كانوا يذمون هذه الحرب الاهلية بين الطائفتين المجاورتين وقد حموا كثيرين من النصارى وانقذوهم من الموت

وبعد ان قضت تاج في ضيافة المسيو كريمونا اياماً علم ابو سمرا بوجودها في بيروت فطلبها اليه وبقيت هذه العائلة في جونية الى ان استتب الامن في البلاد بعد احتلال الجنود الفرنسوية في سوريا

الفصل الرابع

١ ابوسمرا وعائلته في جونيه ـ ولده سليمان في مدرسة الاباء اليسوعيين

واما ابوسمرا فلما وصل الى جونيه قُوبل من يوسف بك كرم ووجوه الكسروانيين بالاعزاز والاكرام وكان احد المشائخ الخازنيين متقلداً يوماً سيفه فلما رآه عزلاً من السلاح قدمه اليه قائلاً: انت احق بنقله مني. » وقد تألب حوله عدد وافر من المهاجرين الذين لحقوا بهِ من قضاء جزين فكان ينظر في احتياجاتهم ويجمع ما تجود بهِ ايدي المحسنين ليوزعه عليهم.

وقد امتاز يوسف بك كرم بالبذل والعطاء ومساعدة المرزوئين وقد تالفت في لبنان وبيروت لجان كثيرة لجمع المال وفاقت الجمعيات الدينية والرسالات الغربية سواها باعمال الرحمة والغيرة

وقد حوّل الاباء اليسوعيون الافاضل مدرستهم في غزير الى مأوى خيري يلجأ اليهِ الايتام من المسيحيين وكنت ترى هؤلاء يمرون يومياً في جونيه زمراً عديدة قاصدين غزير فحدثت ابا سمرا نفسه ان يذهب بسليمان اكبر اولاده الى غزير فيسلمه الى تدبير اولئك الاباء المحسنين فاتى المدرسة وكان رئيسها يومئذٍ الطيب الذكر المرحوم البادري فيلبس كوش فسأَلهُ ان يقبل ولده في عداد التلامذة فاجابه

بعدم امكان ذلك لانّ ابنه لم يكن يتيماً فقال له ابوسمرا: « احسبهُ يتيماً واعتبرني في عداد الاموات » فضحك الرئيس وسأله عن اسمه فقال: « انا ابوسمرا » فلما سمع الاب كوش بهذا الاسم بسط اليه يده وقال: « نعم نعم نقبل ابن ابي سمرا بكل طيبة خاطر ولكن ليس في عداد الاولاد الايتام بل بين الطلبة الدخليين » وكان الرئيس قدسمع بشهرة ابي سمرا وكان يتوق الى رؤية هذا « البطل » كما كان يلقبه دائماً فخرج ابوسمرا من عنده منشرح الفؤاد

٢ مذابح حاصبيا ودير القمر وزحله والشام

ولم يتناول الويل والدمار اقليم جزين بل عمّ انحاء كثيرة وحدثت مذابح دموية في جهات متعددة. وفي ١٢ حزيران من السنة نفسها سارت حملة من دروز الشوف بقيادة علي بك حماده الى حاصبيا فوافاهم اليها اسمعيل بك الاطرش زعيم دروز حوران واتفقوا على قتل النصارى فافنوا منهم بحد السيف ٩٧٥ نفساً وذبحوا في راشيا ٨٠٠ نفس ثم شنوا الغارة على زحله وبعد قتال عنيف دخلوها واعملوا السيف في اقفية النصارى ودمروها تدميراً وخلفوها قاعاً بلقعاً

وفي ١٨ من الشهر المذكور هجموا على دير القمر وحاربوها فادخل العسكر النصارى الى السراي وبعد ان كمل اجتماعهم فيها دخل

عليهم الدروز وقتلوهم بالسيف • ثم تفرقوا في البيوت فقتلوا الاطفال
من الذكور ونهبوا كل ما عثروا عليه وبلغت قتلى النصارى في الدير
نيف والفي نفس

وفي ١٥ حزيران ثار ثائر المسلمين في دمشق الشام وعاونهم
عرب البادية على ذبح النصارى من رجال ونساء واولاد فاهلكوا
منهم خلقاً كثيراً . ومدح ابأن تلك الحوادث الامير عبد القادر
الجزائري الشهير فانه سعى في حقن الدماء وحمى في سرايته عدداً
عظيماً وقد حذت حذوهُ عائلات كثيرة وجيهة في الشام كال يوسف
وآل ايوبي ومسلمي الميدان وغيرهم عديدون

ولمَّا بلغت اخبار هذه النكبات التي حلّت بالنصرانية في
سوريا الى اوربا قامت قيامةً واحدة من حكومات ومجالس وجرائد
وجماعات وأفراد على اختلاف الملل والاديان والاحزاب تنادي
بوجوب الانتصار للمظلوم اجلالاً لشرف الانسانيَّة والتمدن • ولمَّا علم
الامبراطور نابليون الثالث بالمذابح المنوه بها أمر حالاً باعداد حملة
عسكرية لاحتلال سوريا احتلالاً يكون مساعداً لاعادة الامن
واستتباب الراحة

ولم يكن سلطان البلاد المغفور لهُ السلطان عبد المجيد خان اقلّ
تأثرًا من ملوك اوربا فانه قد انقبض صدره لسماع هذه الرزايا التي
حلّت بفئة المسيحيين من رعيَّته فاتّقدت نيران غضبه ونقم على

بعض العمّال في سوريا الذين لم يسيروا بالرعيَّة بالانصاف والعدل ولم يتبعوا النهج السويّ الذي رسمه لهم ليجروا عليه في معـاملة جميع اصناف تبعته دون فرق في المذاهب والاديان وسير الى بيروت ناظر الخارجيَّة المرحوم فؤاد باشا الشهير مفوَّضاً فوق العادة لفحص شؤون البلاد والتحقيق عن المذابح ومرتكبيها وخوَّله السلطـة المطلقة لانزال اشدّ العقوبات الصارمة بعمال الدولة المشجوبـين وفوَّضه باعدام المذنبين او نفيهم او سجنهم بحسب ما تكون جنت يد كل منهم وسلّمه فرماناً شاهانياً عالياً لم يكتب مثله لغيره من قبل مؤرخاً في اواخر ذي الحجة سنة ١٢٧٦ هجرية فحواهُ :

ان ما اضطرب به جبل لبنان من الحركات الغـادرة الظالمة فانها من جميع الوجوه تضادّ رضاه العالي وتضاد معدلته الخسروانية ولهذا اناط بدراية فؤاد باشا التي اتصف بهـا في الخافقين الامر بالاستقلال ليسرع الى اخماد هذه الثائرة واستئـصال جرثومة الذين ايقظوا الفتنـة وجعل وزراء الملك والجيش في سوريا كافةً اليـه مرجعهم برأيه يأتمون وعلى تدبيره يسلكون فيما ينبغي لاضمحلال اثر هذه الفتنة التي نشبت بين الموارنة والدروز في اسرع حين الى مثل هذه من التعليمات

الفصل الخامس

١ احتلال الجنود الفرنسوية سوريا — ابو سمرا في خدمة الجيش

وبعد قليل من الزمن وصلت بيروت العمارة الفرنسوية تقل ستة الاف جندي لاحتلال سوريا ولبنان مساعدةً على تسكين الفتن فتنفس المسيحيون الراحة واستبشروا بالفرج من الازمة الشديدة التي وقعوا فيها . وكان قائد الجيش العام الجنرال دي بوفور وعسكر في ظاهر بيروت في غاب الصنوبر جنوبي المدينة

فلما علم ابو سمرا بوصول الجنود الفرنسوية حضر حالاً اليهم وعرض على قائدهم الخدمة فقبله دي بوفور عنده وجعله في خدمته بصفة ياور وطني وكان يرافق الجيش في تنقله الى داخل البلاد ورافقه الى دير القمر وزحله وصيدا وبقي ملازماً له مدة اقامته في سوريا وكان يقوم بالمهام التي كان ينتدب اليها بهمة لا تعرف الكلل ودراية واستقامةٍ حبّبت اليه قواد الجيش وقد استمال بنوع خصوصي نظر الكولونيل (الجنرال) الشهير شنزي الذي أحسن مكافأته وأعطاهُ شهادةً حسنة تمدح من خدماته للجيش الافرنسي وقيامه بها بكل غيرة ونشاط ويدعو قناصل فرنسا ووكلائها الى حمايته ومساعدته وهذه صورة الكتاب بحروفها:

Corps expéditinnaire
de Syrie
Le Général de division
Commandant
Cabinet
N°

Quartier Général
à Beyrouth le
15 Juin 1861

je certifie que le né Abou Samra Ghanem de Bekassine (Djezzine) a été employé comme Cavalier au service du corps expéditionnaire , qu'il s'est conduit avec zèle, intelligence et devouement et qu'il est digne du bienveillant intérêt que voudrait bien lui porter Monsieur le Consul de France et les agents Français en Syrie

Beyrouth le 15 Juin 1861
Le Lt Colonel Comt. du Quartier
Général et chef du bureau politique
du Corps expéditionnaire de Syrie
(lieu du Seau Chanzy

وهذه ترجمته : بيروت في ١٥ حزيران سنة ١٨٦١

جيش الاحتلال

في سوريا

اني اوكد بان المدعو ابا سمرا غانم من بكاسين (جزين) قد وظف بصفة خيال في خدمة جيش الاحتلال وانه سلك بغيرة ودراية وانه جدير بعناية والتفات جناب قنصل فرنسا والوكلاء الافرنسيين في سوريا

بيروت في ١٥ حزيران سنة ١٨٦١

الكولونل ضابط المعسكر العام ورئيس القلم السياسي في جيش حملة سوريا

مكان الختم شنزي

٢ اجرآات فؤَاد باشا

وبعد وصول فوأد باشا المبعوث السامي واحتـلال الجيش الافرنسي هذه البـلاد سكنت الفتن وقد باشر فوأد باشا التحقيق حالًا ووجه اهتمامه اول الامر الى محاكمة احمد باشا والي الشـام وخورشيد باشا والي بيروت وغيرهما كثيرين من كبار المأمورين فصدر الامر باعدام والي الشام فقتل رميًا بالرصـاص في باحة سراي الحكومة وقتل غيره كثيرون ممن ثبت اشتراكهم بالمذابح ونفي كثيرون من جملتهم خورشيد باشا وهذا القصاص كان نصيب العديدين وصدرت احكام القتل والنفي والسجن بحق الكثيرين من زعماء الدروز

واما سعيد بك جنبلاط فان الموت عاجلهُ فجأَةً في سجن بيروت ولا صحة لما قيل انهُ مات مسمومًا وقد دفن في الاوزاعي في ظاهر بيروت . وفي مدة التحقيقات التي اجراها فوأد باشا اقام يوسف بك كرم رجل لبنان في ذلك الحين وكيلًا لقائمقامية النصارى الى ان يكون تمَّ اتفاق معتمدي الدول على من يولونهُ نهائيًا ذلك المنصب السامي

فلم ترضَ الدولة العلية والدول قط ما عدا فرنسا ان يكون الحاكم وطنيًا وكانت رغبةً فرنسا ان يتولى لبنان كله واليًا مسيحيًا

من اهاليهِ يكون تحت طاعتهِ القائمقامان النصراني والدرزي ورضيت الدول مع معتمد الدولة العلية مبدئيًا بهذا الاقتراح ولكنها لم تتفق جميعها على العائلة التي يكون منها الوالي ففرنسا كانت ترغب ان يكون الوالي من الامراء الشهابيين وانكلترة كانت تعارض في اعادة الحكم لآل شهاب ، فاتفقوا اخيرًا على ان يستشيروا سكان جبل لبنان انفسهم فوجدوهم اقل منهم اتفاقًا فبعضهم كان يميل الى الشهابيين والبعض الاخر الى اللمعيين وفريق ليس بقليل من الشعب كان يقول بالبقاء مقاليد الولاية الى يوسف بك كرم لاشتهارهِ في البأس والسياسة والكرم الا ان ابناء العشائر اعني بهم الاشراف من امراء ومشائخ عارضوا اشد المعارضة هذا الراي

فلما رأت الدول ان تنصيب والٍ على لبنان من أهاليهِ يورث الضغائن في القلوب ويثير الاحقاد والشقاء بين العائلات المسيحية بدلًا من ان يعيد الى ذلك الجبل التعيس الراحة والسكينة قرَّرت باتفاق الآراء تعيين والٍ مسيحي مع جواز انتخابه من لبنان وسنت لذلك نظامًا يكفل سعادة الاهلين ورفاهيتهم في المستقبل وهو النظام المعروف بنظام لبنان وهو منشور بالطبع

الفصل السادس

١ داود باشا متصرف جبل لبنان — اجرآاته

وبعد ان وضعت الدول بالاشتراك مع دولتنا العلية نظام لبنان الجديد اختارت داود باشا الارمني الكاثوليكي متصرفاً فحضر الى لبنان في ١٠ حزيران سنة ١٨٦٢ وباشر بمأموريته فجعل لبنـان ستة اقضية وجعل على كل قضـاء قائمقاماً (١) من الطائفة التي افرادها هم اكثر عدداً . فجعل على بلاد جبيل والبترون وجبة بشري وجبل كسروان قائمقاماً مارونياً وعلى المتن وساحل بيروت قائمقاماً مارونياً ايضاً وقائمقاماً ثالثاً على اقليم جزين واقليم التفاح وجبل الريحان وعلى الشوف والعرقوب والجرد والغربين والمنـاصف والشحّار واقليم الخروب قائمقاماً درزياً وعلى زحله قائمقاماً من الروم الكاثوليـك وعلى الكوره اخر من الروم الارثوذكس واما دير القمر فلوقوعها في وسط قائمقـامية الدروز جعلت بموجب بروتوكول تحت ادارة المتصرف مباشرةً فلذلك نصب عليها مديراً مارونياً مستقلاً يرجع في اموره الى

---

١ في بدء تشكيل المتصرفية اطلق على والي القضـاء لقب مدير وعلى المدير عامل . ثم لقب المدير قائمقاماً والعامل مديراً . وسنة ١٨٦٣ بعد تثبيت نظام لبنـان قسمت القائمقامية الشمالية المارونية الى قائمقاميتين مارونيتين : كسروان والبترون

المتصرف رأساً . وترتب لكل قضاء مجلس يعرف بالمحكمة مؤلفة اعضاؤه من الطوائف المتوطنة في ذالك القضاء بالنسبة الى عددهم يكون رئيسهم من طائفة القائمقام وقسمت كل قائمقامية الى مديريات متفاوتة في العدد والاهمية حسب اهمية واتساع القائمقامية

٢ مقاومة يوسف بك كرم اجرآات داود باشا

واما كسروان والبترون وجبة بشري فقد جعل عليها قائمقاماً الامير مجيد ابن الامير قاسم ابن الامير بشير الكبير (١) ونظراً لأهمية هذه القائمقامية واتساعها جعل عليها داود باشا اربعة ضباط وهم الامير سعد الدين الشهابي وابوسمرا ويوسف اغا الشنتيري وعبدالله اغا نصر وجعل تحت قيادة كل منهم خمسة وعشرين خيالاً وخمسة وعشرين نفراً

وبات اهل السكينة ينتظرون خيراً من وراء هذه الترتيبات التي جرت في لبنان ولكنهم اخطاؤوا ظناً لان بعض اللبنانيين ولاسيما الاعيان منهم لم يرضوا من هذه النظامات الجديدة لانها على زعمهم اخفضت من كرامتهم ووضعت من وجاهتهم وجعلتهم

---

١ عاد الامير مجيد من اسلامبول سنة ١٨٥٥ اي بعد وفاة جده واعمامه فيها وكانت مدة غيابه اربع عشرة سنة وثمانية اشهر وعشرين يوماً (اخبار الاعيان ص ٧٢٠)

متساوين بعامة الشعب بالغاء امتيازاتهم القديمة وهي امتيازات ذوي الاقطاع الذين بعد ان كانوا حاكمين اصبحوا بفضل النظام الجديد محكومين

وقد اغتنم يوسف بك كرم حركة الخواطر هذه ليقوم ضد هذه التنظيمات ويكون في مقدمة الناهضين لالغائها وكان داود باشا قد عرض عليه ولاية قائمقامية قضاء جزين فلم يرضَ وقد شق عليه ان يكون قائمقام قضاء جزين بعد ان تولى مدةً وكالة قائمقامية النصارى وبعد ان طمع في ولاية لبنان قبل داود باشا فكانت تطمح نفسه بعد ان جرى ما جرى الى تولي قائمقامية كسروان والبترون الكبيرة عوضاً عن الامير مجيد . ولم يكن داود باشا ملوماً على ما فعل لانه لم ينظم ما نظَّم الَّا باستشارة اكثر من رئيس وعظيم في لبنان طمعاً منه بالحصول على رضا الروساء الروحيين وعموم الاهلين وتشويقاً لهم الى قبول تلك الترتيبات الجديدة بارتياح وتسليم وقد فضل ان يتولَّى هذه القائمقامية الامير مجيد حفيد الامير بشير لانه كان وجيه لبنان وعين اعيانه رغماً عمَّا ناله يوسف بك كرم من الشهرة بين الشعب

وعلى هذا فلما رأى يوسف بك ان نظامات لبنان الجديدة مجحفة بصالحه نادى بعدم الاذعان والطاعة وحمل قومه في شمالي لبنان على مقاومة اجرآات المتصرف حتى اضطر داود باشا الى النهوض بالجند

الى بلاد جبيل والبترون ارهاباً له وحملاً على طاعتهِ وقد سار معه في سفره هذا الامير مجيد وضباطهُ الاربعة المار ذكرهم

٢ ابو سمرا ياور داود باشا

ثم راسل داود باشا يوسف بك كرم ليحضر اليه الى البترون فأبى وجاوب انه لا يحضر لمقابلة المتصرف ولكنه لا يتعرَّض للاعمال التي انيطت بالقائمقام الامير مجيد وبقي المتصرف في البترون عشرة ايام ثم عاد الى بتدين بعد ان ارسل الامير مجيد الى الجبة وما يليها لتنظيم المديريات وتعيين مشائخ الصلح وبعث معه الشنتيري ورجاله واماَّ ابو سمرا فطلبه اليه وجعله ياوراً له

وفي هذه المناسبة نذكر ما كان عليه داود باشا من حبّ العظمة فانه كان اينما اتجه تتبعه حاشية كبيرة من الفرسان والرجال ويسير هكذا بابهة واجلال كأنَّهُ ملك كبير والحقّ يقال ان مركزهُ كان يستدعي ذلك . فلبنان ذلك الجبل الشامخ الذي استهوته الكبرياء والف نظره فخفخة حكامه وامرائه كان يرى بعين الازدهاء والخيلاء متصرفه الجديد يتظاهر بمظاهر ملوكيَّة وكان داود باشا اينما سار يبذل المال بسخاء وكرم فاستمال اليه عامة الشعب

وقد جعل في خدمته بصفة ياوران اربعة من الامراء ثلاثة من الشهابيين وهم الامير قيس والامير سعيد والامير مجيد اسعد وواحد

من الارسلانيين كان الامير ملحم ارسلان واربعة من المشائخ اثنان نصارى وهما الشيخ بطرس واكد والشيخ علوان بك حبيش واثنان دروز وهما قاسم بك العماد والشيخ محمد تلحوق واثنان من الشعب وهما ابوسمرا وحنا بك ابي خاطر

٣ طريق غزير ومقاومة الاهالي

وقد عني داود باشا باصلاح طرقات لبنان وجعلها صالحة للمرور فانشأ من بيروت الى دير القمر طريقاً سلطانية رصفت بالحجارة لتقوى على احتمال السيول الجارفة ورغب ان ينشي ايضاً طريقاً للعربات ولما كانت قصبة غزير عاصمة كسروان قريبة من بيروت وذات اهميَّة بين قرى الجبل احبّ ان تكون اول طريق للعربات اليها ولكن الكسروانيين لما بلغتهم ارادة المتصرف بفتح هذه الطريق في ارضهم قامت قيامتهم كأن المتصرف أتى في ذلك عملاً فريًا والجاهل للامور يلومهم على مقاومتهم انشاء الطريق ولكنَّ من علم ان كسروان كان للنصارى بصخوره وجباله ووعورة مسالكه معقلاً حصيناً ليرد عنهم هجمات الاعداء ويقف حاجباً دون غارات الفاتحين عذرهم على هذه المقاومة

ولكنَّ داود باشا لم يعبأ بمقاومة الغزيريين له بل صمم على انشاء الطريق ولو اضطره الامر الى الالتجاء الى القوة المسلحة فجعل خاله داود افندي مفوضاً لاتمام هذا المشروع وبعث صحبته انفاراً من

نصارى المختارة ونصارى غريفة واستدعى اباسمرا وامره بالذهاب معهم الى غزير وقد كلفه دون غيره ان يقوم بهذه المهمة لاعتقاده ان سطوته وما له من الشهرة الطائرة في البسالة والاقدام تحمل اهالي تلك الناحية على الاذعان والتسليم

غير انَّ ابا سمرا اعتذر عن عدم امكانه من تلبية الامر قائلاً انه يخشى من ان يلاقي من اهالي غزير مقاومةً فيضطر الى قتالهم وهو لا يحب ان يكلل اعماله بمحاربة ابناء طائفته التي وضع سيفه في خدمتها طول حياته . فساء المتصرف جوابه وقال له: « اذاً انت لا تصدقني الخدمة » فاجابه: «حاشا لي ان اخون دولتك ولكني ارجوك ان لا تبعثني في هذه المامورية لاني على يقين من مقاومة الغزيريين لهذا المشروع فانهُ لم يحن بعد الزمان الذي يسمح فيه الكسروانيون ان تكون الطرق في بلادهم صالحة لمرور العساكر والبلاد لا تزال ثورتها غير خامدة ويخشى الاهلون من تجديد الفتن فلا يجد النصارى معقلاً يحميهم من غارات اعدائهم . »

فلم يعبأ المتصرف بكل هذه البراهين بل ارسل بدلاً من ابي سمرا حنا بك ابي خاطر الياور الثاني . ولما وصل داود افندي بالرجال الى جونيه امر حنا بك ابي خاطر ان يسير بهم الى غزير ففعل ولما اجتاز المعاملتين متصعداً في العقبة المعروفة لاقاه اهالي غزير مسلحين ومتهددين ومنعوهُ من متابعة السير الى غزير . فعاد الرجال الى جونيه واخبروا

داود افندي بما كان فكتب الى البطريرك بولس بطرس مسعد يشكو اليهِ الغزيريين فبعث البطريرك اليهم كتاباً يلومهم فيه على تعرضهم للمشروع فجاوبوه انهم لا يسمحون في انشاء طريق للعربات الى بلدتهم ولو الجأهم الامر الى سفك الدماء فبعث البطريرك بجوابهم هذا الى داود باشا وسأَلهُ تأجيل مشروعه الى فرصة اخرى خوفاً من العواقب الوخيمة فانصاع داود باشا لرأيه . ولو تدبر ذلك قبل حين لما لقي مشروعه تلك المقاومة العنيفة وعلى الحاكم من اية مرتبة كان ومهما بلغت سطوته ان يوفق اعماله وفق رغائب الشعب ويجري في كل اجرآآتهِ على مرضاة الجمهور واستحسانه فتزيد الثقة بين الحاكم والمحكوم وينتج للبلاد خير وسعادة

وبقدر ما كان اللبنانيون ينفرون في تلك الايام من انشاء الطرق في جبلهم نراهم اليوم يتسابقون الى تعميمها في انحائهم حتى تكاد لا تخلو قرية من قراياهم من طريق للعربات تمر في وسطها وهذا ترقٍ محسوس يدل على تقدم البلاد في الحضارة والمدنية

الفصل السابع

١ ابوسمرا ضابط على الرديف

واما داود باشا فانه جعل على غزير حاكماً خاصاً بها الامير امين ملحم شهاب وجعل ابا سمرا ضابطاً للامن فيها وبقي الامير امين حاكماً

على غزير سنة واحدة ثم صدر الامر المتصرفي بفصله والغاء وظيفته فالغيت معها وظيفة ابي سمرا . ثم عين داود باشا ابا سمرا ضابطاً على الرديف وامره ان يلازم بيته منتظراً الاوامر وهذا نص الامر الصادر بذلك :

فخر اقرانهِ ابوسمرا غانم آغا زيد قدره

انه بتاريخهِ قد عيناك ضابطاً على انفار الرديف ورتبنا لك ثلثمائة غرش شهرياً تأخذهـا في غاية كل شهر من طرف الخزينة وذلك من اعتبار غرة شهر نيسان الحالي سنة ٧٩ وتكون اقامتك في محلك منتظراً التعريف من طرفنا لما تقتضى من الخدمات اقتضى اشعاركم ذلك في ٧ ذي القعدة سنة ٧٩ و ١٧ نيسان سنة ٧٩ الموافقة سنة ١٨٦٤ مسيحية

مكان الختم داود — متصرف جبل لبنان

وبقي ابوسمرا ضابطاً على الرديف الى حين انتشار الحرب المعروف امرها بين داود باشا ويوسف بك كرم فاستدعى داود باشا ابا سمرا وكلفه بالذهاب برفقة العساكر اللبنانية الى قتال يوسف بك فأبى لانهُ لم يرغب ان يتوج اعماله الحربية في قتال صديق له كان معجباً بصفاته معتقداً فيه ما كان يعتقدهُ الكثيرون من اللبنانيين من انهُ كان يدافع عن صوالح لبنان ويرى ما كان يراه عامة الشعب الماروني

انه الاوفر جدارةً واهليةً لتولي لبنان مكان داود باشا فتغير لذلك قلب المتصرف على ابي سمرا وعزله من وظيفته فسار الى بيته في جنوبي لبنـان لينظر عن بعد الى حوادث شماليهِ وهو موقن مع ذلك بان نتيجة الحرب الكرمية تكون وخيمة العاقبة على صاحبها

٢ حرب يوسف بك كرم

ولما كانت حروب يوسف بك كرم مع داود باشا اهم حادث حصل بعد سنة الستين احببنا اثبات ملخصها في تاريخ ابي سمرا وان كان لا علاقة لهـا معه فنقول: منذ تولى داود باشا متصرفية جبل لبنـان شرع في اجراء الاصلاحات الجديدة التي اتفقت الدول على احداثهـا في الجبل فتلقاها الشعب بالرضى والقبول الا ان ذويّ الاقطاع من الامراء والمشايخ كانوا ينظرون اليها بعين الجفاء لانها الغت امتيازاتهم القديمة وساوتهم بافراد الناس وعامتهم ولكنهم لما لم يلاقوا من الاهالي حلفًا يشد ازرهم على مقاومتها والتعدي لها التزموا ان يرضخوا لاحكامها

واما يوسف بك كرم الذي ملك قلوب اهالي المقاطعات الشمالية بكرمه وبسالته وغيرتـه الوطنية فانهُ لقي من الشعب هنالك عضدًا قويًا على مقاومة هذه الترتيبات واتفق معهم على معارضة اجراآت المتصرف اشد المعارضة فلم يقبلوا ان يتولاهم من قبله شيخ او امير

وتصداو لمسح الاملاك وترتيب الاموال الاميرية كل التصدي . فشق ذلك على داود باشا ورفع الى الاستانة العريضة اثر العريضة يشكو فيها يوسف بك كرم الى المراجع العالية ويصفه فيها انه مثير الفتن والقلاقل في البلاد . فصدر الامر السامي بابعاد يوسف بك كرم الى الاستانة فسار اليها مسرورًا لانه كان يعتقد بان فؤاد باشا واضع نظام لبنان يكون مساعدًا لهُ ومحاميًا يدفع عنه كل تهمة ولا عجب ان اكتسب ثقة هذا الوزير الخطير الذي كان يقدر اقتداره على تولي الاحكام حق قدره بعد ان اختبره بنفسه يوم عهد اليه تولي منصب قائمقامية النصارى بالوكالة . وبعد سفره سكنت القلاقل وقبل اللبنانيون بكل الترتيبات الجديدة في كامل انحاء البلاد وسارت الاعمال على قدر الامكان سيرًا حثيثًا على محور العدل والمساواة والاستقامة

ولما كانت نظامات لبنان تقول بفصل المتصرف بعد ان يقضي في ولاية الاحكام خمس سنين مع امكان ابقائه في منصبه خمسًا اخرى ان وافقت الدولة العلية على ذلك كان يوسف بك كرم ينتظر في الاستانة انهاء مدة داود باشا ليستأنف الكرة ويعود الى المجاهدة توصلًا الى الحصول على متصرفية لبنان

وفي سنة ١٨٦٥ عاد من الاستانة الى لبنان ونزل في مدينة طرابلس ومنها اتى زغرتا مسقط رأسه دون ان يَشعر بحضوره احد وبعد ان علم قطان المقاطعات الشمالية في لبنان بوصولهِ اقاموا الافراح

والمهرجانات العظيمة واخذوا يتقاطرون اليهِ وحداناً وزرافات مهنئين فساء داود باشا حضوره واسرع بالسفر الى الاستانة ليعمل على احباط مساعي يوسف بك ويمثله للدولة كرجلٍ طماعٍ عدوٍ للامن ومحبٍ للفتن ولما تم له الفوز عاد الى لبنان بعد ان سلمته الدولة مركباً حربياً اسمه لبنان اوثقته معدات الحرب وعدد القتال

ولما وصل داود باشا الى لبنان نقل المركز المتصرفي من بتدين الى جونية ليكون مراقباً قريباً للحوادث وهنالك اخذ ينتقم من احلاف يوسف بك لاخصامهم ويزجهم في السجن ارهاباً وعبرةً لسواهم فلما رأى يوسف بك عمله هذا نهض بالرجال الى دير مار دوميط البوار تعزيزاً لاعوانه وتثبيتاً لهم في ولائه فلما درى بقدومه داود باشا سيَّر اليه الفرق اللبنانية بقيادة قائدها (ألطاب) الفرنساوي فالتقى الجيشان في المعاملتين ومار دوميط وتواقعوا هنالك فانكسر يوسف بك وقتل ابن اخته في المعاملتين. واقتتلوا ايضاً في المكان المعروف بالمفص فاسفر القتال عن فوز يوسف بك وكان اعوانه رجال من اهدن وزغرتا والامير سلمان الحرفوش المتوالي من بعلبك والبعض من سكان قرى كسروان وبعد ان تشتتت الفرق اللبنانية جاء يوسف بك قاصداً غزير فخرج اهلوها الى ملاقاته وهم يهزجون باسمه متظاهرين بمحالفته ولما اقتربوا منهُ اطلقوا عليه الرصاص اغتيالاً فقتلوا من رجاله ثلاثة انفار

ولم تطل اقامة يوسف بك في كسروان لانه لم يكن على ثقة من اخلاص الكسروانيين لهُ فعاد برجاله الى وطنه حيث انعقدت الخناصر على ولائهِ فتأثرته العساكر اللبنانية والنظامية من بيروت ولبنان وطرابلس وخلافها الى قرية بنشعي من قرى الزاوية وانتشب بينهم القتال فدحر كرم جموعها البالغة نيفًا وسبعة الاف رجل وهزمها الى طرابلس بعد ان غنم ذخائرها واسلحتها وقتل واسر جموعًا فاكسبت هذه الموقعة يوسف بك كرم شهرةً عظيمةً وأُعجب اللبنانيون ببسالته ومهارته في قيادة الجيش في مواطن القتال ولكنه لم يستفد ذرةً واحدة مما كان يطمع به من الفوز السياسي

اي نعم ان اللبنانيين اعجبوا كثيرًا بانتصارات يوسف بك كرم المتوالية فانه قضى نحو السنة تقريبًا في مناوشات كان له الفوز في معظمها حتى خال للبعض ان انتصاراته كانت عجائبية . وقد اجتازت شهرة يوسف بك البحار وذاعت سمعته في الاقطار الاوربية لاسيما فرنسة منها وقد لهجت جرائدها بذكره كثيرًا ولما سار الى فرنسا بعد قبوله حمايتها كان فيها موضوع اعجاب الفرنسيين وكانت الناس تشير اليه قائلةً : هذا هو البرنس كرم الامير اللبناني

هذا ولما رأى يوسف بك ان عاقبة حروبهِ مع داود باشا عائدة عليه بالخسران رغمًا عن انتصاراتهِ المتوالية سعي الى الدخول في حماية فرنسا تخلصًا من تلك الحالة فعرضت فرنسا على الدولة العلية

قبوله في حمايتها فاشترطت ابعاده من لبنان وتم بينهما الاتفاق على ذلك فصدر الامر بابعاده الى الجزائر

ولما مرّ في بيروت جرى له استقبال نادر المثال وخرج الناس للقائه من جميع الملل والنحل واقام في الجزائر سنتين ثم انتقل الى باريز ومكث فيها مدة ولما لم يلاق من حكومتها ناصرًا يعضدهُ لبلوغ مأربه ترك فرنسا وجاء بروكسل (بلجكا) ثم انتقل من بلجكا الى رومية وقضى فيها وفي نابولي بقية حياتهِ منقطعًا عن السياسة الى عبادة ربه حتى توفاهُ الله في مدينة نابولى سنة ١٨٨٨ وله من العمر ٦٦ سنة

وقد رخصت الدولة العلية لذويه بنقل جثته الى اهدن مسقط رأسه فجيءَ بها عن طريق طرابلس ولما وصل جثمانه الى هذه المدينة مشى اللبنانيون امامه في مشهد عظيم وساروا بهِ الى اهدن واقاموا له فيها مناحة عظيمة لم يقم اعظم منها في لبنان رحمهُ الله اوسع رحمة

٢ تتمة اخبار داود باشا

وكان داود باشا غيورًا والحق يقال على لبنان شديد الحرص على استقلاله وقد سعى بتوسيع نطاقهِ باضافة بعض المدن الساحلية اليه ولهذا احبهُ اللبنانيون وتعلقوا به

وبقي داود باشا في منصب المتصرفيــة من ١٠ حزيران سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٧ وفي هذه السنة عظم الخلاف بينه وبين والي

سوريا بشأن وضع الحدود الفاصلة بين لبنان والولاية فرفع بسبب ذلك الى الاستانة عريضة استقال فيها من منصبه فأُقيل . وهكذا ترك لبنان اول متصرفيهِ واللبنانيون لا ينسون لهُ ذكرًا وله بينهم احدوثة طيبة نظرًا لما تحلّى بهِ من الورع والتقوى والكرم والميل الى البلاد واهلها وعوائدهم . ومات بعد سنتين من تركهِ لبنان

الفصل التاسع

١ ولاية فرنكو باشا ومن خلفه من المتصرفين
تعيين معاش تقاعد لابي سمرا

وفي اليوم الرابع عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٨ نصب المرحوم فرنكو باشا متصرفًا على لبنان خلفًا لداود باشا فعاش الناس في ايامه براحة وسكينة وباتوا يشعرون بلذة الامتياز الممنوح للبنان من فضل الدولة العلية وينعمون بالًا بالترتيبات والنظامات الموضوعة حديثًا والتي بدأوا ان يالفوها رويدًا رويدًا وكان متصرفهم الجديد دمث الاخلاق محبًا للخير العام ومحببًا اليه المأمورين بوداعته وانسه ولطفه وكان يميل الى ابي سمرا ميله لكل الرجال الاشداء البواسل وقد رتب لهُ معاش تقاعد معتذرًا عن عدم وجود صندوق للتقاعد في لبنان يكافي خدمات من طعن في السن من الرجال نظيرهُ

صورة من قلم المحاسبة نومرو ٩٤

الى قائمقام جزين

افتخار الامراء الكرام المير داود شديد مراد زيد مجده

يلزم ان تصرفوا من نصف تشرين الاول سنة ٨٨ وصاعداً الى ابي سمرا اغا غانم مائة غرش شهري بحسب اسبقية خدماته وذلك بسندات تقدموها اخر السنة مع هذا الامر وقت المحاسبة للاستيعاض بعلم وخبر ولذلك صار ترقيم هذه الشقة في ٢٤ شعبان سنة ٨٩ و١٤ ت٢ سنة ٨٨

الختم

نصرالله فرنقو

وفي سنة ١٨٧٣ توفي فرنقو باشا قبل انقضاء مدته ودفن في المكان المعروف بالحازمية شمالي الحدث . وفي ٩ اذار من سنة ١٨٧٣ نصب خلفاً له رستم باشا وما تقلد الاحكام الا واظهر قوة واقتداراً عظيمين على ادارة المتصرفية بهمةٍ عالية ودراية فائقة وقد جعل في الوظائف من كان على شاكلتهِ ماضي العزيمة صادق النية فاعجب به اللبنانيون كثيراً وغبطوا انفسهم لحصولهم على متصرف جليل القدر عظيم الشان وكانوا يفاخرون به الولايات المجاورة نظراً لما تحلى به من العدالة والانصاف

وبقي رستم باشا محبباً الناس اليه جامعاً الكلمة على ولائه ومدحه الى ان حصل بينه وبين المرحوم السعيد الذكر المطران بطرس

البستاني ذلك الخلاف المعروف الذي ليس من متعلقات هذا التاريخ الخوض في بابه فانقسم الناس الى شطرين شطر يقول قول المتصرف وشطر اخر قام على ولاء المطران ونتج من ذلك ان المتصرف اسأ معاملة المتشيعين للمطران واكثر من اضطهادهم والتنكيل بهم فلم تعد العدالة الاولى جارية مجراها بل تغلب عليها حب الانتقام والتشفي من احزاب المطران حتى كثر الهرج والتذمر وكان سكان دير القمر واهالي قضاء جزين اكثر الناس شعوراً بوطأة يد رستم باشا عليهم لانه لم يشا ان يغفر لهم شديد تعلقهم براعيهم الشيخ الجليل

ولما كنا لانذكر من الحوادث الاما كان له تعلق بصاحب الترجمة تقول : انه بقي يتقاضى الراتب الذي خصصه له فرنقو باشا الى ان حصل بين رستم باشا والمطران بطرس ما حصل فوشوه اليه فامر بقطع مرتبه

وسنة ١٨٨٢ فصل رستم باشا بعد ان تولى المتصرفية عشر سنوات ونيف وخلفه واصه باشا واهم عمل اتاه هذا المتصرف ادخال العدلية في لبنان وهي ماثرة تذكر فتشكر ومن ذلك العهد سار لبنان في سبيل الحضارة فانشئت في بعض الاقضية دور للحكومة وتشيدت ايضاً سراي بعبدا وفتحت كثير من طرق العربات في البلاد . وقد اعاد واصه باشا الى ابي سمرا المعاش الذي كان رتبهُ لهُ فرنقو باشا فبقي يتقاضاهُ ايضاً في زمن دولتلو نعوم باشا حتى وفاته

وبعد تسع سنوات توفي واصا باشا ودفن في الحازمية بجوار قبر فرنقو باشا الى جانب امرأته وابنتهِ فخلفه سنة ١٨٩١ نعوم باشا في ادارة شؤون المتصرفية وسار على خطة واصا باشا في فتح الطرق وبناء دور الحكومة في الاقضية واتم بناء سراي بعبدا وانشا كثير من الجسور وكان فطنًا محبًا للسكينة والمسالمة

ثم خلفه سنة ١٩٠٢ دولة الوزير المشير مظفر باشا متصرف لبنان الحالي ولما رأى افتقار خزينة لبنان الى المال وضع بالاتفاق مع مجلس الادارة بعض الرسوم كرسم التصديق على صكوك البيع والكفالات والوكالات وجعل في كل المديريات محررين للمقاولات تخفيفًا للمشقة عن الاهالي

الفصل العاشر

١ اولاد ابي سمرا

رزق ابي سمرا ستة اولاد ذكور وهم سليمان ويوسف وسليم وابرهيم وخليل وابرهيم توفي منهم ابرهيم الاول وهو في الثانية من عمره سنة ١٨٦٠ . ومات خليل في مدينة بيروت وله من العمر سبع عشرة سنة ١٨٧٧ وكان فطنًا نجيبًا وكانت وفات سليم في بكاسين في اول شباط سنة ١٨٩٨ وله من العمر اربعون سنة وولد لابي سمرا اربع

بنات وهنّ : ادما وانجليك ومريم وحنه . وقد ذكرنا انه وضع ولده البكر سليمان في مدرسة الاباء اليسوعيين في غزير فبقي فيها ست سنوات وفي نهايتها مال كل الميل الى الزهد في الدنيا وتاقت نفسه الى الانتظام في سلك رهبنة يسوع بعد ان تحققَ زوال هذه الدنيا واباطيلها وكانت حياة ابيه اعظم محرك له على نبذ العالم بما طرأ عليها من التقلبات السريعة وما اصابها من الرزايا والهموم غير ان رأيه هذا لم يصادف باديء الامر قبولاً من ابيه

ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه فاغتنم في يوم من الايام شهر ايلول سنة ١٨٦٦ فرصة غياب ابيه من البيت وجاء دير القمر ونزل فيهـا على الاباء اليسوعيين فلما علم ابوه بخبره اسرع الى الدير وقابل ولده فتوسل اليه هذا بدموع غزيرة ان لا يقف حاجزًا دون دخوله في الرهبنة التي دعاه الله الى الانخراط في سلكها ولما راى الاب ثبات الابن في عزمه لم يسعه الَّا الاذعان فحضر واياه الى بيروت ورافقه مشيعاً الى البحر . وكان سفر سليمان الى فرنسا ودخوله دير الابتداء في كليرمون فران في شهر تشرين الاول من سنة ١٨٦٦ فنذر نذوره الرهبانية في العاشر من تشرين الاول سنة ١٨٦٨ ثم اقام سنتين في مدينة سن لي سونيه وعاد الى لبنـان في صيف سنة ١٨٧٠ وسيم كاهناً في ٢ حزيران سنة ١٨٨٢ من يد السيد بياقي القاصد الرسولي اذ ذاك وجعل مديرًا لجريدة البشير واشتهر في المحـاماة عن رئاسة

القديس بطرس والاحبار الرومانيين الخ . وفي خريف سنة ١٨٨٤ ذهب الى انكلترة فاقام في مدينة سلُو الى ١٥ آب سنة ١٨٨٥ ومنها عاد الى بيروت واستلم ادارة جريدة البشير ثانيةً وفي ٢ شباط سنة ١٨٨٦ نذر نذورهُ الرهبانية الاخيرة واقطع الى عمل الرسالات في بيروت والشام وحمص وهو الان في دير سيدة القلعة في منجز من اعمال عكار وهو المعروف بالاب غانم

وبعد سليمان دخل يوسف المدرسة وبقي فيها ست سنوات ثم خرج منها وجعل وكيل اشغال جريدة البشير ومجلة المشرق ثم مصحح المطبوعات في المطبعة الكاثوليكية في بيروت وهو باق فيها الان وقد مضى عليه نيف وخمسة وثلاثون سنة في هذه المطبعة وهو مشهور بغيرته ومروءته

ثم عقبه خليل وبعد ان قضى في مدرسة غزير ثم في كلية القديس يوسف نحو ست سنوات توفاه الله في ريعان الشباب وكان من التلامذة النجباء ثم تلقى العلم من بعده اخوه ابرهيم وقد اتقن اللغتين الافرنسية والعربية وله في هذه مُصنَّف تاريخي ومقالات ادبية نشرت في الجرائد العربية وسنة ١٨٩٩ اقترن بالآنسة مريم كريمة المرحوم يوسف بك مبارك الخوري وله منها ابنة دعاها هنريت وقد استمدت لهُ والدته بركة الاب الاقدس فوردها من القاصد الرسولي في سوريا الكتاب الاتي :

Délégation Apostolique
de Syrie
N. 732 Beyrouth, le 2 Décembre 1899

Madame

Son Eminence le cardinal Rampolla, répondant à la demande que vous lui aviez adressée, m'a chargé par voie télégraphique de vous transmettre la bénédiction apostolique de Sa Sainteté Leon XIII, pour le mariage de Mr votre fils.

Heureux de remplir un tel message j'en profite pour vous offrir avec mes vœux de bonheur, l'hommage de ma considération distinguée

Votre très humble serviteur
†. F. P. G. Ch. Duval O. P.
Arch. Del. Ap.

Madame Tage Veuve Abou-Samra
Bakassine Mt Liban

وهذا تعريبه :

القصادة الرسولية في سوريا

نومرو ٧٣٢ بيروت في ٢ كانون الاول سنة ١٨٩٩

ايتها السيدة

ان نيافة الكردينال رمبولا اجابةً لالتماسك كلفني تلغرافيًا ان ابلغك بان قداسة البابا لاوون الثالث عشر يمنح بركته الرسولية لولدك بمناسبة زواجه واراني سعيدًا بان اقوم بهذه المهمة التي اغتنم فيها الفرصة لاقدم لك مع تهانيَّ الخالصة اعتباري الفائق

خادمك الكثير التواضع

† الاخ ب . غ . ك . ديفال القاصد الرسولي

الى السيدة تاج ارملة ابي سمرا . بكاسين جبل لبنان

واما بنات ابي سمرا فالكبيرة ادما تزوجت بسليم راشد عطيه من بكاسين ومريم وحنه بعد ان تعلمتا في مدرسة راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين في بيروت دخلتا هذه الرهبنة مقتفيتين باثر اخيهما سليمان وكان ترهبهما في ٢ تشرين الاول سنة ١٨٩١ ودعيت مريم بالرهبنة : ماري انياس وسميت الثانية حنه : ماري روز وهما معروفتان الان بهذين الاسمين فماري انياس ارسلت الى الرسالة في القطر المصري في المنيا وترأست على ديري طهطا وملّوي في صعيد مصر ثم جيء بها الى لبنان لاعتلال طرأ على صحتها وهي الان في دير القديس الملاك روفائيل في بكاسين وماري روز ارسلت الى الرسالات في حلب وحمص ثم زحله حيث هي الان

الفصل الحادي عشر

١ شيخوخة ابي سمرا — صفاته واخلاقه

بقي ابوسمرا نشيطاً معافى صحيح الجسم الى سنة ١٨٩٢ وفي تلك السنة وهنت قواهُ وضعفت اعصاب رجليه فلم يعد قادرًا على المشي فرزح من ثقل السنين والكبر فاقام في البيت لايخرج خارجاً قط ولكنه لم يشك المًا وبقي عقله وجسمه سليمين الى حين وفاته

وكان الله سمح بضعفهِ ليجعله منقطعاً عن العالم فيزيد اهتمامه بنفسهِ تأهيلاً لها الى ملاقـاة ربها وخالقها طاهرةً من كل وصمة نقية من كل دنس فكان يقضي معظم اوقاته في الصلاة واستماع قرأة الكتب الروحية

وكان ابوسمرا قصير القـامة ممتلئ الجسم قمحي اللون مستدير الوجه حاد النظر مهاباً تلوح على محياه امارات الشهامة وعزة النفس وقد جمع الى الشجـاعة التي كان فيها نابغة زمانه اوصافاً عديدة حسنة كالكرم والمروءة والغيرة والتقوى وشدة الاستمساك بعرى الدين الكاثوليكي والاخلاص للدولة العلية

وكان صادقاً يُغضبهُ الكذب كثيراً وكان حسن الطوية طيب السريرة لا يعرف الحقد ولا يبطنُ في قلبه بغضاً حتى لاعدائه وكان يحب ويكرم كثيراً رجال الدين ويحترمهم

وكان مع شهرته في معامع الحرب محباً للسلام والالفة يبعد عن الخصام قدر امكانه ويسعى وراء الوفق والوئـام ولم يكن له مذهب سياسي. او ميل لفريق من الناس دون الآخر بل كان مستقـلاً في رأيه وفكره واعماله ولا يفعل الا ما كان يرشده اليه ضميره ويقضي به الشرف وهذا ما جعله محبوباً ومكرماً عند كافة الناس وكان متواضعاً لا يتباهى قط بما اتاه من الاعمال وجليل الفعـال وكان قليل الكلام عن تاريخ ماضيه فلم يحدث النـاس من نفسه الا عرضاً وكان يجره

الكلام عن ذاته عن غير قصد منه وقتما كان يروي اخبار زمانه وحوادثه الماضية وكان راوية في التاريخ عالمًا باخبار السلف وكانت له ذاكرة غريبة نادرة فكان يذكر عن ظهر قلبه اسماء ومدن قرى سوريا من عريش مصر الى حدود ما بين النهرين واسماء الحكام والعمال الذين تولوا المقاطعات وتاريخ اعمالهم بكل ضبط ودقة

ولم يحصل ابوسمرا على ثروة تذكر ولو وجد في بلاد اوربية لنال من معاشات التقاعد ما كفل لهُ الغنى وخصَّ بجوائز وانعامات مالية وافرة كما تفعل انكلترا وغيرها مع الابطال الذين يجاهدون في سبيل الوطن ويقضون حياتهم في خدمته

انما وان عدم ابوسمرا المساعدة المادية الا انهُ لم يفقد بالكلّية ثمرة اتعابه فان اللبنانيين على اختلاف درجاتهم ومقاماتهم وعلى تعدد طوائفهم ومذاهبهم يذكرونه بالاجلال ويعظمون اسمهُ كل التعظيم ويجعلونه في المصاف الاول بين ابطال هذا القرن المبرزين

٢ مرضه وموته سنة ١٨٩٥ وتاثير نعيه في الجهات

كان يوم الاحد الواقع في ٢٤ شباط سنة ١٨٩٥ اخر يوم من مرفع تلك السنة فأتى اهالي بكاسين حسب العادة يهنئون اباسمرا بانقضاء تلك الايام ودخول الصوم المبارك وكانوا يدعون لهُ ان يعاد الى امثالهِ فكان يجيبهم قائلًا : « اني اكون في المرفع القادم في الآخرة واحسب زيارتكم لي هذه زيارة وداع . وما احلى الموت برضى الله

وطاعته وها انا مستعد لملاقاة ربي واتوق الى التمتع بمشاهدة جلاله الالهي . »

وثاني يوم الاثنين بدء الصوم المبارك شعر بضعف في قواه ولما جاء الليل زاد ضعفه وخارت قواه فاستدعى صباح الثلاثا الكاهن واعترف وتناول القربان المقدس وطلب منهُ ان يلازمهُ لانهُ تيقن ان موته قد دنا

ويوم الاربعاء اتى الكاهن باكرًا وقدس في بيت العليل وناوله القربان الطاهر وعاده ايضًا في ذلك اليوم الطبيب فوصف له علاجًا مقويًا فلم يرضَ اخذه ولما الحّ عليهِ الطبيب بشربه قال لهُ : « اني اكرمًا لخاطرك اشربه ولكني على يقين من عدم فائدتهِ لاني مائت لامحالة ولا احتاج من بعد الان الّا الى الدواء الروحي فدعوني اهتم بنفسي وها انا ذاهب غير اسف على هذه الحياة الفانية . »

ويوم الخميس ايضًا تناول القربان المقدس وسأل الكاهن ان يمنحه سر مسحة المرضى فبادر الكاهن الى اتمام العمل وفي مساء ذلك النهار اتى جمهور غفير لعيادتهِ فكان يحدثهم كانه سليم معافى ويسخر بالموت هازئًا مبينًا بذلك انهُ بطل في ملاقاة الموت كما كان بطلًا في ملاقاة الاعداء

ثم نام قليلًا وما لبث ان استيقظ فسأل الكاهن والحضور ان يتلوا طلبة المنازعين ويشتركوا معهُ بالصلاة من اجل نفسهِ ففعلوا وكان

المحتضر يؤمن على طلباتهم

وصباح الجمعة اول آذار تأخر الكاهن عن الحضور الى بيت المريض لتقديم الذبيحة الالهية فألح المحتضر بوجوب طلب الكاهن حالًا ولما اتى لامهُ على تأخره فقال لهُ : لم ارَ داعيًا للعجلة . فاجاب المريض: عجل في تقديم الذبيحة قبل ان يتم فيَّ امر الله . فشرع الكاهن في التقديس وعند الانجيل فتح المريض عينيهِ واعطى اشارة الانتباه لسماع كلام الله وكانت امراته بقربهِ تنظر دائمًا حركاتهِ وقبل مناولة الكاهن وجدتهُ قد تغيرت حالته فجأةً ودخل في النزع فأشارت الى الكاهن الذي اسرع وأعطاه الحلة الاخيرة وما اتمها حتى لفظ روحهُ بين يدي خالقها بكل هدؤ وسكينة نحو الساعة الثانية عربية من النهار فقرع جرس الكنيسة ناعيًا الى بكاسين بطلها فعلا العويل والنواح من كل جانب واقبل الاهالي يبكونهُ ويعددون صفاته واعماله وقد اعتبروا المصيبة وطنية عمومية فطيروا منماه الى قرى اقليم جزين والى المقامات العالية روحية وزمنية والى اولاده الغائبين في جهات مختلفة

وقد تعين ثاني يوم السبت موعدًا لدفنهِ فأقبل اهالي القرى المجاورة الى بيت الفقيد يعددونهُ كما هي عادة اللبنانيين في مأتم عظمائهم وكان مشهد جنازتهِ حافلًا جدًا رغمًا عن كثرة الامطار التي كانت تسقط بغزارة شديدة كانها من افواه القرب وعند الساعة الثامنة عربية من النهار حملت جثته على اكف الرجال الى الكنيسة

حيث صلى عليهِ كهنة القرى ورهبان اديار تلك الجهات وفي ختام الجناز وفاه حقه من التأبين كل من جناب الافندية الدكتور شكري الخوري وجاد الله حنينه وسليم سعد ثم واروه التراب وهم اسفون على فقد بطل عزَّ نظيره

وما انتشر نعي ابي سمرا في لبنان وسائر الجهات المجاورة حتى اعتبر الاهلون موته خسارة وطنية عمومية فاحتفلوا في اكثر الكنائس والمدارس والاديار باقامة الصلوات من اجل راحة نفسه وقد وردت رسائل التعازي من كل الجهات الى ارملته واولاده شارحةً تفاصيل هذه الاحتفالات ومبدية اسف الوطن على فقد رجل من عظماء رجاله ولم يقتصر على ابداء هذه المظاهرات الوطنية في لبنان وسوريا وبين النهرين فقط بل تناولت انحاء اميركا ايضاً فقد احتفل حضرة المرسل الماروني الخوري يوسف الدحداح في مدينة سدني من اعمال اوستراليا بتقديم ذبيحة القداس وباقامة جناز حافلين من اجل راحة الفقيد والكنيسة موشاة بالحداد بحضور جميع افراد النزالة السورية هنالك وفي الختام فاه حضرته بتأبين البسه ثوباً قشيباً من الفصاحة عدد فيه مناقبه الفريدة مظهراً اعظم مصيبة الوطن السوري فيه وقد جرى مثل ذلك في مدينة فلادلفيا (الولايات المتحدة) وفي غير امكنة من انحاء القارة الاميركية

ملحق

يحتوي على كتابات التعازي التي وردت عائلة ابي سمرا غانم . والمراثي التي رثاه بها الشعراء . ونبذة في قرية بكاسين مسقط رأسه ومقالة في عائلة غانم وفروعها ولمحة في احوال لبنان بعد سنة ١٨٦٠ وبعض قصائد من اقوال العامة تغنى بها اللبنانيون وتطرقوا فيها الى مدح ابي سمرا الخ .



كتابات التعازي

ورد عائلة ابي سمرا نحو اربعمائة كتاب تعزية من انحاء مختلفة وكلها متفقة معنىً على استعظام الرزيئة واستكبار المصيبة وهي تعدد محامد الفقيد وتلمع الى خدماته العديدة في جانب الدولة والوطن ولولا ضيق المقام لاتينا على نشرها برمتها ولكنا اكتفينا بنشر بعضها حسب تاريخ ورودها مصدرةً بكتابات اصحاب النيافة والغبطة الكرادلة والبطاركة

كتاب نيافة الكردينال رمبولا وزير الدولة البابوية

Madame,

J'ai appris avec peine la perte douloureuse que vous venez de faire en la personne du vénérable vieillard Abou Samra Ghanem. Par ses vertus et ses mérites à l'égard de la Religion catholique sa mort sera vivement regrettée par toute la Nation Maronite. Mais ce sont ses vertus mêmes et ses mérites qui doivent *vous* donner la consolation par l'espérance que ce vaillant du Christ et de son Eglise ait déjà reçu sa couronne dans les cieux. Je ne manquerais pas de joindre mes prières aux vôtres pour le repos de cette âme bénie. En finissant il m'est

doux de vous participer la Bénédiction Apostolique que Notre St Père accorde bien de cœur à vous et à tous vos enfants afin qu'ils marchent généreux sur les traces du vertueux et illustre défunt.

Veuillez agréer Madame, l'assurance de mes respectueux sentiments.

M. Car. Rampolla

Rome 24 Avril 1895.

Madame Tage veuve Abou Samra Ghanem

Bekassine (Liban) par Beyrouth

وهذه ترجمته :

ايتها السيدة

تلقيت بالاسف خبر الخسارة المفجعة التي اصابتك في شخص الشيخ الجليل ابي سمرا غانم لاشك بان الطائفة المارونية جمعاء قد فجعت بفقده نظراً لما تحلى به من الفضائل وما لهُ من الخدم في جانب الدين . ولكنَّ تلك الفضائل وهذه الخدم عينها من شأنها ان تعزيكم مع الرجاء بان هذا جندي المسيح وكنيسته قد نال اكليله في السماء واني لا اتاخر عن الاشتراك معكم بالصلاة لراحة نفسه المباركة . وفي الختام يلذ لي ان ابلغك البركة الرسولية التي يمنحها الاب الاقدس

من صميم القلب لك ولاولادك ليقتفوا بشهامة اثار الفقيد الفاضل الشهير

تكرمي ايتها السيدة بقبول شعائر احترامي

م الكردينال رمبولا

حضرة السيدة تاج ارملة ابي سمرا غانم

في بكاسين (لبنان) بطريق بيروت

رومية في ٢٤ نيسان سنة ١٨٩٥

كتاب نيافة الكردينال لودوكسكي رئيس مجمع انتشار الايمان المقدس

S. Congrégatione de Propaganda Fide.

Rome le 20 Avril 1895.

Madame,

J'ai appris avec une vive peine par la lettre que vous m'avez fait l'honneur de m'adresser, la grande perte que vous même et votre noble famille avez subie, le mois passé, par la mort de votre illustre époux feu Mr Abou Samra Ghanem. Les nombreux mérites de ce vaillant chrétien qui a consacré sa longue carrière au service de l'Eglise, de sa nation et de toutes les bonnes causes, ont rendu cette perte très sensible non seulement à ses proches, mais à tous ses concitoyens, et à ceux qui savent aprécier la vertu et le dévouement. Je m'associe sincèrement aux regrets unanimes que la mort de Mr Votre époux a eveillé et en priant Dieu pour le repos de son âme, je vous offre mes respectueux condoleances.

Veuillez agréer, Madame, l'assurance de ma parfaite considération.

Votre très humble Serviteur,

M. Card. Ledockowski Préf.

Madame Tage Veuve Abou Samra Ghanem à Bécassine (Liban),- Asie par Beyrouth.

وهذه ترجمته :

رومية في ٢٠ نيسان سنة ١٨٩٥

ايتها السيدة

علمت بفرط الاسف من التحرير الذي تكرمت عليَّ بارساله الفادحة التي نزلت بكِ وبعائلتك الشريفة الشهر الماضي بوفاة قرينك الشهير المرحوم ابي سمرا غانم . ان فضائل هذا البطل المسيحي العديدة الذي بذل حياته الطويلة في خدمة الكنيسة وطائفته وكل عمل صالح قد جعلت هذه الخسارة بليغة جدًّا ليس فقط عند اهله بل عند جميع بني وطنه وكل الذين يقدرون الفضيلة وبذل الذات قدرهما . واني حقيقةً اشترك بالاسف العمومي الذي سببته وفاة قرينك واقدم لك فروض تعزيتي الاحترامية طالبًا منه تعالى لنفس الفقيد الراحة الابدية

تفضلي سيدتي واقبلي تأكيد فائق اعتباري

خادمكِ الكلي التواضع

م. لودوكسكي كردينال ورئيس المجمع

حضرة السيدة تاج ارملة المرحوم ابي سمرا غانم

في بكاسين (لبنان) ـ اسيا بطريق بيروت

كتاب غبطة السيّد يوحنّا الحاج بطريرك الموارنة

بكركي في ٧ آذار سنة ١٨٩٥

البركة الرسولية تشمل حضرة اولادنا ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولاده المكرمين

غب وفور الاشواق الى مشاهدتكم في كل خير وعافية ورد لنا نعي المرحوم ولدنا قرينكم ووالدكم فساءنا فقدهُ وانكسار خواطركم به وسألناه تعالى ان يتغمده بوافر عفوهِ ورضوانه ويمتعه بالسعادة الخالدة في صحبة اوليائه الابرار وان يؤتيكم نعمة الصبر الجميل والعزاء الجزيل جاعلاً العوض بسلامتكم هذا ولما كان الموت حكماً الهياً شاملاً جميع الناس من كبير وصغير وجب على اصحاب التقوى نظير حضراتكم ان تنقادوا لاحكامه تعالى بتمام التسليم والرضى وتعتصموا بالله في

مثل هذا المصاب الذي تخف عليكم وطأته باعتبار كون المرحوم
قد انهى حياته الطويلة بالغيرة وتقوى الله وقد غادر هذه الحياة الدنيا
مملوا اياماً واعمالاً مبرورة ذاهباً الى دار الخلد لينال الجزاء المعد
للمختارين منذ انشاء العالم بحسب المواعيد الانجيلية . فمثله ينبغي ان
لا يحزن عليه كسائر الناس الذين لا رجاء لهم كما قال الرسول بل يجب
ان يكون لكم بذلك افضل تعزية وسلوى هذا والله سبحانه يبرد جمرة
احزانكم ويقيكم بعد ذلك كل مكروه ويرحم الفقيد رحمةً واسعة
بمنه ولطفه والبركة الرسولية تشمل حضراتكم مكرراً

الحقير

مكان الختم   يوحنا بطرس

البطريرك الانطاكي

كتاب غبطة السيّد غريغوريوس يوسف الاول بطريرك
الروم الكاثوليك

السلام والبركة الرسولية لحضرة اولادنا الاعزا ارملة وانجال
المرحوم ابي سمرا غانم المحترمين

ورد كتابكم العزيز الناعي الينا وفاة قرينك ووالدكم الشيخ
الجليل ابي سمرا غانم المأسوف عليه فاسفنا كثيراً لفقدكم هذه الجوهرة

الكريمة واقبلنا عليكم بهذه الوجيزة نعلن لكم فيها حقيقة اشتراكنا بمصابكم الجلل مستمطرين على ضريح الفقيد الجليل غيوث الرحمة والرضوان ولا ريب عندنا بانه لم يغمض عينيه عن نور هذه الحياة الا ليفتحها في انوار تلك الحياة الباقية . ولا شك ايضاً بانه ماثل الان امام عرش الرحمة الالهية حيثما يتمتع بجوائز فضله.وفضائله . فقد اشتهر فقيدكم المجيد بالخوف من الله واحترام عقائد الدين القويم كما كان مشهوراً في امتهان العدو في القتال واحتقار الموت في معامع النزال دفاعاً عن العدل والانصاف . فان بكي ابوسمراً فبدموع البرّ والتقوى وان ندب عليه فباسم الشرف والمروءة والشجاعة . نسأل الله ان لا يخيب لهُ رجاء بل ان يجزل نفسه الجزاء فان ملكوت الله ارحب مقيل للابرار واكرم مضيف للابطال فهو اذاً بلا ريب المقام السعيد لنفس فقيدكم المجيد . هذا واذ نطلب من الرب ان يطيل بقاكم من بعده ويعزيكم على فقده نكرر عليكم جميعاً بركتنا الرسولية مراراً في ١٤ اذار سنة ١٨٩٥

بالقاهرة

غريغوريوس البطريرك
الانطاكي والاسكندري
والاورشليمي الخ

مكان الختم

كتاب نيافة السيّد كودنسيو بونفيلي القاصد الرسولي

الى حضرة السيـدة الجليلة تاج ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولادها المحترمين

بعد اهداء حضرتكم البركة الرسولية ووفور الاشواق ورد الينا تحرير حضرتكم الذي به تنعون الينا المرحوم المأسوف عليه قرينكم ووالدكم فتلقينا هذا الخبر بفرط الاسى والكدر لما كان رحمه الله مزدانًا به من مزايا الفضل والاقدام الا انه لما كانت اكبر تعزية للمسيحيين الحقيقيين رجاء الفوز بالحيوة الخالدة بدلًا من هذه الفانية وكنتم حاصلين على هذا الرجاء الوطيد من جهة فقيدكم المشار اليه علمًا بما كان متحليًا به من الفضائل والتقوى المسيحية لم يكن سبيل الى عبارات التعزية من قبلنا بل جلّ ما نسأله تعالى ان يحقق هذا الرجاء بتغمده الفقيد المرحوم بواسع رضوانه وان يجعل هذا المصاب خاتمة احزانكم ويعوض علينا بسلامتكم وحضرة ولدنا كاتب اسرارنا (١) يشترك معنا في ما تقدم وبوافر الاشواق نكرر لحضراتكم بركتنا الرسولية ودمتم

الداعي لحضرتكم

بيروت في ٧ اذار سنة ١٨٩٥ كودنسيو القاصد الرسولي

(١) هو سيادة المطران بولس عواد مطران الناصرة والنائب البطريركي الحالي في بكركي

كتاب سيادة المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت

جناب الاجلاء الاماجد المحترمين الست تاج ارملة المرحوم ابي سمرا غانم والمشائخ اولادها الاحشمين طال بقاؤهم

غب اهداء البركة الالهية ووفور الاشواق لمشاهدتكم على كل خير تلقينا علمكم بوفاة المرحوم المبرور قرينكم ووالدكم اليه تعالى فكنا شركاكم في الاسف اذ فقدنا بفقده اكرم صديق واعز ابن حاسبين فقده خسارة وطنية لما عرفناه من جميل مزاياه وتفانيه في سبيل واجباته في جانب الله ودولته ووطنه شأن المسيحي الحقيقي الأانهُ لمَّا كان ذلك قضاء ربانياً كان من الواجب التسليم لمشيئته الالهية احتساباً للاجرلديه تعالى ولاسيما ان مما يبعث على العزاء ما كان عليه رحمهُ الله من تلك الفضائل المسيحية وما قضاه خصوصاً في اواخر حياته من الاعتكاف على العبادة والتقوى والاستعداد للقاء خالقه كل ذلك يدعونا الى الرجاء بنوال نفسه الطاهرة الراحة السعيدة الموعود بها لامثاله من اولي الصلاح وما ترك من الخلف الصالح فيكم المقتفين اثاره المتخلقين بجميل مزاياه المسيحية نسأل الله ان يحل تلك النفس السعادة الدائمة وان يوليكم جميعاً نعمة الصبر الجميل ويجعل العوض بسلامتكم كافةً ولا

يذيقكم بعد مكروهاً ومن صميم الفؤاد نكرر اهداء البركة الالهية ثانياً

بيروت في ٧ آذار سنة ١٨٩٥ — الداعي لحضرتكم

مكان الختم — يوسف الدبس

مطران بيروت

كتاب سيادة المطران يوسف نجم رئيس اساقفة عكّا
والنائب البطريركي

حضرة السيِّدة الفاضلة تاج ايم المرحوم ابي سمرا غانم وجناب اولادها الاجلاء المحترمين

بعد اهداء منح البركة الالهية والدعاء بسلامتكم وتوفيقكم ورد الينا نعي المرحوم قرينكم ووالدكم الشيخ الجليل فاسفنا لفقده رضوان الله عليه وحسبناه خسارة كبيرة في جنب الطائفة والوطن لما كان متحلياً بهِ من محاسن الصفات ولما لهُ من جليل المآثر التي تخلد ذكره وعليه فاننا نشاطركم عن بعد شواعر الاسى والاسف ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يتغمد نفس الفقيد الكريم بواسع رحمته ويكتب له وافر الاجر والثواب عداد حسناته ومبراته ويؤتيكم نعمة العزاء والسلوان ويجعل العوض بطول بقاؤكم مصونين من كل اذى وعربونًا لذلك

نمنحكم بعاطفة الاكرام البركة الالهية تكرارًا طال بقاؤكم

بكركي في ٧ اذار سنة ١٨٩٥ الداعي لحضرتكم

مكان الختم المطران يوسف

نجم

كتاب سيادة المطران نعمة الله سلوان رئيس اساقفة قبرس

جناب الاجلا الامـاجد المحترمين المشايخ اولاد ابي سمرا غانم الاحشمين اطال الله بقاهم

غب اهداء جنابكم البركة الالهية ووفور الاشواق لمشاهدتكم على كل خير بمزيد الاسف تلقينـا علمكم بوفاة المرحوم والدكم اليه تعالى فكنا في هذا المصاب امثالكم وفي الخسارة شركاكم بل اعددنا فقده رزيئة في جانب الوطن الذي لا ينسى مآثره وجميل مزاياه وتهالكه في خدمة دولته وبلاده الآن ما اعتقدتموه في صلاحه وما عرفنـاه من فضائله المسيحية لا يحتاج معهُ الى ايراد عبارات تعزية بهذا الشان فان ذلك لما يبعث على الرجاء بنواله تلك الحيوة الخالدة المبتغاة منا جميعًا نسأله تعـالى ان يحقق الرجاء بان يبلغ تلك النفس الزكية عن قرب الراحة السعيدة وان يوليكم نعمة الصبر الجميل ويجعلكم خير

خاف لخير سلف وبعضنا بسلامتكم جميعًا املين ان تهدوا بركتنا وتعزيتنا لحضرة ابنتنا السيدة والدتكم المحترمة والله المسئول باطالة بقاكم

قرنة شهوان في ٨ اذار سنة ٩٥ — الداعي لحضرتكم

مكان الختم — نعمة الله سلوان

مطران قبرس

كتاب سيادة المطران اسطفان عواد رئيس اساقفة طرابلس

حضرة اولادنا المشايخ اولاد ابي سمرا غانم المحترمين

غب اهداء حضرتكم البركة الالهية والاشواق الوفية وصل لنا علمكم بوفاة المرحوم والدكم ابوسمرا لرحمته تعالى وقد غمنا فقده وتكديركم ولكن بما ان المرحوم ترك لكم اسمًا شريفًا وسيرة صالحة وانعم الله عليه بالعمر الطويل وبعائلة مباركة فيقتضي الصبر الجميل وانشا الله يكون العوض بسلامتكم وسلامة ابنتنا والدتكم وتكون نفسه بالسعادة الابدية صحبة الصالحين فاننا الان نعزيكم عن بعد وخاطرنا عندكم والبركة لحضرتكم ولحضرة ابنتنا والدتكم ودمتم

كرمسده في ١٢ اذار سنة ١٨٩٥ — الداعي

مكان الختم — اسطفانوس عواد

مطران طرابلس

كتاب سيادة المطران بطرس البستاني رئيس اساقفة صور وصيدا

حضرة ابنتنا السيدة تاج ارملة المرحوم ابي سمرا اغا غانم المحترمة

غب اهداء حضرتكم البركة الالهية قد وصل الينا العلم المحزن بوفاة المرحوم ابن عمكم ابي سمرا اغا غانم الى رحمته تعالى وقد غمنا فقده جدًّا ونسأله تعالى ان يضيف نفسه الى حزب الابرار في السعادة الدائمة ويجعل العوض بسلامتكم وسلامة اولادنا اولادكم . ان المرحوم قد ترك اثارًا كثيرة ممدوحة دينية وزمنية فيها لاهله ومحبيه سلوى عظيمة. ولاسيما لاتمام ايامه بالاستعداد الكامل من كل وجه فتسلوا واجروا الله لتؤجروا والبركة الالهية تشمل حضرتكم وعائلتكم المباركة تكرارًا

صور في ١٣ اذار سنة ١٨٩٥ الحقير بطرس

مكان الختم البستاني مطران

صور وصيدا

كتاب سيادة المطران جرمانس الشمالي رئيس اساقفة حلب

حضرة ابنتنا المحتشمة السيّدة تاج ارملة المرحوم ابي سمرا غانم وانجالها المحترمين حرسهم المولى

غب اهداء حضرتكم البركة الالهية وتعزية كريم خاطركم اخذنا

بايدي الاسف وتلونا ما سطره معروضكم بوفاة من كان عماد عصره وشجعان دهره شيخ عائلتكم الكريمـة المرحوم ابي سمرا غانم وقد كان نعيه الينا من الامور المفجعة لعلمنا ان بفقده فقد الوطن انسانًا غريبًا بشجاعته ونادرًا بغيرتهِ كريم الاخلاق حميد المآثر من كان غديرًا لروضة الفضائل وهمامًا تحل لفطنته عقد المشاكل. غير ان الذي يعزي الخواطر هو سفرته من هذه الغربة الى احضان ابراهيم في حين تقدمة الذبيحة الالهية نائلًا بذلك الحظ الاعلى والنصيب الاغلى فلا شك ان هذا دليلًا على حسن استعداده للقاء باريه وقد اظهر بذلك انهُ رجلًا شجاعًا بحيوته وموته اذ انَّهُ لم يخف الموت بل اقبل على شرب كاسهِ وهو مزوَّد زاد الاتقياء الابرار ولهذا عند قراءتنا ختام اسطر منعاه هبَّ علينا نسيم التعزية وتنشقنا ارج البشرى ان عزيزنا المتوفي نال الجنة السموية مع زمرة الصديقين في الغرف العلوَّية ولم يعد علينـا سوى ان نسألهُ تعالى ان يتغمد الفقيد برحمته ويعوضنـا باطالة عمرك وبقاء انجالك مفيضًا التعزية والسلوى على لفيفكم المبارك هذا فيما اننا نكرر واجبات التعزية مع اهداكم البركة الالهية ثانيًا

حلب في ١٥ آذار سنة ١٨٩٥ — الداعي لحضرتكم

مكان الختم — جرمانس الشمالي

مطران حلب

كتاب سيادة المطران بولس مسعد رئيس اساقفة دمشق

حضرة السيدة الفاضلة تاج ارملة المرحوم الشيخ ابي سمرا غانم وجناب المشايخ اولادها الاجلاء المحترمين

غب اهداء منح البركة الالهية بوافر الاشواق الى مشاهدة جميعكم على افضل خير ورد الينا نعي المرحوم قرينكم ووالدكم فاثار بنا دواعي الكابة والاسى وهاج عواطف الكدر والاسف لانكسار خاطركم وفقدكم به قرينًا وابًا متحليًا باحسن المناقب والخلال واسنى المزايا والصفات ولما كان عليه رحمه الله من اباءة النفس وشهامتها ونبالة المقاصد وخطارتها ومن المكانة وسمو المنزلة عند الداني والقاصي وجميع مواطنيه ومعارفه: بيد انه لما كان الموت قضاءً الهيًا محتومًا به على كل ذي بشر ولا مناص لاحد منهُ ولا مفر وكان الفقيد الكريم عاش عيشةً راضيةً وتزود من دنياه خير زاد للاخرة مأمولنا بحسن تقواكم وتعقلكم ان تقابلوا هذا الخطب الفادح والمصاب الجارح بالصبر الجميل والانقياد التام لاحكام الله القدوسة. هذا وفيما اننا نشاطركم الاشجان ونساهمكم الاسف والاحزان نسأله تعالى باحرّ الدعوات ان يوليكم كافةً نعم التأسية والسلوان ويبرد جمرة احزانكم ويجعل العوض بسلامة جميعكم ولا يريكم من بعد اذًى ومكروهًا بمنه ولطفه طال بقاؤكم

عشقوت في ١٨ اذار سنة ١٨٩٥ — الداعي بولس

مكان الختم — مسعد مطران دمشق

كتاب سيادة المطران باسيليوس حجّار رئيس اساقفة صيدا ودير القمر على الروم الكاثوليك

حضرة ابنتنا الست المصونة ارملة المرحوم ابي سمرا وانجالها

المحترمين حفظهم تعالى

نهديكم بركتنا الرسولية ونسأل عن احوالكم ثم اقتبلنا بيوم تاريخه عزيز تحريركم المعبي بانتقال المرحوم ابي سمرا لرحمته تعالى فله الراحة ولكم طول البقاء ونحن نظرًا الينا قد تكدرنا للغاية من هذة الفاجعة لان المرحوم لهُ افضال عمومية على البعيد والقريب وعليه ان العموم شملهم كدر عظيم لفقدهِ حيث الوطن كان يفتخر بهكذا ذات ممتاز في القضاء ومن ثم كما ان خبره كان عموميًا فكدر فقده عم الكبير والصغير وليس لنا ولكم تعزية الان نفسه الصالحة نالت سعادة ربها التي لاجلها خلقنا ووجدنا في هذا العالم فله الراحة ولجميعكم طول البقاء فايضاحًا لاشتراكنا باكدارکم سطرنا هذه الوجيزة طالبين من الحق سبحانه لنفسه الراحة ولكم اجمع طول البقاء مكررين على جميعكم افرادًا واجمالًا البركة والدعاء

عن صيدا تحريرًا في ١٩ اذار سنة ١٨٩٥ | الداعي باسيليوس

مكان الختم | مطران صيدا ودير القمر وما يليهما

كتاب سيادة المطران بطرس الجريجيري رئيس اساقفة بانياس وتوابعها (١)

حضرة الست المحترمة ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولادها الاعزاء

وصلنا البارح نعيكم لنا المرحوم المأسوف عليه عمادكم وشيخكم (مع ان تاريخ النعي ١٥ الجاري) فنحن كنّا قد سمعنا بوفاة الفقيد وتذكرنا ايام شهامته وشجاعته وعزه واسفنا عليه جداً وشاركناكم بحزنكم وكان الواجب ان نبادر الى تعزيتكم لولا ان تلك المبادرة الى الكتابة منافية الى عادتنا وهي اننا لا نفتح مخابرة مع احد الا بشغل ولا نكتب الى ان يكتب لنا اولاً وهذا التصرف اضطرتنا اليهِ وفرة اشغالنا ومراسلاتنا حال كون لا كاتب عندنا فاعذروا قصورنا المسبب عن مبداء في اعمالنا وقد سألنا للفقيد الرحمة والرضوان من لدن ابي الانوار ولك ايتها السيّدة الجليلة ولانجالك الاشبال التعزية والسلوى وعليكم الا تحزنوا كما يحزن باقي الناس الذين لا رجاء لهم ونحن مستعدون لما يلزم من الخدم عوضنا الله بسلامة المحروسين ايتها الست المكرمة واقر عينك بهم هذا ونهديك مع شعائر الاسى المشترك سلامنا وبركتنا الرسولية

من جديده مرجعيون في ٢٢ آذار ٩٥ بطرس مطران
بانياس وتوابعها

(١) غبطة بطريرك الروم الكاثوليك السابق

رسالة سيادة المطران الياس الحويّك رئيس اساقفة عرقا والنائب البطريركي (١)

جناب كريم الشيم الاجل الماجد المحترم يوسف افندي ابي سمرا غانم اطال الله كريم بقاءهُ

بعد اهداء جنابكم منح البركة الالهية بفرط الاشواق لمقابلتكم الرضية بكل خير. تلقينا بمزيد الاسف علم حضرتكم لنا بوفاة المرحوم والدكم لرحمته تعالى وشاطرناكم الحزن لفقده وانكسار خاطركم بهِ اذ ان المرحوم كان من مشاهير رجال الوطن الذين امتازوا بالهمة والحماسة والاقدام وكرم الاخلاق الا ان من موجبات العزاء لنا ان الفقيد العزيز قد انقطع في اخر حياته لعبادة الله ولممارسة الاعمال التقوية المبرورة التي اكسبته شهرةً لا تقل في شيء عن التي حازها باقدامه وبسالته وذكرًا حسنًا لا يمحوه كرور الايام واهلته لنوال الاجر والثواب في الاخرة فيكون قد انتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية وذهب لملاقاة ربهِ باعمال تؤهلهُ لسماع كلام الرب القائل : تعال يا عبدًا امينًا ادخل فرح سيدك. فنسأله تعالى جل جلاله ان يحل نفس المرحوم الزكية في الاخدار السماوية صحبة ابراره واصفيائه وان يسكب على

(١) غبطة بطريرك الموارنة الحالي

قلبكم وقلوب سائر اهلكم نعمة الصبر والعزاء الجميل وان يقيكم من كل مكروه ومن صميم الفؤاد نكرر اهداء جنابكم منح البركة الالهية وطال كريم بقائكم

عن رومية العظمى في ١٥ نيسان سنة ١٨٩٥ · الداعي لجنابكم

مكان الختم · المطران الياس الحويك

النائب البطريركي

كتاب وكيل غبطة بطريرك السريان

الشرفه في ١٢ حزيران سنة ١٨٩٥

حضرة الست الكريمة والشريفة ارملة المرحوم ابي سمرا غانم وحضرة اولادها الاجلاء الافاضل صانهم المولى

بعد افتقاد شريف خاطركم واستمطار البركات السماوية عليكم جميعاً انني بالنيابة عن سيدى الجليل ماراغناطيوس بهنام بني البطريرك السرياني الانطاكي ارفع عريضة التعزية بما حصل لكم من كسر الخاطر بتوفي الشيخ الجليل والبطل الباسل ذي الهمة والفضل المرحوم ابي سمرا الطائر الصيت اعزكم الله وعزاكم وخولكم الصبر الجميل ومنحكم التسلية في هذا المصاب العظيم واسكنه جنان الملكوت وتغمده الاله بالرحمة والرضوان اسألهُ تعالى ان يهبكم صبراً جميلاً ويعوضكم عنهُ عوضاً

جزيلًا ويكون هذا الخطب الاليم خاتمة لاحزانكم واطال المولى بقاكم

كاتبه الخورفسقفوس (١)

بولس هبرا رئيس مدرسة الشرفه

كتاب الاب اسطفانوس كليره رئيس رسالة الاباء اليسوعيين في سوريا الى الاب سليمان ابي سمرا غانم اليسوعي

Beyrouth, 3 Mars 1895.

Mon Révérend et cher Père S. Ghanem P. C.

Votre Frère Joseph nous a appris hier que le bon Dieu venait de rappeler à lui votre vénérable Père. Il est allé recevoir au ciel la récompense des vertus qu'il a pratiquées sur la terre durant une longue carrière bien remplie.

Je ne l'ai pas connu; mais depuis que je suis en Syrie, j'ai bien souvent entendu parler de lui comme d'un modèle du patriarche chrétien. Aussi ses enfants, fidèles à ses leçons et à ses exemples, se montrent dignes de lui par leur conduite et leur vie chrétienne. Ce n'a pas été au bon vieillard, à ses derniers moments, la moins douce de ses consolations, que de pouvoir se dire qu'il avait consacré au service du bon Dieu plusieurs des enfants qu'il lui avait donnés. Il savait bien que Dieu ne se laisse pas vaincre en générosité.

Il a été recommandé aux prières de la communauté; et plusieurs d'entre nous rappellent qu'ils l'avaient vu

(١) سيادة المطران غريغوريوس بطرس هبرا رئيس اساقفة الموصل الحالي

ici dans deux circonstances importantes de votre vie réligieuse, à votre première messe et à vos derniers vœux . . .!!

Je suis en union de vos SS. SS., Mon révérend et cher Père.

Votre devoué serviteur en N. S.
E. Clairet S. J.

وهذه ترجمته :

بيروت في ٣ اذار سنة ١٨٩٥

ابت الجليل والعزيز سليمان غانم : السلامُ بالربّ

ان اخاك يوسف نعى الينا امس وفاة والدكم الجليل الى رحمة الله وقد مضى لينال في السماءِ جزاء الفضائل التي مارسها على الارض في حياته الطويلة المملوءة اعمالاً صالحة

لم اعرف الفقيد ولكني منذ جئت سوريا سمعتهم مراراً يتكلمون عنه كمثال الشيخ المسيحي . وهكذا فان اولاده عملاً بتعاليمه يقتفون اثره بسلوكهم الحسن وعيشتهم المسيحية وقد كان اكبر تعزية لهذا الشيخ الجليل في اخر اوقاته افتكاره بانه قدم لخدمة الله كثيرين من اولاده الذين منحه اياهم . وكان يعرف بان الله لا يكون اقل منه كرماً

وقد طلبت له صلوات جمهور ابناء رهبانيتنا وكثير منا يتذكرن انهم شاهدوه في ظرفين مهمين من ظروف حياتك الرهبانية اعني عند احتفالك باول قداسك ووقت نذورك الاخيرة . . .

انا متحد معك في الذبيحة المقدسة

خادمك المخلص بالرب يسوع

ا. كليره اليسوعي

كتاب حضرة القس يوسف دريان كاتب اسرار البطريركية المارونية(١)

حضرة السيّدة الجليلة تاج ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولادها الاجلاء المحترمين

غب افتقاد خاطركم اننا بمزيد الاسف قد تلقينا نعي المرحوم المبرور قرينك ووالدكم فشاطرنا كم فرط الاسى عليه وسألناه تعالى ان يتغمده بواسع رحمته وعميم عفوه ورضوانه ويمتعه بالسعادة الخالدة في صحبة اوليائه البررة جزاء احساناته الكثيرة وقد علم الملا اجمع بما كان عليه رحمه الله من حسن الصفات الكريمة وما له من الاعمال الشريفة في جنب الدين والوطن حتى اشتهر ببطل البلاد وذهب اسمه الكريم مذهب المثل فلا غرو اذا شمل الاسى والاسف عليه كل الارجاء وانتم ادرى الناس بما في ذلك من اسباب التعزية لقلوبكم الكسيرة على فقده لانهُ لم يزل حيًّا هنا بذكره الحميد وهو اذا شاء الله حيّ في السماء ايضًا التي استحقها باعماله الحسنة حسب المواعيد الانجيلية

---

(١) سيادة المطران يوسف دريان مطران طرسوس والنائب البطريركي الحالي

فاستقبلوا اذًا هذا المصاب بما عرفتم بهِ من سعة الصدر وعواطف التقوى عملًا بقول الرسول ان الذين يرقدون بالرب لا ينبغي ان يحزن عليهم كسائر الناس الذين لا رجاء لهم والله نسأل ان يؤتيكم نعمة الصبر والعزاء ويجعل العوض بسلامتكم مطيلًا كريم بقائكم بعده خلوًا من الاكدار بمنه وكرمه

بكركي في ١٣ آذار سنة ١٨٩٥ الداعي لحضرتكم

القس يوسف دريان

كاتب اسرار البطريرك المارونيّة

رسالة الخوري بولس بصبوص النائب البطريركي الماروني في باريز(١)

باريز في ٥ نيسان سنة ١٨٩٥

حضرة السيّدة الكريمة ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولادها الاماجد اطال الله بقاؤهم

بعد افتقاد كريم خاطركم ان نبأ وفاة المرحوم قرينكم ووالدكم قد صرع الفؤاد لما الم بكم من الغم والكدر من جرى فقد المرحوم فشاطرناكم الحزن عليه على ان من تسامى بالفضل مثل حضراتكم عرف ان يقبل بالتسليم لمشيئة الله مصابه وان يذعن لقضائه تعالى الذي لامرد له ولاسيا ما كان عليه المرحوم من صلاح السيرة وحسن الصفات فهذا شأنه ان يولينا التعزية والرجاء الوطيد بان

(١) سيادة المطران بولس بصبوص مطران صور وصيدا الحالي

الله قد نقله من هذه الحياة الفانية ليثيبه في الحياة الخالدة مقر الصالحين اسأله تعالى وهو خير مسؤول ان يعوضنا بسلامة جميعكم وان يسكب عليكم غيث تعزياته السماوية وهو السميع المجيب وكنت اود ان ترسلوا ترجمة حياته في اللغة الفرنساوية لاجل نشرها في بعض الجرائد اشهارًا لفضلهِ وتخليدًا لذكرهِ ولو انهُ خالد وحيٌّ بحضراتكم اطال الله بقاكم

الداعي لحضرتكم
الخوري بولس بصبوص
النائب البطريركي الماروني
في باريز

رسالة قدس الاب مبارك المتيني اب عام الرهبنة البلدية المارونية

جناب كريم الشيم يوسف افندي ابي سمرا المحترم طال كريم بقاه

غب مزيد الوجد لمقابلتكم وافتقاد خاطركم حظينا بتحريركم وقد كدرنا جدًا خبر وفاة المرحوم والدكم لاننا من العارفين والمعترفين بفضلهِ والغيرة التي كانت لهُ على مصالح الطائفة ولا شك ان بفقدهِ فقد الوطن والطائفة ذخيرة ثمينة وعزيزة ومن ثم ترونا وكثيرين ايضًا نشاطركم احزانكم على هذه الخسارة فنسألهُ تعالى ان يتغمد نفسه البارة باخدارهِ السماوية ويولي جنابكم وسائر العائلة الصبر الجميل

هذا وقد قدمنا عن نفس المرحوم عشرين قدّاساً وأوصينا بالصلاة عن نفسه وكلفنا حضرة الاب اغناطيوس التنوري ان ينوب عنّا بواجب التعزية لجنابكم مكرّرين الدعاء بتسلية خاطركم واطال كريم بقائكم منزهين عن كل كدر

الداعي لجنابكم
مبارك المتيني
اب عام لبناني

في ٧ اذار سنة ١٨٩٥

(مكان الختم)

وسالة قدس الاب سابا دريان عشقوتي رئيس عام الرهبنة الحلبية المارونية

جناب الاجلاء الاماجد الست المصونة ارملة ابي سمرا غانم واولادها المحترمين طال بقاؤهم

غب اهداء جنابكم ما وجب ولاق وافتقاد خاطركم والسؤال عن غالي سلامتكم لقد طالعنا بملء الاسف رقيم جنابكم المنبئ بوفاة عمادكم الباسل العزوم المأسوف عليه ابي سمرا اغا غانم الذي احدثت منيته تأثيراً عظيماً في فوادنا من الحزن والكدر نظراً لما كان عليه رحمه الله من عراقة الاخلاق والتقى والشجاعة والمروءة فبالحقيقة ان فقده لهو خسارة عظيمة ولكن التأسي لرب الجلال والرضوخ والتسليم الواجب لاحكام عزته الصمدانية قد يخفف وقع المصاب فعليه نهديكم ولحضرة والدتكم الجليلة المحترمة عواطف العزاء ونسأله تعالى ان يتغمده

برحمته ورضوانه ويمتع نفسه المباركة في سعادة الاخدار السماوية ويهبكم ولها صبراً وسلواناً على فقده ويجعل هذه النازلة خاتمة احزانكم وبياناً لما استولى علينا من الاسف وجب رقمه آملين دوام مواصلتنا ببشائر انشراحكم وطال بقاؤكم

عن اللوزية في ٨ اذار سنة ١٨٩٥ الداعي لحضرتكم
مكان الختم سابا عشقوتي
اب عام حلبي لبناني

رسالة قدس الأب سمعان بلوني اب عام الرهبنة الانطونيانية المارونية

حضرة الست ارملة المرحوم ابي سمرا غانم واولادها المحترمين طال بقاؤهم

بعد اداء الواجبات بالغم والاسف الكلي تلونا تحريركم الوارد الينا المعلن توفي الشيخ الجليل والفارس المغوار كبيركم وعمادكم المرحوم ابي سمرا غانم وكان اسفنا هذا اولاً لفقد شخص جليل سجاياه فريدة ومزاياه حميدة وخسارة رجل من رجال الغيرة والفضل ثانياً لانكسار خاطركم بفقده ولكن بما ان كاس الموت لا بد لكل انسان ان يتجرعه لانه حُتم من عزته تعالى على الجميع ان يموتوا فيقتضي التسليم لمشيئته القدوسة ولنا الرجاء بمراحمه تعالى ان يؤتيكم عزاء وسلواناً على هذه

الفاجعة التي أُنشاطركم بها اسفاً وتقدم الرجاء لعزته تعالى جل جلاله مع الصلوات والابتهالات لكي تبلغ نفس هذا الفقيد مقرّ الراحة جزاء عيشته الصالحة وغيرته وماثره المشكورة وفي الختام نسأل الله ان يجعل هذا المصاب خاتمة احزانكم مكررين الدعاء باطالة كريم بقائكم

مكان الختم الداعي لحضرتكم

مار روكز ظهر الحسين في ٩ اذار سنة ١٨٩٥ سمعان بلوني

اب عام انطونياني

رسالة حضرة الخوري شكرالله خوري رئيس المرسلين اللبنانيين

جناب الاجل الامجد يوسف افندي ابي سمرا غانم المحترم دام بقاؤه

بعد سوال خاطركم والشوق الوافر الى مشاهدتكم المانوسة على كل خير اعرض ان جريدة البشير وافتنا هذه المرة الاخيرة بخبر ارتجّ لهولهِ الفؤاد ألا وهو نعي المرحوم المأسوف عليه والدكم من خدم الوطن خدمات جلّى فاكتسب لذويهِ فخرًا ولنفسهِ ذكرًا لا تمحوهُ الايام اذ انَّهُ تقحم الاخطـار العديدة حبًّا بصالح البلاد فحق لعموم بلادنا ان ياسف عليه فضلًا عن مواطنيه ومعارفه الذين زاد في حزنهم علمهم ما الم بكم من الم هذا المصاب فنحن اذًا جديرون بان نعزى نظيركم ولكن فقيدنا قد سبق فاعد لنا التعزية قبل انتقـاله اذ انَّهُ

بسيرته الفاضلة التي عرف ان يؤلف فيها بين عظائم الدين والدنيا يؤملنا
بان نفسه قد انتقلت الى الاخدار السموية لتلاقي هنـاك من الجزاء
ما لم تنلهُ من الناس فهذا ما شأنهِ ان يلطف مرارة هذا الحزن والله
المسئول ان يهبكم العزاء ويقيكم من كل مصيبة وكدر بمنه وكرمه هذا
واتقدم بمثل ذلك الى حضرة الاب المفضال اخيكم والى العزيز ابرهيم
وسائر ذويكم واطال المولى بقاكم خلواً من كل كدر الداعي لجنابكم
دير الكريم في ١١ اذار سنة ١٨٩٥ الخوري شكرالله خوري
مرسل لبناني

كتاب سيادة الايكونوموس الخوري يوسف الكفوري اب عام
رهبنة مار يوحنا الشوير ق ب

حضرة الست الجليلة ارملة المرحوم ابي سمرا غانم وانجالها المحترمين
ادام الله تعالى بقاهم

غب الدعـاء بدوام سلامتكم وافتقاد كريم خاطركم اننا بمزيد
الاسف وفرط الغم والكدر تبلغنا في ٤ الجاري الفاجعة التي حلت
بساحه تعالى بفقد المرحوم قرينكم ووالدكم وعلى الحقيقة ايهـا الابناء
انها لمصيبة عظمى شاركناكم فيها بالحزن كيف لا وقد فقدنا واياكم
عماداً وركناً وسنداً عظيماً سيما عند تذكرنا ما للفقيد المبرور من

الصفات الحميدة والخصال الفريدة والمآثر الممتازة ويحق لنا ولكم ان ندب هذه الخسارة ونبكيها دائمًا اجل ان المرحوم عاش عمرًا كاملًا كريمًا بين ظهراني قومه متميزًا عنهم بالخلال الممدوحة ومات ميتة صالحة مثالًا للسلف والخلف وهذا لنا ولكم اكبر تعزية وقد كنا نود ان نتوجه اليكم للقيام بفروض التعزية شفاهًا الّا ان بعد المسافة يحول دون المأمول نظرًا لعجزنا اقتضى ان نوجه نيابة عنا الخوري فيلبس سيقلي من متقدمي رهبنتنا لسؤال خاطركم وايفاء واجب التعزية لحضرتكم فيرجع يطمنا عن صحتكم . راجين من كرمه تعالى ان يمتع نفس الفقيد في ملكوت سمائهِ كما تستحق سيرة حيوته ويهبكم نعمة الصبر ويرطب قلوبكم بندى تعزياته الالهية ويعوضنا بدوام سلامتكم وسلامة لفيف عائلتكم المباركة مكررين الدعاء بدوام بقاؤكم

الداعي لحضرتكم

مكان الختم   الخوري يوسف كفوري

اب عام رهبنية مار يوحنا الشوير

عن دير مار يوحنا الشوير في ١٨ اذار سنة ١٨٩٥

كتاب قدس الاب ل. مرتين رئيس عام اليسوعيين الاكبر

Madame,

J'ai reçu la lettre que vous avez bien voulu m'écrire et dont le contenu m'a si profondément touché. La perte que vous venez de faire est immense, et le vide creux

autour de vous est de ceux qui ne se comblent pas. Veuillez être assurée, Madame, que je prends part à votre deuil et que mes regrets unis aux regrets de toute la famille, accompagnent par de là le temps celui que Dieu, dans un dessin de miséricorde, a ravi à votre affection. Il voulait enfin couronner une vie consacrée tout entière à son service et devouée aux plus saintes causes, une vie foncièrement chrétienne, une vie de sacrifice et d'héroisme.

Cette pensée est consolante; c'est la seule qui puisse adoucir les amertumes de la séparation.

Je termine en vous accordant de grand cœur la bénédiction que vous demandez pour vous et pour vos enfants.

Dignez agréer, Madame, l'hommage de mes sentiments les plus respectueux et de mon dévoûment en Notre Seigneur.

Votre humble serviteur en J. C.

L. Martin S. J.

Rome. 11 Mai 1895.

Madame Tage Veuve Abou Samra Ghanem
à Békassine par Beyrouth (Liban).

وهذه ترجمتهُ :

ايتها السيّدة

وصلني تحريرك وساءني مضمونه جدًّا فان الخسارة التي المت بك هي بليغة وغير قابلة العوض فثقي ايتها السيدة باني اشاركك في حزنك وان اسفي مع اسف العائلة يرافق الى امد طويل ذلك الذي شاءت المراحم الالهية ان تنقله من بينكم لتكلّل اخيرًا حياة تقضت باجمعها في خدمته تعالى وفي فعل الاعمال الصالحة حياة مسيحية مملوءة

فضائل وبسالة . فهذا الفكر يعزينا ومن شأنه ان يلطف مرارة الفراق

وفي الختام امنحك من صميم القلب البركة التي تطلبينها لك ولاودك

تكرمي ايتها السيّدة واقبلي فائق اعتباري واخلاصي بالرب يسوع

رومية في ١١ ايار سنة ١٨٩٥ خادمك المتواضع بيسوع المسيح

ل . مارتين

اليسوعي

حضرة السيّدة تاج ارملة ابي سمرا غانم المحترمة

بكاسين طريق بيروت لبنان

كتاب حضرة الاب بطرس رولو رئيس اقليم ليون اليسوعي

St. Etienne 13 mai 1895.

Madame,

Une longue absence ne m'a pas permis de repondre plutôt à la lettre par laquelle vous avez bien voulu me faire part du deuil cruel qui vous a frappée. Je vous remercie vivement de cette délicate attention et de tout cœur j'unis mes prières aux votres pour l'âme de votre regretté et toujours cher défunt.

En lisant votre lettre je me demandais si ce vaillant chrétien avait besoin de mes prières et s'il n'était pas plutôt à même d'intérceder pour nous. Une vie

tout entière de fidélité et de devouement aux plus nobles causes n'est-ce pas le gage le plus certain que nous puissions avoir ici bas de la récompense que lui a décerner le Juste Juge ? C'est là, Madame, un motif bien puissant de consolation au milieu de votre deuil.

Du haut du ciel votre vénéré mari sera plus puissant qu'il ne l'était sur la terre pour protéger sa nombreuse et si chrétienne famille. Il lui obtiendra surtout de conserver ces sentiments de foi et de loyauté, qui font sa gloire et son bonheur.

Veuillez agréer, Madame, pour vous et pour toute votre famille, l'expression de mes sentiments respectueusement devoués en N. S.

P. Roulleau S. J.

Madame Tage Vve Abou Samra Ghanem

Békassine par Beyrouth, Liban.

ترجمتهُ :

سان اتيان (فرنسا) ١٣ ايار ١٨٩٥

ايتها السيّدة

ان غيبة طويلة لم تسمح لي ان اجاوب قبل الان على الكتاب الذي شئت ان تعلميني فيه بالمصـاب الاليم الذي نزل بك فاني من كل قلبي اشترك معكِ بالصلاة من اجل فقيدكِ العزيز والمأسوف عليهِ

واني سألت نفسي عند قراءتي كتابكِ عمّا اذا كان هذا المسيحي البـاسـل هو بحاجة الى صلواتي واذا لم يكن الاولى بهِ ان يشفع هو

بنا . أليست حياته المملوءَة أمانةً وغيرةً على أشرف الأعمال هي البرهان الأكيد لنا على نواله الجزاء الذي أعدَّهُ لهُ الديان العادل ؟ فهذا ما يدعو الى تعزيتكم وتخفيف اشجانكم

انَّ قرينكِ المحترم سيكون في اعلى السماء اوفر قدرةً ممَّا كان على الارض ليحمي عائلته الكبيرة المسيحية وينال لها بالاخصّ ان تحفظ شعائر الايمان والاستقامة التي كانت فخره وسعادته

فتفضلي ايتها السيدة الى قبول حاسات احتراماتي الخلوصة بالرب يسوع لك ولعائلتك

ب رولو

اليسوعي

حضرة السيِّدة تاج ارملة ابي سمرا غانم

بكاسين طريق بيروت لبنان

بعد طبع ما تقدَّم من رسائل التعازي عثرنا على الكتاب الذي تفضل به سيادة المطران يوحنا مراد رئيس اساقفة بعلبك وهذا نصه :

حضرة السيدة تاج أيمّ المرحوم ابي سمرا غانم وجناب انجالها الكرام الاجلاء المحترمين

امَّا بعد اهداء منح البركة الالهية فاننا بمزيد الاسف تلقينا

نعي المرحوم قرينكم ووالدكم الى رحمة الله فكدرنا وقع هذا المصاب الاليم خصوصاً وان الخسارة جسيمة والفقيد الكريم عزيز علينا وعلى الوطن بالنظر الى ما عرف بهِ من التديُّن والمروَّة والشهامة الى غير ذلك من الصفات التي اهلتهُ رحمهُ الله رحمةً واسعة الى مراتب قد خدم بها الحكومة الجليلة والوطن العزيز فاكسبهُ ذلك رضى اولياء الامور وثناء العموم فنسأل الحقّ سبحانهُ وتعالى ان يتغمَّد نفس الفقيد بواسع رحمتهِ ورضوانهِ ويمتعهُ بالسعادة الخالدة في الاخدار السمويَّة

واماً مصابكم فانهُ أَليم وتأبى الطبيعة البشريَّة اذا تُركت وشأنها احتماله لكن من كان مثلكم عالماً بان هذه الفاجعة لا يُوسف عليها بالنظر الى السعادة الخالدة التي يرقد المؤمنون على رجائها وان ليس في يد المرء من دنياهُ شيئاً سواء طالت ايّامهُ بها او قصرت وان الذين يرقدون بالربّ كما رقد المأسوف عليه فقيدكم لا يجب ان يحزن عليهم كما قال رسول الامم فهذا العلم بل الاعتقاد يدرأ عنكم سهم المصاب ويخفف وطأة الحزن ويرشدكم الى التسليم لمشيئة الله القدوسة والانقياد لاحكامهِ الصمدانية بتمام الطواعية والرضى هذا وبما انهُ تعذَّر علينا الحضور لتعزية خواطركم الكسيرة وللصلوة عن نفس الفقيد اجترأنا بتأسيتكم بكتابنا هذا واماً الفرض الثاني فنحن نفيهِ برفع الصلوات الحارَّة اليهِ عزَّ وعلا في ان يحلّ نفسه محل البررة الصالحين وفي الختام نسأل الله ان يبرد جمرة احزانكم ويلطف

اشجانكم مكرّرين اهداء جميعكم منح البركة الالهية طال بقاؤكم خلوًا من الاكدار

عرمون (كسروان) في ١٣ اذار ١٨٩٥ الداعي لحضرتكم

مكان الختم يوحنّا مراد مطران

بعلبك

وقد وردت كتب التعازي من نواب بطريرك الموارنة في دمشق الشام والقدس الشريف والاسكندرية ومن اباء الرسالات المارونية في انحاء اميركا ومن كافة روساء اديار الرهبنات المارونية في لبنان ومن روساء المدارس المارونية ومن عدد كبير من كهنة الطوائف الكاثوليكية في انحاء مختلفة ومن كثيرين من رهبان وكهنة الافرنج في سوريا وغيرها ومن امراء ومشائخ واعيان وعامة البلاد ومن قرى عديدة يضيق المقام عن نشرها

كما اننا ايضًا نكتفي عن تدوين اقوال الجرائد السورية والمصرية والاميركية بالالماع اليها والقول بانها اجادت في بيان عظم منزلة الفقيد راثية فيه بطلًا من ابطال لبنان المشاهير

وهذه اسماء السادات الذين لا يسمح المقام بنشر رسائلهم :

غبطة السيد لودوفيكس بياقي البطريرك الاورشليمي اللاتيني في القدس الشريف

سيادة المطران يوسف عمانويل مطران سعرد (والبطريرك الحالي على الكلدان)

سيادة المطران بولس مسديه مطران طرابلس والنائب البطريركي على الروم الكاثوليك في دمشق الشام

سيادة المطران انطون قندلفت النائب البطريركي على السريان في بيروت

سيادة المطران قورلس بولس دانيال النائب البطريركي العام على ابرشية الموصل السريانية

سيادة المطران جبرائيل يوسف آدمو رئيس اساقفة كركوك وما يليها

سيادة المطران يعقوب نخائيل نعمو مطران البصره والنائب البطريركي على الكلدان في بغداد

سيادة المطران مارونا بطرس طوبال النائب البطريركي على السريان في ديار بكر

سيادة المطران غريغوريوس جرجس شاهين رئيس اساقفة حمص وحماه وتوابعها على السريان

سيادة المطران تيموتاوس رئيس اساقفة زاخو والعماديه على الكلدان الكاثوليك

سيادة المطران كيوركيس كوكا الكلداني رئيس اساقفة سنا (العجم)

المراثي

قال احد الافاضل ي . ك .

رثاء البطل الباسل والفارس المغوار المذكور بطيب المآثر وغرّ الآثار المرحوم ابي سمرا غانم اللبناني اجزل الله ثوابه في مقرّ الابرار

دهتِ البلاد ملمةٌ دهماءُ　　وعرا الشجاعة خلةٌ وعياءُ
واسودَّ افق القطر بعد بياضه　　وكسا صباح المكرمات مساءُ
واندكَّ ركن البأس فارتاع الورى　　وتزلزلت لسقوطه العلياءُ
اخذت بهم غصص التفجع والاسى　　وتحكمت بحماهمُ الارزاءُ
والبين بتَّ وصالهم فتفرَّقت　　انواؤهم وتساظمت برحاءُ
وعصى التأسي واسبطرَّ تلهفًا　　وذكت بنيران الغضا الاحشاءُ
ادهى الكسوف الشمس رائعة الضحى　　فعلا النهار دجنةٌ ظلماءُ
أعرَا الخسوف البدر عند تمامه　　فتعطلت من حليها الجوزاءُ
فخواطر خطرت على أسل الجوى　　ونواظر فيها الدموع دماءُ
وجوانح جنحت لترديد الاسى　　ومرائر ضاقت بها الصعداءُ
حملت على حامي الذمار منيةٌ　　عزَّ النصير لها فخاب رجاءُ
واصيب لبنان به فتصعصعت　　راياتهُ والصعدة السمراءُ

ألفت اباها غانمًا ملك العلى ‏ ‏ ‏ فغدت ينازعها جوًى وشقاءُ

ياموتُ لم تقدح زنادك غيلةً ‏ ‏ ‏ الا بمن عزّت لهُ النظراءُ

شُأّت يمينك كيف صُلت على ابي م ‏ ‏ ‏ سمرا الذي صالت به الوجهاءُ

افلم تهب سطواته ونصالهُ ‏ ‏ ‏ او لم ترعك الهمة الشماءُ

عهدي به يلقى المقانب ضاحكًا ‏ ‏ ‏ والحرب دامية بها الاشواءُ

اودى بهِ صرف الحمام وطالما ‏ ‏ ‏ مادت لشدّة بأسهِ الهيجاءُ

سانور وادي التيم وادي القرن را م ‏ ‏ ‏ شيًا لهُ في ساحها انباءُ

بربى طرابلسٍ وبيروتٍ موا م ‏ ‏ ‏ قعهُ تغنّت وصفها الشعراءُ

ولهُ بجونيةٍ فعائل ماجدٍ ‏ ‏ ‏ للمجد منها حُلّة ورداءُ

وبقتل (مجهرَ) في البراز تخاذلت ‏ ‏ ‏ خصماؤهُ وتشتت الاعداءُ

بجبيل والبترون شهرة بطشهِ ‏ ‏ ‏ لبنان فيها هازجٌ حدّاءُ

ولهُ بعيناتا ومجدل عنجرٍ ‏ ‏ ‏ نصرٌ على الاوطان منه سناءُ

ولهُ بجزين وفي الانحاء من ‏ ‏ ‏ سهل البقاع مآثرٌ غرّاءُ

نالت بكاسين الفخار بمثله ‏ ‏ ‏ بطلًا تعظم قدره العظماءُ

ولهُ بظل الملك خدمة ناصحٍ ‏ ‏ ‏ شهدت لها الامراءُ والوزراءُ

وسوى الذي قلنا عداد وقائعٍ ‏ ‏ ‏ فيها لداء الثائرين دواءُ

خدم البلاد برأيه وحسامهِ ‏ ‏ ‏ ولهُ بذلك هزة ومضاءُ

وفىّ الديانة حقها بجهادهِ ‏ ‏ ‏ وكفاهُ منها مفخرٌ وجلاءُ

فالرب ايّد ما اتى ببسالةٍ ‏ ‏ ‏ لم يثنها الادلاج والاسراءُ

لك فيه يالبنان خير مجاهدٍ   يلجا لأمن ظلاله الضعفاء

قد خاض بحر الذّب عنك ولم تكن   لتصدّ رائد عزمه الانواء

ففضائل مشكورة وشمائلٌ   ماثورةٌ أثرت بها الابناء

وفّى الوفاء حقوقه بحياته   بمثاله فليقتد الآباء

بي مثلما بالناس اجمع حسرةٌ   لسعيرها طي الضلوع صلاء

حتّام اكتم لوعتي ويبيحها   دمعٌ بهِ انا والبلاد سواء

فلأندبنّ ملمةً نزلت بنا   وأنادينّ عسى يجاب نداء

ولارسلنّ الدمع فوق ضريحهِ   هطلُ الحياء اذا تلاهُ حياء

ولأملأنّ الارض من نظم الرثا   ممّا تنوحُ بشجوهِ الورقاء

من كل مرثيةٍ يردّدها الورى   فترنّ من تردادها الارجاء

من كل قافية يخفف نظمها   روعُ الألى هاجتهمُ الاصداء

نفسي فدى بطل تغيّب بالثرى   كلٌّ بفادح خطبهِ خنساء

كاد العزاء يعزّ فينا بعدهُ   لو لم يكن لي في بنيهِ عزاء

فهمُ الألى امتازوا بكلّ فضيلةٍ   وسجيةٍ يسمو بها الفضلاء

يا راحلًا تبكيهِ آماق العُلى   وعليهِ من سيمائها سيماء

جاورت ربك في السعادة خالدًا   وعلى المواطن مِن تقاك لواء

فانعم بجنات العلى أجرَ الألى   الفوا التقى ما طاب فيك رثاء

او قال بعد افول شمسك شاعرٌ   دهتِ البلاد ملمةٌ دهماء

وقال مؤرخاً سيادة المنسنيور يوسف العلم
رئيس كهنة ابرشية بيروت الماروني

أبا سمراءَ عشت العمرَ تجني   لحسن الذكر ما فاق الغنائمْ
بنفسٍ صح هيكلها فاضحى   قيام كليهما مجلى العزائمْ
وفيك من الشجاعة ما يوازي   اذا قاسوا الورى ما في الضياغم
ولو نادى المروّة طالبوها   لقالت أنني عند ابن غانم
مررت برمسه اهدي اليه   تحيات الصواهل والصوارم
فقال الرمس لا تقرب قرابي   فعندي من اسود البأس قادم
مهيبٌ من يراه فيَّ أرخ   تصور لبه « يقظان نائمْ »

١٨٩٥

وقال المرحوم حنا بك الأسعد الصعبي مؤرخاً

وحين ثوى ابوسمرا بكاه   سيوف الهند والسمرُ العوالي
شجاع كان خواض المنايا   وكم خاض المعارك بالقتالِ
وكم اوهى حراباً في حروبٍ   وكم ابدى طعاناً بالنزالِ
لهُ بالحرب كرات عظامٌ   بها يوني صناديد الرجالِ
وحاز ببأسه ذكراً جميلاً   وكم نادوهُ يا اسد القتالِ

فكيف الان قد امسى صريعاً … بمخلاب المنون بلا نصالِ

ولما ناح اهلوهُ بحزنٍ … نواحاً مصدعاً شمَّ الجبالِ

فناداهم الا كفوا نحيباً … فامر الله اوجب ارتحالي

وادوا الشكر للباري لأني … بدار المجد قد حُطت رحالي

وموتي ارخوا عيداً بسعدي … بدار الخلد فزتُ بُسرِ بالي

١٨٩٥

وقال حضرة الخوري يوسف ابي صعب

تنام وصرفُ دهركَ غير نائم … وتلهو وهو بالمرصاد قائم

الست ترى الليالي كيف تسطو … وما تبقي على إلفٍ مسالم

صروف الدهر تفتك في بنيه … وقد اودى بها غمرٌ وعالم

لحاه الله من دهر خؤون … وقبيح وجه خداع وظالم

يصارع كل مغوارٍ شجاعٍ … ويصرع كل مفتول العزائم

اصاب بسهمه شهماً كريماً … تغنت في حماستهِ الحمائم

هو ابن جلا وطلاع الثنايا … ويُعرف وهو لا يضع العمائم

اباسمرا يكنى وهو حقاً … ابو البيضاء دفَّاعُ المظالم

فكم من بيض افعالٍ اتاها … تبرهن انهُ رب الاكارم

انالته بها العلياء مجداً … ومفخرةً وانف الدهر راغم

همام كان ضرغاماً هصوراً تخرُّ لهول سطوته الضراغم
لهُ عزمٌ حكى عضباً وحزمٌ تقرُّ بهِ الاعارب والاعاجم
بدا منهُ بنابلسٍ عجائب وكم ابدى بحوران عظائم
ولبنان روى عنهُ فعالًا يقصر عنهُ عنترةٌ وحاتم
دعا داعي المنيَّة منهُ ندباً فلبَّى طائعاً والثغر باسم
فجزّين بكتْ جزعاً وناحت بكاسينٌ ودمع الحزن ساجم
سترثيه المعالي نادباتٍ وتندبهُ العوالي والصوارم
وتنعيه البسالة وهي ثكلى وتبكيهِ الحمية والمكارم
ألا يا آلهُ بالله صبراً فانَّ الصبر في الازمات لازم
حوى في دارِ دنياهُ علاءً وفي الاخرى بدار الخلد ناعم
لذلك قلت والتاريخ حقٌّ ابو سمراء في الدارين غانم

١٨٩٥

وقال جناب خليل افندي المكرزل

﴿ انين الباكي ﴾

تبكي العيون جسيم خطبٍ قد طرا نار الاسى في كل قلبٍ سعَّرا
خطبٌ أليمٌ جرَّ أنواع الأذى ولوقعهِ فيض المدامع قد جرى
ولهُ القلوب تصدَّعت اسفاً على بطل يجرّد في الوقائع اسمرا

تبكي « اباسمرا » العوالي لهفةً — اذ شاهدتهُ في المعامع قسورا

تبكي الحروبُ اخا المروءة غانمًا — في قلبه روح الشهامة قد سرى

تبكي النصال فتىً عليه توجعت — ولفقده قلب الجميع تفطرا

بطل لدى الهيجاء يضرم نارها — ويعود منها غانمًا ومظفرا

تبكي الشجاعة فارسًا شهدته في — كل المواقع فاتكًا بمن افترى

تبكي الحميَّة والفراسة والقنا — بطلًا على الاعداء سيفًا اشهرا

تبكي المروءة فاتكًا بخصومهِ — لم يرهب الاضداد بل بهم ازدرى

وتقول وا لهفي فقدت اخا تقى — ما خاف هولًا بل دفاعًا اظهرا

يبكيك يابطل الوقائع مرهفٌ — جرّدْتَه ايامَ شرٍّ قد طرا

تبكيك عين قد رأتك محاربًا — في حرب نابلس الرقاب مكسرا

ورأتك في حوران تكسر شوكةً — لمن الحكومة قد عصى وتجبرا

ورأتك « ابرهيم باشا » طاعنًا — ومقاومًا احزابه ومقهقرا

ورأتك في حرب الخصوم مسعرًا — نارًا ورجلك لاتعود القهقرى

ورأتك مغوارًا يشمرُ ساعدًا — في حرب« كردستان »حتى تثأرا

ثمَّهْ غدا «عُمر» لحزمك شاهدًا — يا مَن عصابة « بدرخان » قهقرا

« لبنان » يبكي بالصوارم والقنا — بطلًا له التاريخ ذكرًا سطرا

يبكيك في يوم القراع واعينٌ — خزرٌ مدامعها التفجع اغزرا

يبكيك اخلاص حفظت عهوده — وعزيمةٌ تذر الوشيج مكسرا

وتهالك في خدمة الملك الذي — جازاك اموالًا واعطى جوهرا

وعليك دَرٌّ مواطرًا من فيضه ... لبسالة المقدام كانت مظهرا

وبك ازدهى فخرًا اكابر دولةٍ ... يا فارسًا لبس الحديد معصفرا

« عمرٌ واحمد عزت » وكلاهما ... عرفا بك الرجل الكميَّ غضنفرا

تبكيك طائفة شغفت بحبها ... وتدينُ امسى لفضلك مصدرا

ياغانمًا حسن الصفات وقلبه ... من معدن الاقدام كان مصورا

يا فارس السمراء رافع زابل ... خاض المنايا والكفاح تخيرا

ان غيَّبت تلك المحاسن في الثرى ... فالذكر يبقى بالمديح معنبرا

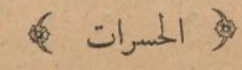
فابشر فانك بالثناء مخلدٌ ... ما شاء رب الكون كان مقدرا

حيا الحيا رمسًا نزلت بتربه ... حتى تعطر نشره فتعطرا

وسقاكَ ربُ العرش صيِّب رحمةٍ ... ابدًا يظل عليكَ صوبًا ممطرا

وذويك الهم حسن تعزية بها ... يطفا لهيبٌ في الصدور تسعرا

وقال حضرة القس بطرس الحداد الكفاعي الانطوني



﴿ الحسرات ﴾

شقت على البطل الشهير جيوب ... وبكته حزنًا اعينٌ وقلوبُ

وعليه سكب الدمع كان مواطرًا ... صُبَّت يمازجها دمٌ مسكوبُ

بكت المروءة فارسًا شهدت له ... يوم النزال وقائع وحروبُ

بكتِ الشجاعة فارسًا بطلًا له ... يوم الكفاح حوادثٌ وخطوبُ

بكت الصوارم شهم لبنان الذي — حزنًا بكاهُ ذابلٌ وقضيبُ

بطلٌ اذا سلَّ الحسام على العدى — رجع العدوُّ من القتال يتوبُ

شهمٌ اذا وافى لدفع ملمة — يبدو وفي وجه الصروف قطوبُ

تبكيه في يوم المعامع اعينٌ — خزرٌ مدامعها الدم المصبوبُ

يبكي «ابا سمراء» كل مشهم — خاض العجاج الى القراع يثوبُ

في مجمع للملك فيه طاعة — حمل الصوارم في البلاد يجوبُ

ولقد ابى الأَّ يعود القهقرى — واليه فتك بالعدو حبيبُ

«ياغانمًا» في كل معركةٍ جرت — لحسامه فيها يكون نصيبُ

في حرب «نابلسٍ» وحوران بدا — ولقد شكته شاتها والذيبُ

والطعنَ «كردستان» تذكر عدةً — وغدا لها التنكيل والتأنيبُ

حاز المحامد يوم كل تناضلٍ — وكريهةٍ حيث النزالُ عصيبُ

وتدرع العزم القويَّ ملبياً — داعي القتال وما عراهُ لغوبُ

قد عاش شهمًا فاضلًا متدينًا — وهو الغيور من القلوب قريبُ

قد مات محمود الخصال وذكره — حيٌّ يجول بلادنا ويجوبُ

وصفاته الغرّاء هاتفةٌ بنا — ما غاب الأَّ شخصه المحجوبُ

حيَّا الحيا رمسًا يضمُّ فقيدنا — وفعاله الغرُّ الاله يثيبُ

وسقى ضريحه صوب هاطل رحمةٍ — حتى تعطر نشره فيطيبُ

وذويهِ ألهم حسن تعزيةٍ بها — يطفا لأحزانِ القلوب لهيبُ

وقال جناب امين افندي نوفل غانم

علام ينوح الشرق بالادمع الحمرِ — وتبكي بلاد الشام ياصاح هل تدري

ومالي ارى لبنان تندب حسرةً — وتجري بواديها الدموع كما البحرِ

أأطوادها دكت ام الارض زلزلت — وركن العلى قد هُدَّ ام كعبة الفخرِ

ام انقضَّ من جو الخطوب صواعقٌ — فاضحى الفتى كهلاً ومنحني الظهرِ

ام النار والرمضاء صعداء اهلها — فاني ارى الاكباد تحرق بالجمرِ

ام القوم قد قامت قيامة نشرهم — فابكاهمُ هول القيامة والحشرِ

ام الضيغم المشهور جاور ربهُ — فاضحى عرين الاسد يعلن بالخسرِ

ام الفضل بعد الشهم قال مؤبنًا — قضى نحبهُ حامي لوا الفخر والنصر

بلينا بيتم السيف والرمح بعد ان — قضيت اباسمراء ياضيغم الدهرِ

وقد فاضت الآماق دمعًا مشابهًا — دماء الاعادي في وقائعك الغرّ

دوت في بلاد الشام أخبار نعيكم — وجاءَت على جنح الغراب الى مصرِ

فطارت لها نفسي شعاعًا من الاسى — اصاخت لها اذني فحار بها امري

أيسرَى بطودٍ فوق حدباء سابح — وفي ظلمة الاجداث يوضع ذو القدر

ومن نال فوق البدر أعلى مكانةٍ — فكيف ببطن الارض يلصق بالصخرِ

فيا ايها الدهر الخؤون غدرتنا — واسقيتنا كاسًا امرَّ من الصبرِ

ويا ايها الموت الذريعُ الم تخف — من البطل المشهور يامنبع القهرِ

ويا حاملي روح الشهامة والعلى — رويدًا فان الليث في قبضة الاسرِ

كأني به والخيل في حومة الوغى   يرد صفوف الخصم شفعاً الى وترِ

بسيفٍ لو الفولاذ كان امامهُ   لشق كما شق الظلام لدى الفجرِ

ورمحٍ رُدَينيٍّ وقلب يفوقهُ   ثباتاً واقداماً لدى الطعن والكرِ

هو الموت لا يُبقي شجاعاً من الورى   على موته فليبك كل فتىً حرِ

خليليَّ هيا نندب السيف والقنا   مضى من وقى سيف البلاد من الكسر

الا ايها النائي العزيز ترفقاً   لقد كنت ترعى الرفق في مدة العمرِ

لعمرك هذا الخطب احنى ظهورنا   وفي سيفه البتار اعمارنا يفري

رُويدك مهلاً وانظر القوم اجمعاً   تراهم بدمع العين رووا ثرى القبرِ

واما بكاسينُ فشقت جيوبها   اذ انشق عنها حامل القضب البترِ

ونادت باصوات التأسف وارتدت   من الحزن ثوباً اسود اللون كالحبرِ

وان قيل ان الصبر في الخطب لازم   وانَّ بهِ نيل العزاء مع الاجرِ

اشارت الى الجسم الكليل حزينة   كخنساء صخر حين ناحت على صخر

لعمرك تقطيع الحشاشة لازم   وفي مثل هذا الخطب لا نفع للصبرِ

فيا حامي الاوطان يا خير سيدٍ   ويا كعبة الآمال والكوكب الدري

ويا غائث الملهوف من صرف دهره   ويا قاطعاً رأس الخيانة والغدرِ

ويا مخجل البدر المنير بفضلهِ   ويا كامل الاوصاف يا مصدر البرِ

لئن شقت الاكباد من هول بُعدكم   وفاض بدمع نهر جزين مع بسري

وامطرت السحب الدموع عليكم   وسالت دما الاماق نيلاً على صدري

لما كنت توفى حق فضلك سيدي   ومن ذا الذي يوفي بتأبين ذا البدر

لقد حق للاوطـان بعد مجيرها　من الضيق ذي القبر بالادمع الحمرِ
سقاك الاله الغيث ياترب قبره　ودام النَّدى في رأس اعشابك الخضرِ
وقـال امينٌ في رثاهُ مؤرخاً　لفقدي اباسمراء غاب بنا فكري

١٨٩٥

وقال المرحوم زين افندي زين

اذا ذهب الذي قمع الاعادي　فذكر فعالهِ ملأ النوادي
تفطرت القلوب اسىً وحزنًا　على من كان حامية البلادِ
هو المغوار طلاّع الثنايا　زعيم القوم في يوم الجلادِ
ابو سمرا الذي اقتحم المنايا　وخاض الموت منشرح الفؤادِ
حمى اتباعهُ من شرّ بيضٍ　مهنَّدةٍ ومن سمرٍ حدادِ
اذا نادوا أباسمرا اتاهم　على متن المطهمة الجيادِ
واعمـل في العدى سيفاً صقيلاً　والقى الرعب في اهل العنـادِ
وطوع كل طمـاعٍ عتيٍ　ولم يعتد بالنُّوب الشدادِ
وقاتل غير هيـَّاب الوفا　بقلب قُدَّ من قلب الجمـادِ
سل الغارات في لبنـان عنهُ　وكل مروّح فيهـا وغادِ
وسلْ حوران والنهرين لمَّا　ورى فيهـا الوغى وري الزنادِ
وسل كل المدائن والقرايا　وسل كل السباسب والوهـادِ

وسل جزين عنه يوم أمسى   غراب البين ينعب في البلادِ
اتنكر اذ سطا في الحرب يومًا   وكان عليهِ كلُّ الاعتمادِ
اتنكر انهُ حامي النصارى   بسيفٍ لم يكلَّ عن الجهادِ
اتنكر انهُ البطل المفدَّى   وكم لبى اذا نادى المنادي
لهُ قلب لدى الجلّى حديد   وعين لم تذق طعم الرقادِ
وصدرٌ واسعٌ وسخاء كفٍ   ونفس لم ترم غير السدادِ
وسهمٌ صائب ومضاء عزمٍ   ورمح بالدّما ريان صادِ
فعند السلم تلقاه وديعًا   ويزأر كالاسود لدى الطرادِ
وفي يوم الوغى مرٌّ عنيدٌ   وفي يوم الرخا سلسُ القيادِ
يقيم بحومة الميدان سوقًا   يروج بها الردى بعد الكسادِ
اذا ما هزَّ للاعداء سيفًا   ترى منها الفرائص في ارتعادِ
وكم قد صاح منقضًا «عليهم»   فبدد جمعهم في كل وادِ
ومضمار الوغى ان جال فيه   تباع به الطلى بيع المزادِ
اتاهُ الموت لا يخشى حسامًا   ولا يعدوهُ في الغارات عادِ
ولو تنجي من الموت العوالي   لظلَّ الدهرَ عنه في ابتعادِ
ولو يفدى فدته نفوس قومٍ   تردد ذكرهُ حتى المعادِ
لهُ في القلب منزلة السويدا   وفي الابصار منزلة السوادِ
بكاهُ الفضل والعلياء ناحت   وقد لبس الندى ثوب الحدادِ
فيوسف ضاق من ذا الخطب ذرعًا   وكحل طرفهُ ماء السهادِ

وداوى جرح نفسٍ بالتأسّي . وسلّم امرهُ ربّ العبادِ
وابراهيم قد فاجاهُ نعيٌ فحرّق قلبهُ بعد البعادِ
وصاح ابي نعاك الي ناعٍ ففرّق بين جنبي والمهادِ
فديتك كيف تحمل فوق نعشٍ وانت البحر تربد بالأيادي
وكيف نزلت في ظلمات لحدٍ وحقّك ان تنزّل في الفؤادِ
وكم شقّت بكاسينٌ جيوباً على ربّ التقى مولى الرشادِ
فيا من شاقهُ ذكر المعالي وراح لحلبة الميدان شادِ
اذا ما رمتَ للابطال ذخراً وتخليد الفعال على التمادي
فقل تنصف لدى التاريخ شهماً ابوسمرا تزوّد خير زادِ

١٨٩٥

وقال حضرة الاب الخوري اسطفان ضو مؤرخاً

رحلتَ وذكرك العطري يعلو على تمثالك الذهبي دائم
وحسبك ما بدا التاريخ يهدي ففي الدارين « بوسمراء » غانم

١٨٩٥

وقال جناب ابرهيم افندي موسى فغالي مؤرخاً

ألا جُد ولا ترعم بأنّك دائمُ فتحيي لك الذكرَ الجميلَ المكارمُ
لقد أحيتِ الذكرى قديمًا لغانمٍ أبي السمرِ من تجثو لديهِ الضراغمُ
هو الشهم حيّاهُ اللسان مؤرخاً حييتَ ابا سمراء انّك غانمُ

١٨٩٥

وقال جناب ابرهيم افندي بركات

﴿ جمرة الاسى ﴾

لوكان بالسيف دفع الموت لاندفعا — عن الشجاع ابي سمرا وقد قمعا

لكنما الموت حكمٌ ليس يدفعه — عضبٌ حسامٌ ولا اهلٌ ولا شفعا

كلُّ ابن انثى له ينقاد إن ملكا — وان رقيقًا وان غمرًا وان ورعا

وانما الناس منهم من بمصرعه — يبكي ومنهم من لم يبكي إن صرعا

هل فقد من لم يفجع في الدنا أحدًا — كفقد من فجع السادات والتبعا

مثل العزوم ابي سمرا من اشتهرت — ذكراهُ تُلقي باحشاء العدى فزعا

بسيفه كان يردي من يعارضه — ويهلك الحسد القالين والشيعا

كانت لهيبته الشجعان ترعب ان — بدا وفي يدهِ الهنديُّ قد لمعا

كانت لهُ يومَ يبدو في مبارزةٍ — مهابة تجعل المتزّ متضعا

كانت تميد الرواسي عند زأرته — وحين يذكرُ يقضي خصمهُ هلعا

هذا هو البطل المغوار من كلفت — بهِ العلى ولغير الله ما خضعا

هذا الذي قد بكاهُ السيف مكتئبًا — فالسيف اصبح في مولاهُ منفجعا

ياسادة القوم نوحوا واندبوا ابدًا — من للندى والمعالي والنهى جمعا

هذا جدير بان يبكى ويندب اذ — ببطشه كان يجلو عنكم الطبعا

اما هو الفارس الحامي الذمار اذا — خاف المصادمة الصنديد فارتدعا

اما هو القاهر الاعداء ساقيهم   يوم التجالد كاسات الردى جرعا

كانت اذا ما علا يومًا مطيته   للحرب تدبر ابطال العدى جزعا

ان صال يومًا على اقرانه وسطا   عنا له النصر دون الناس متبعا

كانّ ربك لم يفطر سواه على   تلك البسالة والاقدام منطبعا

ليت الفدى كان مقبولًا ليفديهُ   بنفسه كل من في ذكره امتنعا

ليت البكاء مفيدٌ كلّ مكتئبٍ   حتى نبكّي مولانا فتنتفعا

وانما الصبر اولى بالمصاب وان   جلّ المصاب وخلّى القلب منصدعا

فان للصابرين الأجر فاصطبروا   يا آله واكففوا الاشجان والدمعا

واستنجدوا يابنيهِ بالعزا فالى   دار النعيم ابوكم عنكم ارتفعا

وغادر الصيت في تاريخه لكم   زهوًا على صفحات الفخر قد طبعا

١٨٩٥

وقال جناب مخائيل افندي عيد البستاني

يا فقيدًا قد خلّدت آثارهْ   عاش عمرًا ما شُقّ فيهِ غبارهْ

حقّ للسيف بعدهُ ان يوارى   طيّ جفنٍ حزنًا ويصدا غراره

فلكم هزّهُ ودهمُ المنايا   عابساتٌ والذعر بادٍ شعاره

وصليل السيوف يخطب والعثير   مرخى على العيون ستَاره

وهو يختال فوق طرفٍ كريمٍ   يقذف النّار ليس تطفأُ ناره

فحمى حوزةً ونال فخارًا   حين لا هبرزيٌّ يُحمى زماره
فهو من تعلم البلاد علاهُ   وهو مَن فاق في البلاد فخاره
مَن باوصافهِ يُعرَّف للنَّاس   وهل فاتَ واحدًا اخباره
من راهُ يومًا وما قال فيهِ   ذا شجاعٌ عين الجواد قراره
فله في لبنان ايَّام فخرٍ   غرَّدت بازدكارها اطياره
خدم الدولة العليَّة عمرًا   طال فيهِ بامرها بتَّاره
وجرى لا ينفك عن سنن الاخلا م   ص سيَّان ليلهُ ونهاره
ما ثناهُ خوفٌ وكم غارة شعـ   واء فيها أغار والموت جاره
فعليهِ العتاق زادت حنينًا   وعليهِ الحديد ذابتْ شفاره
وعليهِ اسى البلاد عظيمٌ   اذ فيها يحيي الاسى تذكاره
ما سنوهُ التسعون خانتهُ بالعزم م   وقد زيد في امدها اختباره
هابهُ الموت في الحروب كأنَّ المو   ت عنهُ مقلومة اظفاره
فأتاهُ شيخًا على فرش الرَّا   حة فاغتالهُ فشطَّ مزاره
رحم الله روحهُ وحباهُ   من رضاهُ ما نال منهُ خياره
ورعى آله وألهمهم صبرًا م   بهِ حزنهم تُطفَّا جماره

وقال جناب الشيخ عبدالله ابي عز الدين

حياة المرء في الدنيا رجاءٌ   وداء الموت ليس لهُ دواءُ
لعمرك لا يرد الموت شيءٌ   وكل الناس في البلوى سواءُ

رأى ذا اليوم في ابناء سمرا　　شجاعًا ليس يرهبهُ بلاءُ
رماه بسهمه جورًا فاصمى　　ففاض الدمع وازداد البكاءُ
هي الدنيا وما فيها كظلٍّ　　على عجلٍ يداهمهُ انتهاءُ
يدكُّ الدهر اركان المعالي　　ولم يسلم من الجلَّى بناءُ
وقد حكم الزمان على بنيه　　بان لا يستتب لهم هناءُ
يفجعنا بانواع الرزايا　　وما للمرء في الدنيا صفاءُ
فما فيها يؤول الى فناء　　كذاك المرءُ يدركهُ الفناءُ
نُنادي الغانم الملقى برمسٍ　　ولكن ليس يشفعنا النداءُ
ألا مهلًا على فقدان شهم　　بني سمرا فمسكنه العلاءُ
تعزوا واصبروا صبرًا جميلًا　　ولو قد عزَّ في الكون العزاءُ
فذكر فقيدكم امسى كشمسٍ　　ولكن ليس يحجبها المساءُ
فيا انجالهُ صبرًا جميلًا　　فثوب الصبر في البلوى بهاءُ
فلا حزنٌ على من مات جسمًا　　واضحى مسكن النفس السماءُ
فيا مطر الضحى بلّلْ ثراهُ　　ففيه فاخر المدحَ الرثاءُ
ويا رحمات باري الخلق جودي　　بعفوٍ حيثما وُجد البقاءُ

وقال حضرة الاب الخوري يوسف سعد

انّة الحزن في فقيد الوطن

خطبٌ اهال بوقعه اهل الورى　　وتصدعت منه القلوب تفطرا

خطب خطيب البين نادانا بهِ   فكوى فؤادًا لا يطيق تصبرا
خطب ألمّ بال غانم لو عرا   طود الجبال مصابهم لتدهورا
اودى بمن قد كان ركنًا للملا   وملاذ من قد جاءه مستنصرا
لبس العلى ثوب الحداد بموته   لما غدا ربع المكارم مُقفرا
رجل له في الحادثات عزيمةٌ   تذر الوشيج لدى الطروق مكسرا
فاغتاله كفُّ الردى من اسرةٍ   قد اصبحت في الكون اكرم معشرا
عمّ البسيطة خطبه حتى بكى   كل الانام لهُ نجيعًا احمرا
فلقد مضى هذا الجليل وقد بقي   ضمن الحشى جمر الاسى متسعرا
حملته اعناق الانام للحدهِ   والدمع من جوف المآقي تفجرا
جاؤا بهِ والافق غير وجهه   فكأنه لبس الوشاح الاحمرا
او انه بلغ المصاب لقدرهِ   فاصابه ما نالنا متعكرا
لو كان يعلم رمسه من قد حوى   لنظرتهُ يبكي ولكن ما درى
او ما درى الرمس السعيد بانه   برجٌ لبدرٍ ضاء فيهِ مُسفرا
فارقتنا والبين اخشع طرفنا   لمصابنا حتى غدا متكسرا
فليبكه كل المعالي والندى   ما زال ذكر فعاله بين الورى
تبكي عليه مجالس الحكام اذ   فقدت محل المشكلات منورا
فلأنها من بعد موت حليفها   قد البست ثوب الكآبة ادهرا
تبكي ولا الخنساء تلطم صخرها   قمرًا منيرًا في الدجنة اقمرا
نبكي عليك ولا نلام ومن رثا م ك يرى مجالًا واسعًا لن يحصرا

وسواد اعيننا تحول جمرةً حتى ارتوى بدموعنا وجه الثرى
لوكان بالارواح شخصك يفتدى لفدتك آل السعد من خطب جرى
تعلو ما ترك المدائح كلها واللسن تعجز عن رثاك بلا مرا
اسفًا على من غاله كف الردى فأسال منعاه دموعي ابحرا
لهفي على رجل كريم قد غدا تحت التراب ممددًا ومعفرا
فهوى الممات على الحياة لانهُ ترك القصور وحلَّ مثوىً مقفرا
صبرًا بكاسين التي قد افجعت ان الفقيد حمى المهيمن آثرا
لا زال يهطل فوق تربة قبره غيث المراحم ما بدا قمر الورى

وقال حضرة خوريسقف يعقوب بولس غانم
وقد بلغه نعي ابي سمرا وهو في صور :

ما للعيون تسحُّ الدمع كالمطرِ وما لقلبٍ غلى بالغم والكدرِ
وما لفرساننا كالخيل ناكسةً رؤوسها مع جنود الحرب والخفرِ
وما لبحر طغى في صور مرتفعًا وكان قبلًا اسير الجزرِ والجزرِ
وما لحزنٍ بكاسينٌ بهِ اتشحت وماؤها قد جرت حمراء كالعكرِ
فهل قضي اشجع الشجعان موئلنا حامي الذمار ابو سمراء ذي الخطرِ
نعم قضى ذلك المقدام وارتشقت عين المعالي سهامًا من يد القدرِ
الفارس العابس المغوار يوم وغىً والضارب الصائب الطعنات والنظر
من آل غانم كان الغنم مُصحبهُ مشدّد الباع مقدامٌ لدى الخطرِ

ندبٌ حوى من خصال الفخر افضلها … عزماً وحزماً وتقوى الله من صغرِ

كم من سباقٍ به حاز الرهان اذا … عدت فوارس مضمارٍ لكل جري

سل عنه سانور مع عكاء اذ فتحت … من بطش ابرام بالغارات والشررِ

سل حرش بيروتَ يوماً فيهِ قد برزت … ابطال طائفة ثارت لذي خطرِ

اذ قادهم غيرة للملك مع وطنٍ … وحمس الشِيب والشبان للظفرِ

سل عام ستين بل عاماً به كسرت … جموع عريان في مستوعر الشجرِ

سل عنه كرداً وسل مختارةً شهدت … يوم الصدام وسل دوارة القمرِ

تلك المواقع والايام اذ ذكرت … يُبكى عليه كمقدام ومنتصرِ

لهفي عليــه اذا همَّ الهمام وان … سُلَّ الحسام ونادى الراس يا بصري

خمساً وتسعين عاماً عاش مكتسباً … مجداً وحمداً ورضوى الله والبشر

صبراً بنيهِ على مرِّ المصاب رضىً … بما قضى ربكم ذو الحكم والقدرِ

لانَّ والدكم ما مات منطمساً … بل يحيا دهراً حميد الذكر والاثرِ

ونال من ربهِ الرضوان في عدنٍ … دار البقاء منالَ الفوز بالوطرِ

وقال ايضاً حضرته مؤرخاً وفاته لينقش على ضريحهِ

هذا ضريحُ الندب فارس عصره … الغانم المكنى ابي سمراء

تسعين عاماً عاش والنصف انقضى … بخدامةِ الامراء والوزراء

من آل علوان ابن غانم جدهِ … احيا بهمتهِ افتخــارَ اباء

بحماسةٍ وفراسةٍ متقــدماً … في شعب مارونٍ لدى الهيجاء

وشعاره التقوى وحب بلاده لبنان والاباء والابناء
فلذا دعي ارخ سناه غانما اسعد اباسمرا بسعد سمائي

١٨٩٥

وقال حضرة القس انطون الرشماني اللبناني

« المرء في الدنيا خيالٌ قد سرى والعيش مثل الحلم في سنة الكرى »
والموت مكتوبٌ على كل الملا من ذا يفرّ من المنية يا ترى
لا يؤمن الدهر الخؤون وكفه فتاكةٌ منها الفؤاد تفطرا
نكباته فينا تكدر كأسنا والعيش فيها لا يزال مكدرا
عبثًا نروم من الدنى امالنا وبها العناء مع الشقاء تقررا
دعها فمن عاداتها غدر الفتى كم من همام في الضريح تعفرا
نشبت بغانمنا مخالب كيدها فجرت مدامعنا اسىً وتحسرا
شهم شجاعٌ باسلٌ متفردٌ قد بات هذا اليوم محلول العرى
هذا الفقيد مضى وخلف لوعةً في القلب موقدة تزيد تسعرا
فردٌ حواه الرمس امس ولم نكن ندري بان الرمس يحوي الجوهرا
انجاله النجباء صبرًا إنه فرضٌ على الانسان ان يتصبرا
سقيًا لقبر ضم شخص مكارم ضاعت فضائله ففاحت عنبرا
اخذ السعادة حيث حلّ مؤبدًا فيها يسبح مَن برا كل الورى

وقال جناب توفيق افندي الحوش مؤرخًا

سمرُ القنا ناحت على مستلها وبغيره ظمأت الى الأدواء
سُئلت اجابت وارتوى تاريخها وبغانمٍ تهنأ « بو السمراء »

١٨٩٥

وقال جناب يوسف افندي فاخوري

رثاء الفقيد الهمام الباسل المرحوم ابي سمرا غانم البطل اللبناني

كانَ عندي اجلَّ قولٍ جارٍ وعلى ألسنِ الشعائرِ سارِ
« إنَّ آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثارِ »
كلّ ذي رُوحٍ مائتٌ ويبقى صيتهُ مأتاهُ مدى الأعصارِ
ذو الفعال الحسناء يلحدُ جسمًا وبه يحيا الذكرُ دُون بوارِ
جبلة الادميّ وحدٌ ونلفي بعضنا فاقوا غيرهم باختبارِ
هوّنوا الصعبَ ثم حثّوا المطايا للمعالي بهمّةٍ واقتدارِ
لا يبالون إن ينبهم خطيرٌ ليُرَدّوا بذلةٍ واحتقارِ
هم قومٌ ذلَّ الزمان لديهم وعلا الدهرُ فيهم بافتخارِ
كانَ منهم فقيدنا من تسامى بفعالٍ تجولُ في الأمصارِ
صوّبَ الدهر نحوهُ ما بهِ قد راش مَن قبلهُ بلا إيثارِ
ودهى لبنان العزيز بقرمٍ خدم الدين باسلًا بانتصارِ

آل سمرا إنّا فقدنا هماماً قد سما بالحمى عن الاقطارِ
جرّدَ السيف للدفاع جريئاً بسبيل الاعراض والأعمارِ
وحمى الموطنَ العزيز بعزمٍ قُدَّ من نصل صارمٍ بتّارِ
أرغم الاعداء الذين أرادوا ان يحطّوا من رفعةِ الأخيارِ
وجلا عن لبنان ضيماً مقيماً ونفى عن أقوامهِ شرَّ عارِ
وجرى للحروب غير جبانٍ فصلى الأعداء البغاة بنارِ
زائـداً عن دينٍ رفيعٍ علاهُ وحمىً لن يذلَّ بالاقدارِ
تعلمُ الدنيا أنَّ منّا جدوداً خضعوا الدهر فارتدى بصغار
تعلمُ الأيام التي قد رأتنا أنّنا بالدين الصحيح نباري
عزّنا نيطَ بالثبات كراماً وعليه شدنا رفيع النجارِ
مثل هذا الفقيد منّا رجالٌ أطفأوا حرقة الرماح الحرارِ
يا لهُ من معزّزٍ أرّخوهُ وأبيٍّ قد نال خير فخارِ

١٨٩٥

وقال جناب اسعد افندي حرفوش

الدهر في حكمه يسطو على الامم لا ينثني عنهم بالحيف والظلمِ
ان راق يوماً فكن منهُ على حذرٍ فالدهر جلاب احزان مع السقم
تبّاً لهُ من زمان لا أمـان لهُ من دأبه نوب ترميك بالسأمِ
كم من رجال ببرج العز قد مرحوا والدهر نادى على تفريق شملهم

كم من رجال برغد العيش قد نعموا امسوا على كدر ثاوٍ من الرمم
ساروا جميعاً ولم يبق بهم احدٌ ساروا جميعاً مع السادات والخدم
اين الألى قد سموا في قومهم شرفاً اين الأولى قد تباهوا في فعالهم
واين اين ابو سمراء غانمنا من كان في الحرب قهاراً لكل كمي
مات الهمام فقم يا صاح نندبه مضى الذي كان في دنياه كالعلم
خطبٌ جليلٌ له الاصحاب واجمةٌ والعين سحت عليه الدمع كالديم
استمكن الخطب فانهدت مفاخرنا مذ غاب فارسنا قد بتنا في ظلم
هو الشجاع الذي ذاعت شجاعته ايضاً فراسته في العرب والعجم
لهُ مآثر في هذي البلاد غدت في الناس اشهر من نارٍ على علم
قد كان فرداً شجاعاً جلّ عن مثل اذا بدا غابت الاساد في الاجم
ما كنت أحسبُ ان الدهر يصرعه عهدي به وهو صخر غير منصدم
سل عنه سيفاً يجبك السيف واسفا لا يرتجي غيره في الحادث الحطم
سل عنه جنداً تجبك الجند كلهم كم من ايادٍ لهُ بيضٍ ومن خدم
حامي الحقيقة لا يخشى مجادلةً مستقتلٌ قاتلٌ في الحرب كل كمي
فالعيش من بعده مرّت لذاذته والحزن حلّ مع الاشجان والالم
تبكيه ابناؤه والقلب منفطر والدمع ما بين مسكوب ومنسجم
يا آل غانم ان الصبر محمدة فاستنجدوا الصبر ذا من انفع الحكم
مصابكم ذاقنا صاباً يقطعنا فالحزن عمّ قلوب القوم كلهم
يا رب اسكب على رمسٍ اقيم به هتّان عفوك والرضوان والنعم

وقال جناب الياس افندي الحائك

اذاقك صرف الدهر من كأسهِ الصبرا … فلا تترك الشكوى اذا لم تجد صبرا
تتالت عليك النائبات وطالما … عرضت لها فذًّا فأرجعتها كسرى
أفادتك حملات الحوادث حنكةً … وعلمت الأيَّام أشالك الكرّا
وربَّ زمانٍ صائرٍ ضرّ نفسهُ … فأيقظ منك الطرف اوأوغر الصدرا
نصحتك لا تنسى من الليث عدوةً … فان مدَّ نابًا هزَّ في وجهه سمرا
عرفتك طودًا لا تدكُّ لنكبةٍ … عليك رجالٌ في هواك غدوا أسرى
اسودٌ باجسام الرماح روابضٌ … فمن سامهم ضيمًا ولم ينثنِ قهرا
ومن راشهم سهمًا وما حكَّموا بهِ … سهامًا واياماً وهنديةً بترا
فكم لهم من فوق ارضك وقعةً … اذا ذُكرت والله تستوقف الشعرا
ويعبث بالوحش النفور حديثها … فيرهف اذنيه لدى سمعها ذعرا
اذا كنت في شكٍ فديت فما الذي … اشابك غضًّا قبل ان تبلغ العمرا
شهدت من الاهوال ما لو رويته … لأرجف اهل الارض واستلفت الدّهرا
وربَّيت للحرب العوان فوارسًا … فشادوا عليك العزَّ والمجد والفخرا
تولوا ولم يبقَ سوى طيب ذكرهم … فهل ترجع الاعمار او تنفع الذكرى
أحبوك يا طود العلاء فآثروا … ثراك على هام المجرّة والشعرى
طوتهم حفيرات البلاء فوسّدوا … ترابك يرجون القيامة والنشرا
فيا صيّب الرحمات بردّ ثراهمُ … وخصَّ بهِ قبر الهمام ابي سمرا

هصورٌ قضى والوعة الحرب بعده   وقد كان يصليها فيضرمها جمرا

وينصف من جيش العدو سنانهُ   فان كلّت اليمنى تغار لها اليسرى

على مثله فليبكِ بأسٌ وهمّـةٌ   وجودٌ واقدامٌ ومكرمةٌ عذرا

ودمعٌ رديني بغير يمينـهِ   اذا اهتزّ لايصمي ويلتمس العذرا

وهندية بترٌ أجاد صقالهـا   ولازمها دهرًا فكان بها مُغرى

وقلبهـا الليث المصور فاطلقت   لها في دياجي النقع يوم اللقا فجرا

وعودها شرب الدّماء على الظما   فأوردها بيضًا وأصدرها حمرا

سل الغارة الشعواء عن فعل أصيدٍ   اتاها مجاري صاحب الحدث الحرا

وسل عنه خصمًا والبلادَ ومن درى   باوصافه الحسنى وافعـاله الغرًا

فما ضرَّ هذا الدهر لو مسَّ قلبهُ   حنانٌ وابقى الليث والغيث والبدرا

ولكنّهُ يا خيبة السعي غادرٌ   كفورٌ لحاه الله قد ألف المكرا

اغار على ذاك الكمي وطالما   اذلَّ لهُ الحدثان فاستسهل الوعرا

بكتهُ بكاسين طويلًا فلم تجد   على بعده سلوى ولا بعده صبرا

وضمّت اليها الثاكلات واعولت   فشابهت الخنساء اذ فقدت صخرا

وقالت لو أن الموت يقبل فديةً   لاعطيت عنك النفس والاهل والوفرا

عليك سلام الله يا خير راحلٍ   اعدَّ لهُ في كل جارحةٍ قبرا

انالك رب العرش جنة خلدهِ   واصعدك الزّلفى وخوّلك الاجرا

والهم حسن الصبر ابناءك الألى   بكوك بدمعٍ فاض من جفنهم نهرا

وظلَّ لسان الحال بعدك منشدًا   سقى صيّبُ الرحمات قبر ابي عمرا

وقال المرحوم القس الياس المشمشاني اللبناني

فقيد المرؤة والوطن

نزول المرء في الدنيا تشائي ... وكل ينتهي تحت السماء
فبعضٌ يترك الغبرا حزيناً ... ويبكي آسفاً يوم الجزاء
وقوم يبتغي كاس المنايا ... ليجزى من جدى رب العلاء
لذا تاقت الى العلياء نفسٌ ... لها في الكون يمٌّ من ثناء
وافعالاً لنصر الدين ادَّت ... بها لبنان اضحى في سناء
كميٌّ خلتهُ في الحرب ليثاً ... لرؤياهُ العدى ترمى بداء
صدى غاراتهِ في كل وادٍ ... ليوم النشر يدوي في الفضاء
يَفلُّ الجيش يوم الحرب يُصلي ... بسيف حدهُ قطع الرجاء
سلوا عنهُ ربوع الشام طرًّا ... فتفتي انَّ ذا ابن الوفاء
سلوا عنهُ خميساً قد براهُ ... كما تبري المدى عود الأباء
سلوا عنهُ نصارى قد وقاهم ... عدوًّا ساءهم شرَّ العناء
سلوا عنهُ جيوشاً قد رعاها ... وابقاها الى يوم اللقاء
سلوا عنهُ كماةً قد سقاها ... من الويلاتِ كأساً دون ماء
سلوا عنهُ قلاعاً قد غشاها ... فاخلاها الى يوم الجلاء
سلوا عنهُ حروباً قد اتاها ... فولّى الجيش من خفق اللواء

سلوا عنهُ عداة الدين لما ذراهم في الملا ذَرْيَ الهباء
وابقاهم بها صرعى حيارى يضيق بجمعهم متن الفضاء
لذا مادت لخطبٍ لا يضاهى جبالٌ قد سقاها من دماء
على من كان في الدنيا عمادًا تشق الجيب من فوق الرداء
لهذا تقطر الاحشاء نجيعًا وتهمي العين دمعًا كالاناء
ولبنانٌ يصيح اليوم واهًا رماني الدهر في انكى بلاء
ايا قوم انظروا خلَّ المواضي رهين الرمس في جوف العفاء
لهُ في الدين فخرٌ لا يحاكى لهُ في الحرب سيفٌ من مضاء
فلا تعجب اذا فاضت عيون دموعًا ليس فيها من شفاء
يُداوى الكلم من آسٍ فيبرا ولكن خطبنا فوق الدواء
مشينٌ ان نسينا عنك سمرًا سجايا لن توارى في الفناء
وافعالًا لها في كل نادٍ جميل الذكر في طيب الثناء
واعمالًا بها التاريخ حلّي فلا تمحي الى طول البقاء
يمرّ الدهر حينًا بعد حينٍ وذكر الليث باقٍ للبقاء
ويبقى في الورى ما مرّ قرنٌ وما لاحت نجوم في السماء
بني مارون سحوا الدمع دومًا ونوحوا في الصباح وفي المساء
على من كان في الهيجاء قرمًا وفي يوم القرى بحر الجداء
أيا ربّاهُ ارمقه بعينٍ شفيق واكسه ثوب الهناء
وسامح من وقى في كل صقع عبادًا من نبال الاشقياء

سقى الباري ثراهُ ماءَ عفوٍ واجزى فضلهُ يوم القضاء

وقال غيره

أنى تفرُّ من الحمام فوارسُ ولنابهِ كل الانام فرائسُ
يَسطو على ابناء آدم صائلًا وعليه من هول القضاء ملابسُ
اين الجبابر اين من خاضوا الوغى خرُّوا ومن غلب الكماة اشاوسُ
ذلك المدائن داحرًا اسوارها فغدا ضئيلًا عزها المتقاعسُ
قد ساق رحلهم الى دار البلى حيث العنابك حُيَّكٌ ونواخسُ
يسعى بلا رجلٍ الى أسد الشرى عمدًا اذا جنَّ الظلام الدامسُ
لا ترعدن فريصة أشبالهُ يتسلق العرّيسَ وهي نواعسُ
يَلِجُ العرين محددًا انيابهُ ويشق جوفَ الجواد اذ هو عاطسُ
الوى بشجعان الورى ان شئت سل عنهُ ابا سمرا وحسبك فارسُ
قد كان يرعى للمكارم حرمةً فله يحق من الثنا المتكاوسُ
تبكي بكاسين الهمام عميدها حيث الاكارم صُرّعُ ودوارسُ
كم كان يرفق باليتيم وكل من اخنت عليه من الدهور شوامسُ
لهفًا على الطافهِ ان رنحت ريح الصبا الاغصان وهي موائسُ
أسفًا على اسفٍ على اسفٍ بلا عدٍّ اذا ضمَّ الرجال مجالس
مَن من يحل من الصدور صدورها يوم التشاور والعقول هواجس
من بعده بعد الهنا عن آله وافتر عن ثغر اللئام عوابس

ان المكارمَ والعزائمَ بَعده … والحزم والتقوى بهِ تتنافسُ
يا آله كفوا البكاء لأنه … في مرتع حيث السعادة جالس
يمضي ويبقى ذكره في قبةِ م … التاريخ بدرًا والسطور حنادسُ

١٨٩٥

وقال جناب عبدالله افندي الخوري يوسف عسّاف

الموتُ حكمٌ في الورى لا يدفع … والمرءُ في هذه الحيوة مفجعُ
مهما تعالى المرءُ في اوج العلى … فلسوف يخدعه الزمان فيخضعُ
كم في البلى من عالم نشرت لهُ … اعلام نصر خلتهُ لا يُصرعُ
اين الذي ملك الشجاعة والتقى … ما يومهُ ما قومهُ ما المصرعُ
قبحت من دهرٍ خؤون جائرٍ … من هول صنعك بالاحبة نفزعُ
جارت يداك على الكرام وقد غدا … في قبضتيك امامنا المتورعُ
ذاك الذي حاز الشجاعة كلها … والنشر من افعالهِ يتضوّعُ
نوحوا عليه يا كرام تحسرًا … ان المآقي في الرزية تدمعُ
وابكوا خصالًا قد حواها انما … ما فات لا يرجى وكيف المطمعُ
قد كان غوثًا في النوائب يرتجى … والآن تبكيه الاحبةُ اجمعُ
حلَّ القضاءُ وذاك حتمٌ في الورى … لا من يؤجله ولا من يشفعُ
ما الموت الا سارق بين الورى … هل سارق حيث المكان البلقعُ
لو كان دمع العين يُرجع ماضيًا … لم تخلُ من هذا الفقيد الاربعُ

يا رب صبر من تكاثر غمهُ وبهِ الجوى اضحى يلمُّ فيوجعُ
واسكب على مثواه غيث مراحم واجعلهُ في اخدار خلدك يرتعُ

وقال جناب الياس افندي فارس خازن

حاسات أسفٍ

يا دهر كم تلقي المخاوف والعبرْ يكفاك ما لاقيت من سيل العبرْ
شلت يداك قبضت افرس فارس ما كان يخشى من المنية والقدرْ
قد عارك الايام حتى اذلها وسقاها من كرّاته غصص الكدرْ
وأبى ابو سمرا سوى نيل العلى فكسي باثواب الشهامة والظفرْ
يا من ثناه علينا فرضٌ واجبٌ منعاك هدّ قلوبنا حين انتشرْ
اسفي على من كان اول غانم من كان اول حائز نيل الوطرْ
لم يحن طول العمر راس شبابه ألّا لخالقه العليّ المعتبرْ
ابدًا وما لاقى الكريهة مرّةً الا وكان على الكريهة منتصرْ
واليوم يا لهفي عليه فقد ثوي في بيت راحته كما المولى أمرْ
من للسيوف متى يقوم صليلها أو من يكف مضاءها حين الغِبرْ
من للاسنة عند محتدم اللظى او للجياد متى دجى النقع اعتكرْ
او للمشاكل من يحلُّ صعابها او للرجال متى تعاقبها الضجرْ
قد كان في كل الامور محكمًا في قوله في فعله حتى النظرْ

يا ايها البطل الذي فارقتنا — ابداً فلا نسلاك يا وجه القمرْ
ما غبت عنا حتى شدت منازلًا — للفخر تحدو بها الرجال مع السمرْ
وتركت ذكرك في القلوب مخلداً — ذكراً ندرّسه البنين مع العشرْ
يا من رحلت فانت اكرم راحل — وأعز من ضمته اثراء الحفرْ
رح في السلام فعند ربك منزلٌ — لك قد أعدّ لراحةٍ بعد السفرْ

وقال حضرة الاب الخوري بولس فرحات

﴿ لوعة الاسى ﴾

هو الدهر لا ينفك يعطي وينزع — وليس له الا التقلب منزعُ
تعوّد فعل الغدر حتى اذا ابتغى — الى السلم ميلًا فهو للحال يمنعُ
فبين يرى الانسان فيه مسوداً — يصارعهُ بالنائبات فيصرعُ
ويعتقهُ حتى اذا راقَ جوّهُ — يجرّعهُ كاس البلاء فيجرعُ
تغطرس لا يرثي ويرحم كيف لا — وما فيه من قلب يرقّ ويوجعُ
تأسد لكن راح يفتك بالورى — ويفجعهم بالداهيات ويصفعُ
تمرُّ بنا الدنيا تجرُّ ذيولها — فتطمس اعلام الصفا وتشنعُ
تغرُّ فتغري بالمحال وتنتضي — نصال المنايا وهي في الناس تقطعُ
فان عبثت بالمرء لا عزَّ يرتجى — فهيهات يا مغرور بالعزّ تطمعُ
حذار فانك ما حييت لَنازلٌ — ببطن الثرى والدار بعدك بلقعُ
تصرمت الاسباب في مركب البقا — فهذا غدا يشكو وذا يتوجعُ

دهتنا بموت الشهم غانم اجرهُ   فعينيك تبكيهِ وقلبك يوجعُ
هو البطل المغوار فارس عصره   يخوض المنايا والاسنة شرعُ
أُصيبت به الدنيا ففاجأهُ الردى   فلم يبقَ في قوس التصبر منزعُ
فجادت عليه العين والدمعُ عندمٌ   وليس البكا والنوح للميت ينفعُ
نـادي ابا سمرا وللحزن رنةٌ   يرقُّ لها قلب الجمـاد ويخشعُ
نـادي ابا سمرا وللحزن رنّةٌ   تُفرّقُ منا اضلعًا تتجمّعُ
وتبكي عليه البيضُ والسمرُ طالما   قراها ويبكي الحزمُ والعزمُ يفجعُ
ويذكرهُ لبنانُ والخطبُ فادحٌ   ويبكي اسىً والقلبُ منه مروّعُ
لقد كان يومَ الروع فرّاج كربةٍ   فحلّت به ما إن تردُّ وترفعُ
هو الموتُ جبّارٌ يصول على الردى   فتحني لهُ هام الكماة وتخضعُ
وما الجسم الّا من ترابٍ وإنه   يعودُ الى هذا التراب ويرجعُ
وما النفس الّا لـلالهِ وديعةٌ   وانّا اليـهِ راجعون وترجعُ
فصبرًا بني سمرا فما الحزن نافعٌ   ولا حيلة من ردٍّ ما هو مودعُ
وان الذي نُحتم عليهِ قد انتهى   الى جنة الفردوس بالعزّ يرتعُ

وقال احد الاباء المرسلين الكريمين اللبنانيين

صبرتَ فانفـدت اليوم صبرا   فبلغ رنّة الزفرات مصرا
وقل بئس الحيوةُ ولا تصلها   ولو نُقدتَ ملأَ الارض تبرا
فهـل من مطمع منها وهذا   ابوسمرا يحـل اليوم قبرا

لواء النصر كان غداةَ خطب فمن يوليهِ هذا اليوم نصرا

كميٌّ لم يذللهُ بلاءٌ ألا ياموت كم اذللت حرًّا

قضى من كان للآساد ندًّا مضى من كان في الاهوال خفرا

فسائل كيف كانت تتقيه اعاديه اذا للحرب كرًّا

لتندبهُ المعالي والعوالي وتبكي بعادهُ الاسياف دهرا

به اعتزت زمان رعى حماها وولت يوم قال نويتُ هجرا

تيتمت الشجاعة فاعذروها اذا قالت اموتُ اليوم قهرا

لقد ابكيت يابطلًا هماما بموتك اعين الابطال طرًّا

وقد ملاء الدموع عليك بحرًا كما ملاء الزفير عليك برا

رأينا الهجر منك لنا حماما وذقنا الصبر في بلواك صبرا

ابعدك من تضم يداه ترسًا وتلمس في الوغى بيضًا وسمرا

ابعدك من يغارُ اذا تلظت ويجبرُ في حلول الخطب كسرا

حييت وكنت تسقي السيف بأسًا ومت وانت ساقي القطر فخرا

جعلت الباس للدنيا عتادًا وللاخرى جعلت البرَّ ذخرا

ذهبت وذكرك الميمون باق خزامى تكسب الباقين نشرا

فلا زالت تحلُّ بلا انقطاع عليك مراحم المنان تترى

وقال جناب حنّا افندي جرجس ساره

قصف المنون الغرّ شهمًا كاملًا فهوى وكان مدى الحياة الفاضلا

بكت الشبيبة والحدادَ تقنعت لما المنون عليه أصبح حائلا
قدانشبت ايدي الردى اظفارها في من غنمنا في علاهُ معاقلا
هو غانم غنم الانامُ بذكره سر القنا والسيف بات مغازلا
هذا ابوسمرا بسمر رماحه قهر العدو ولم يهاب غوائلا
عشق الحقيقة فانتضى سيفاً لهُ وبدا عن الوطن العزيز مناضلا
سائل بني لبنان عن افعاله ان كنت تجهل يا خليل فمايلا
هو من قضي شهماً ونال مرامهُ بمعارك قضّت عليه نوازلا
أخذ الثرى سكناً لهُ لكنما ذكراه قد اخذ القلوب منازلا
ابكيت يا دهر الغدور بفقده اهل العلا والكل يهتف قائلا
اني الحزين لفقد من ابقى لنا ذكراً نرى منه الصدور نواهلا
والموت قهّار القروم اذا سطا في معشر هزّ الفرائص نازلا
ما حيلة الآسي به واللهِ قد عمَّ الملا حكم البرية شاملا
ان المصائب ان تعظم شأنها خفت وكان الحزن وهماً زائلا
لكنّ ذا مهما تقادم عهدنا بمصابهِ نلقاه شغلًا شاغلا
من بعده بات الفؤاد بحسرة أفبعد غانم نستغيث اراجلا
لكن تعزى يافؤاد بانهُ ابقى لنا ذكر الشهامة كاملا

وقال ايضاً مؤرخاً

اكملت ما باشرت قبل فناء وقتلت اعداءً بحدّ ظباء

لله درك ارخوا من غانم سمرًا دعوك بها ابا سمراء

١٨٩٥

وقال جناب كنعان افندي شبلي بوملهم

انة الحزين

لا خير في هذه الدنيـا وما فيها دنيا غرور تعادي من يواخيها
تغري بنيها وهم عشاق بهجتها بمنية كنت فيهـا دواهيها
تذيقهم كاس انس طاب مشربها والسم كالشور بعد الشرب تاليها
تريهم بالخطوب النـازلات ولا تنفك تطعن بالاحداث ايديها
وقد رمتنـا بداءٍ لا دواء لهُ واثقلتنـا بعبءٍ من مساويها
حلت مصائبهـا في دار سيدها فناحت الدار مما قد جرى فيها
وجندلت خير من كانت تتيه به وكيف تهوى دُنًى خانت مواليها
افٍ لدنيا خؤون لا تروق لنا تصمي القلوب باهوال تواليها
لقد رمتنـا بخطب لا نظير له من هوله الارض قد مادت رواسيها
اين الذي زين الدنيـا ببهجتهِ ومن منـاقبه الغرا تحاكيها
اعني ابا سمرة المفضال من فُجعت به بكاسين واندكت معـاليها
ما باله لا يجيب المستغيث به وما لدار رداء الحزن كاسيهـا
بالامس كانت تذل الدهر سطوتها واليوم ذلت وقد خابت امانيها
بالامس كنا نهنيها بسيدها واليوم جئنا به آهًا نعزيهـا
يا موتُ لم اوقعت يمناك في بطل ربّ المكارم مغرًى في غواليها

ليث همام كريم باسل ورعٌ عالي السنا طاهر الاخلاق ذا كيها
اخذت منا حياةً خير بغيتنا فاسمح لنا بنفيس المال نفديها
مهلاً اقاربه كفوا دموعكم نفس الفقيد غدت في خدر فاديها
لا تحسبوا الحزن فيكم صار منحصراً فالارض طراً بكت واسودَّ ناديها
قد غاب بدر العلى منها فالبسها ثوب السواد بقاصيها ودانيها
قد مات لكنَّ ذكراه قد انتشرت كالمسك والدهر للاقوام ترويها
تبكي الكرام اخا الاراء سيدها تبكي اليتامى اخا المعروف مغنيها
يبكي الندى ربهُ والمجد حليتهُ تبكي البراعة بالعبرات باريها
يا راحلاً خلَّف الاحزان تذكرة متى نهاية احزان نقاسيها
ان الاسى شاملٌ كل القلوب وقد باتت ربوع العلى تبكي اهاليها
ما حالنا يانصير الحق بعدكمُ ما حال اوطاننا ما حال راجيها
لو جئت أحصي من الافعال ما صنعت ايديك لم استطع عداً فاحصيها
فلم يعد لي سوى فرض اقدمه فان ذلك فرضٌ جلَّ تنزيها
سقت غيوث الرضى والعفو تربتكم وجادها صيب الغفران يرويها
ودام رسمكم في القلب مرتسماً . ما زالت الطير تشدو في تغنيها

وقال نجيب افندي ابي خاطر

الموت حكم يعمُّ الناس مصرعه يردي الجميع ولا شيءٌ يروِّعهُ
فكم له في قلوب الناس قاطبة هولٌ ورعبٌ وذكرٌ لا يُضيِّعهُ

يصمي الغني كما يصمي الفقير ولو قد كان في فرح والقصر مرتعهُ
كم من ملوك هووا عن عرش مجدهم والموت يجزعهم والناس تجرعه
كم من شجاع له الفرسان خاضعة والان اضحى هبًا للترب مرجعه
فاين من قد علا متن العلا شرفًا قد بات طي الثرى والكل يتبعه
هذا ابو غانم الشهم الذي عظمت افعالهُ ونجوم السعد مطلعه
ندبٌ لهُ خرّت الشجعان طائعة والاسد من بطشه جاءت تطاوعه
حاز الفضائل والانصاف ديدنه حاز الشجاعة والايام ترفعه
قد مات هذا الهمام الشهم فانصدعت لموته الخلق وانهارت تودعه
ياويله نبأ قد جاءنا سحرًا ابكى العيون دمًا والقلب يوجعه
فضجت الناس من ذا الخطب وارتعدت والدمع مستمطرٌ والحزن يدفعه
تبكيه اطلالنا من بعد فرقته حزنًا عليه فوصل البين يقطعه
يبكي عليه صحاب كان يؤنسهم بكوا عليه بكاء ليس يسمعه
تبكيه ارملة ثكلى وقد لبست ثوب الحداد ونحو اللحد تتبعه
تقول يا سندي فارقتنا ابدًا ومن بعيد فراق الشمل يجمعه
يبكيه اولاده في كل آونة ما غرّد الطير والافنان مسجعه
صبرًا ايا آلهُ للرب مرجعنا والموت نهر طما والكل يقطعه
فاذهب ايا راحلًا عنًا تروم بقًا الى الاله الذي جلت بدائعه
يسقيك ربك من امطار رحمته صوب الثواب وما انهلّت منابعه

وقال جناب الياس افندي ابي سليمان

حياة المرء في الدنيا رحيلُ فلا يغوي الفتى عمرٌ طويلُ
فان سارت نياق العمر مهلًا فجاريها من الموت الدليلُ
ولو كانت سلامة كلّ حيٍّ فللاقدار وقتٌ لا يطولُ
متى حان الاوان فلا مناصٌ وما بالحكم ردٌّ ياجهولُ
فبينا المرء في دنياهُ راضٍ يعللهُ الزمان المستطيلُ
تناديهِ المنية اين ديني وهل ينجيه من دينٍ كفيلُ
فلو كفل الحياة شفيع مالٍ لفدى فقيدنا جمعٌ جزيلُ
ولو بدلت حياة في حياةٍ لعمرُ ابيك قد كثر البديلُ
عن الشهم المفدّى عميد قومٍ لهُ في كل مكرمةٍ سبيلُ
همامٌ فاضلٌ شيخٌ جليلٌ تناديهِ المروّة ياخليلُ
مضى فانصاعت الاكبادُ دهرًا وقام بحي معشرهِ العويلُ
وقد فرغت دموعٌ في انسكابٍ ولم يخل بها جفنٌ بليلُ
جزاكَ الله يامن قد فقدنا سقى مثواكَ غيثٌ لا يزولُ
ويا من قد بكيتم خير ماضٍ تعزوا واكففوا دمعًا يسيلُ
فانّ جزاءهُ خيرٌ جزيلُ وانّ عزاءكم صبرٌ جميلُ

وقال جناب رشيد افندي طعمه

سيوف المنايا في الرقاب قواضبُ تهدُّ قوى الانسان منها المضاربُ

فلا تستطيع المشرفية ردعها … اذا نهضت يوماً علينا النوائبُ
نعيش وحبّ الفانيات يذيبنا … وللموت عين لا تزال تراقبُ
نؤمل طول العمر والعمر زائل … واكثر آمال النفوس كواذبُ
لقد اوردتنا اليوم أشام مورد … فعدنا وكل للمرارة شاربُ
فأردت هماماً فقدهُ فطر الحشا … فياحزن سد ان العيون سواكبُ
توارى فاورى في الصدور صبابةً … فكلُّ فؤاد من لظاها لذائبُ
هو الفارس المغوار من ذاع صيته … ودانت له يوم الطعان المضاربُ
على وجهه الميمون في كل غارة … سماتٌ ترينا ليس للسبع غالبُ
همام تردى بالشجاعة والتقى … فهانت لديه الفادحات النوائب
مضى اليوم مصحوباً بخير فضائل … الى جنة فيها تنال الرغائب
هناك جزاءٌ للذين تدرعوا … بدرع التقى نعم الجزا والمكاسب
دعوا الحزن عنكم يا بنيهِ واهله … فسيف المنايا كل حيّ لصائبُ
سقى الله ارضاً حلها لحد غانم … وفاضت عليها من نداه ميازبُ

وقال جناب اسكندر افندي منصور القبع

تودع من الدنيا فعيشك زائلُ … ولا ريب عن دنياك انك راحلُ
فكل الهنا فيها غمومٌ وحسرةٌ … وكل نعيم في خباها لباطلُ
ترى ما الذي من صفوها المرءُ يبتغي … وما صفوها الا الشقا والبلابل
وماذا الذي من خير دنياك يرتجى … وقد نصبت للغدر فيه الحبائل

دعوها فعيش المرء فيها تعاسةٌ … فلا يرتجي الا الشقا والباطل

تعدكِ بادراك المعالي رخيصةً … وتبليك بالتهديد والموت فاعل

الا ايها الموت الزؤام فجعتنا … بفقد همام في الفضائل كامل

لقد كان في ظل القساطل ضيغماً … شجاعاً اذا في الحرب سُلّت فواصل

فاصبح لا شلّت يمينك ميتاً … تنوح عليهِ في البلاد الافاضل

وبتُّ لفي بحر من الغم والاسى … وقد صدعت حزناً عليه الجنادلُ

أنادي أأين الفخر والبأس والتقى … يجيب الصدّى اين العلى والفضائل

فتباً ليوم اظلمَ الحزنُ شمسهُ … وغانم فيه صادفته الغوائل

أيا غانم الذكر الجميل اصخ لنا … سماعاً فكل في فراقك قائل

اذا كنت ميتاً في التراب موسداً … فذكرك حيٌّ في القلوب وآهلُ

فياربِّ يارحمن اجعل مقرّهُ … بجنتك العليا لانك عادلُ

وهب لبنيه الصبر عفواً ومنةً … فجودك مدرارٌ وعفوك شاملُ

وقال جناب جرجس افندي واصاف

رنة الاحزان

ما حلَّ في الكون اني لست ادريه … لكن ارى الدمع قد فاضت مجاريه

اقول للجفن من ذا قد فجعت به … اراك تبكي فمن ذا جئت تبكيه

ليث العرين اباسمرا فوا اسفا … ايعذر المرء ان شحت مآقيه

قلبي غدا بلظى الاحزان مستعراً … والعين قد حاولت بالدمع تطفيه

من ذا يغر ويغري بالزمان ومن بعيد غانم آمال نرجيه

هي الحياة خيالٌ لا قرار له من ذا يعلق في ظلٍّ أمانيهِ

تريد تبلغ فيها ما تؤمله ايمسك المال غربال ويحصيهِ

تنقض كالصقر من جوّ البلاء على طير النفوس ومن للطير يحميهِ

لا مرحبًا بحياةٍ كلها مضضٌ من علّق القلب فيها سوف تصميهِ

دعها وودّع وأعرض عن محبتها فقد رأى مكرها من جئت تنعيهِ

ذاك الذي لو تخيرنا لنفديهُ لكان كل امرئٍ بالنفس يفديهِ

ماكان يخشى لظى الهيجاء اذا استعرت ولا يهاب اسود الروع تدهيهِ

تنبيك عنه سيوف الهند فالقة للهام ينبيك طِرف كان يجريه

ما زال في الله يبني ما تهدّمه ال م جلى ويهدم ما الاحداث تبنيهِ

قضى وقد ضاق صدر القوم فاعتركت فيهِ الرزايا اعتراكًا كاد يفنيهِ

كل بلبنان ينعي فقد غانمهُ عمّ المصاب فلا مروءٌ نحاشيهِ

بئس الزمان فان الغدر سيمته لا يفجع المرء الا في محبيهِ

الى مَ تطلب في دنياك نيل منى اتطلب الجمر في ماء وتذكيهِ

فلا تغرّ بعيش كله غصص تريك شهدًا وتخفي سمها فيهِ

صبرًا عزاءً بني سمرا لفرقة من يبكي عليهِ النهى والمجد يرثيه

قضى وخلد ذكرًا ليس يدرسه كرّ الليالي وذكر المرء يحييه

ان كان يخشى على الجسم التراب ففي ال م سما ملائك مولاه تحييه

دعا فلباه عبدًا طايعًا وكذا قد كان في الامس مطواعًا يلبيه

كل متى كملت ايام غربته   ينوي رحيلاً من الاوطان يدنيهِ

وقال جناب اسكندر افندي جبر

هو الموت يأتي في عشيٍّ وابكارِ   ويبدل كاس الصفو في كاس اكدار
ويأخذ منا كل شهم حلاحل   ويضرم في احشائنا لاعج النارِ
لعمرك ما الدنيا تدوم لاهلها   فعاجل آجال النفوس بها ساري
وما عيشة الانسان الاجهاده   ولا راحة للمرء في هذه الدارِ
الا يا عباد الله سيروا على هدى   ولا تأمنوا دهراً يجيءُ بانكارِ
هو الدهر لم يحفظ وتيرة يومه   فاني احتفاظ الصفو مدة اعصار
فطوراً يقوينا على كل طارق   ويطربنا الشادي بعود ومزمارِ
وطوراً يرينا فعله الضد والشقا   وتأتي الرزايا في عشيٍّ واسحارِ
لقد غال منا اليوم اكرم ماجدٍ   وافضل انسان يعد كجبارِ
تحاذره الفرسان في ساحة الوغى   وترهبه الابطال في كل مضمار
قضى تاركاً اهليهِ يبكون حسرةً   بانجاد بلواهم واكناف اغوار
همامٌ مضى والحيّ اصبح قائلاً   ابو سمرة مات اشتياقاً الى الباري
لقد كان ممتازاً بتقواه في الورى   وافعاله الغراء تزهو كانوار
وقد كان لا يخشى من الدهر مخلباً   ولا يختشي من يوم بأسٍ ومكار
مضى والقضا لو انه يقبل الفدى   فداهُ من الاصحاب عدة احرار

ولكنَّ حكم الموت حتمٌ على الورى ... فلا ملجأ للمرء في حكمه الجاري
وما الناس الا راحلٌ بعد راحلٍ ... على هكذا الايام تلوي باعمـار

وقال حضرة القس ليباوس تنوري رئيس دير حوب اللبناني

﴿ الطارقة ﴾

ما دار دنيانا بدار تُرغب ... والناس في ارزائها تتقلبُ
تأتي علينا بالشدائد والاذى ... والمرء لاهٍ عن ظباه يلعبُ
لا تأمن الدهر الخؤون فانه ... دهرٌ باظفار المنـايا ينشبُ
تبًّا لدار لا يدوم نعيمها ... وسرورها كالآل حالاً يذهبُ
فسعيدنا ياقوم من نال العلى ... بفضائل وفعائل لا تسلب
سقيًا لمغوار قضى متسلحًا ... عوض المهند سرٍّ دين يرهب
هذا الذي خدم البلاد بهمة ... شهدت لها سمر القنا والاقضب
هذا ابو سمرا الذي طعن العدى ... برماحه وجموعهم تتألب
وبموته وجب التأسي والبكا ... والدمع من عمق المآقي يسكب
خضعت له كل المعالي ذلة ... وسوى العلى بالله لم يك يطلب
ضاهى الاسود بفرط صولته التي ... من ذكرها الاعداء كانت تهرب
بطل تجند للوقائع عن صبًا ... يوم الوقيعة نصره لا يغرب

ذو غيرة للدين قلَّ نظيرها ... ولذاك قام لحينه يتغلب
كم من ضعيف مدهُ باعانةٍ ... وحبا الفقير فراح يشكر يطنب
سل عن فعائله الخصوم وغيرهم ... يأتوك بالاخبار عنه ويسهبوا
الطائر الصيت المؤبد ذكره ... فكانه شمشون اشجع اهيب
لوقائع الضرغام ذكرٌ دائم ... في معمع الهيجا تعدُّ وتحسب
ولقد حكى في الحرب داود الذي ... بعدوهِ الجبار وافى ينكب
ونظير ذاك الملك مات معززًا ... ولسانه بكلام ربي يخطب
يا للمنية كم تجندل فارسًا ... كانت به الفرسان تفخر تعجب
قد كان يسقي خصمه كاس الردى ... واليوم هذا الكأس طوعًا يشرب
من بعده تلقى مآثره التي ... فيها يفاخر شرقنا والمغرب
قد سار من هذه الربوع ميممًا ... احضان ابرهيم نعم المنصب
هذا مقام المتقين فحلهُ ... وحباهُ رب الاجر اجرًا يرغب
وجزاء من يقضي الحياة مجاهدًا ... دار السعادة حيث ليس تعذبُ

وقال جناب يوسف افندي افرام البستاني

هو الموت في الدنيا مسيءٌ وخوان ... فهيهات ان ينجو من الموت انسان
وما الكون الا قفرة في بقاعه ... يصول بها والمرءُ لاهٍ وولهان
الا ايها الانسان لم انت غافل ... ولم انت من راح التنعم نشوان

فدنياك مثل الآل تخدع منظراً فلا يرتوي منها امروءٌ وهو ظمآن
هو الموت مستولٍ علينا وعنده لسيَّان أشياخ الزمان وصبيانُ
فشلت يداه قد صمى قلب سيد يعزُّ له في ارض مثواهُ وجدان
فصبراً على عظم المصائب والبلا لفقد كرام امس كانوا وما كانوا
فمذ قد نأوا عنَّا المسرات قد نأت وعمت اهاليهم همومٌ واشجان
فبتُّ انادي غانماً اين غانم لقدبات طي اللحدوالدمع هتَّان
ففقدناه والاكباد امست كئيبة لفقدانه والدمع كالسيل تهتان
وصرت اليف الهم والغم والبلى وقلبي من الحزن المبرح سكران
فيا عين سحي الدمع ياقلب ذب اسى فاهل الندى في الحي بانواومابانوا
ويا رب اعطِ الصبر قلبي واهله م التجلد بعد الحزن ان حلَّ حدثان
وانزل عليه صيب العفو ما بدت شموسٌ وما مالت من الريح افنان

وقال جناب غيث افندي اللبناني

علي البطل المقدام خوض العظائمِ ونصرةُ مظلومٍ وسحقةُ ظالمِ
وعزتهُ ان جال في ساحة الوغى بسمر القنا والمرهفات الصوارم
وغبطته ان آبَ باليمن فائزاً وقد غلب الاعداء غلب الضراغمِ
هي الهمَّة القعساء تنهض بالفتى فيحسب نار الحرب مهد النواعمِ
نظير ابي سمرا الذي ساد في الورى وكرَّ على الاعداء كرَّ القشاعمِ
وحامى عن الاوطان في كل موقفٍ وذبَّ عن الاهلين ذبَّ الضياغمِ

بشدة باسٍ واتساع عزيمةٍ ومرهف رأيٍ فلّ جيش المخاصمِ
فكم حكّم الاسياف في منكب العدى وأروى الفيافي من دماء الغواشمِ
وأخضع ثوّارًا بغوا وتجبّروا وذلّلهم حتى غدوا كالبهائمِ
ففي ارض وادي التيم تلقاه فاتكًا باعدائه فتك الاسود الشياظمِ
كذاك براشيًا وسانور قد غدا دم الخصم يجري عن حشى وغلاصمِ
وفي ارض عيناتا ومجدل عنجرٍ كمسعر حربٍ أوقدت في ملاحمِ
وبيروت والبترون تذكر بطشهُ بابرام اذ ولّى كسيل الهزائمِ
وفي ما سوى هذي عداد وقائع لهُ كان فيها كالخضمّ الملاطمِ
لقد خدم الاوطان فيها جميعها بعزة نفسٍ واتساع مكارمِ
وأبدى من الاخلاص كل حميدة لدولتنا العظمى بكبح المقاومِ
فحاز رضى أُولي الامور جميعها وابهى المطايا والثنا والدراهمِ
وخلّد للاوطان مجدًا مؤثّلا تمدّدهُ دومًا جميع الاقالمِ
همامٌ بهِ لبنان قد ساد واعتلى وتاه افتخارًا بين كل العوالمِ
لتندبْهُ اهل الفضل من كل مشرق ويبكِ العلى فلّال جيش المخاصمِ
وتذرِ عليهِ الدمع كل قبيلةٍ وتُكسَ بأثواب الحداد القوائمِ
ويرثيه عصرٌ قد تحلّى بشخصه فما مثله ما بين ماضٍ وقادمِ

وقال حضرة الاب الخوري بطرس حبيقه

بكاسين تبكي والعيون عيونُ ومن رزئها في الخافقين سكونُ

يذكرنا الخنساء فيها وصخرها ... هصور له البيض الصقال عرين

عليها ادار الخطب ارحية البلى ... فدارت ودمع النائحين معينُ

وقد فقدت يوم المصاب اصطبارها ... ولم تعرف السلوان كيف يكون

هو الموت حكم ابرم الله عقده ... فهيهات تحمي أربعٌ وحصونُ

سنفنى ولا يبقى سوى الذكر بعدنا ... وما المرء الا ذكره وشؤون

كذكرى ابي سمرا الابيّ ومن لنا ... بامثالهِ انّ الزمان ضنينُ

فتىً أبت الدنيا عزاءً لفقدهِ ... ومنه الاسى بين الضلوع كمينُ

قضى فبكت منه الشهامة ربها ... وفي كل صدر لوعة وانينُ

وللحزن في احشائنا غَليُ مرجلٍ ... ومن دمعنا بردُ النسيم سخينُ

تفجّعت الدنيا عليه وانشدت ... قفوا فانظروا كيف العلاء دفينُ

قفوا نبك من قد كان وقاد فكرة ... يكاد يرى في الكون ما سيكون

قفوا واندبوا حزماً وعزماً وهمة ... ومن كان صعب الامر فيه يهونُ

ومن كان يوم الروع طلّاع انجد ... يدق القنا يوم الوغى فتلين

ويومٍ طمى بحر القوارع مزبداً ... فخاض وصدر الرمح منه سفينُ

وجرّد من بيض الصوارم مخذماً ... له في صدور القارعات فنون

على غيره شق الجيوب محرم ... وفي مثله الصبر الجميل يزينُ

فصبراً بني سمرا على خير راحل ... فدته اذا صح الفداء عيون

تزوّد من دنياه كل فضيلة ... وعلمنا كيف الحياة تكونُ

وخلوا الاسى فالموت حكم وكلنا ... لاحكام ربّ العالمين ندين

نبـــذة

في قرية بكاسين

بكاسين قرية عامرة في اقليم جزين من اعمال جبل لبنان تبعد عن دير القمر الى الجنوب خمس ساعات ومثلها الى الشرق عن صيدا وتعلو عن سطح البحر ثمانماية وخمسين متراً. كانت قديماً مزرعة صغيرة يملكها المتاولة وكان قضاء جزين من نحو مائتين وخمسين سنة ماهولاً من المتاولة ثم انقرضوا منه مهاجرين على التتابع الى قضائي صيدا وصور ولم يبقَ منهم في ايامنا هذه الّا جماعة في ناحية جبل الريحان وبضعة انفار في قريتي روم وبسري

وبكاسين لفظة سريانية تأويلها بيت الكؤوس كما رواه العلامة المرحوم المطران يوسف داود السرياني في كتابه الموسوم «القصارى» وقال غيره انها سميت هكذا نسبةً الى دير كان شماليها على هيئة كأسين والباء فيها لظرف المكان حسب اصطلاح السريان مثل برمانا وبتدين وبكفيا . غير انَّ لا اثر الان شماليها يدل على وجود دير سوى بقعة من الارض مغروسة زيتوناً يسميها السكان خربة الرهبان .

وبكاسين بالافرنسية معناها دجاج الارض وكان يكثر في خراجها ولم يزل له بقية حتى اليوم ولو كانت Bécassine لفظة المانية

لقلنا ان اسم بكاسين مشتق من هناك لانها كانت من املاك الفرسان الالمان في سوريا (مجلة المشرق ١ : ٩٦٩)

واما السكان فيتناقلون رواية في اصل تسمية قريتهم بكاسين نرويها على سبيل الفكاهة وهي : ان بكاسين كانت قديمًا ملكًا لرجل يدعى ياسين وكان له رعاة ترعى مواشيه فيها فاتفق انهم اوقدوا ليلةً من الليالي نارًا في حظيرة المعزى وناموا فامتدت النار الى السياج فاحرقته واندلع لسان اللهيب الى المعزى والرعاة فاحترقوا ايضًا ولما حضر ياسين الى مكان الحريق وشاهد ما حلَّ بماله بكى من فرط تأثره فقيل بكى ياسين واطلقوا من ذلك الحين على الارض هذا اللقب بكاسين اي بكاء ياسين والله اعلم . والرواية كانت محتملة التصديق قبل ان يجيء العلماء ويبحثوا عن اسماء الاعلام في بلادنا كما يفعل حضرة الاب العلامة هنري لامنس اليسوعي في الابحاث التي ينشرها تباعًا في مجلة المشرق الموسومة بالنتائج التاريخية في درس اعلام الاماكن اللبنانية

وكانت بكاسين في القديم قائمة في المكان المسمى حارة جندل وكانت تلقب بالمخفية لوقوعها في محل لا ترى فيه الا حين الوصول اليها لكثافة احراشها والتفاف اشجارها والذين يذهبون هذا المذهب هم الذين يقولون ان معنى بكاسين ايضًا بالسريانية المخفية . ولما ملكها المقدمون المتاولة سكان جزين انشاوا لهم فيها دورًا وجروا اليها

الماء من عين البساتين في اقنية تحت الارض ثم نقلها المقدمون لعدم جودة مناخ ذلك المكان الى رابية عالية تحت جبل ميشا في المحل المعروف بظهر الخربة ولكنهم اخلوا هذا المكان لبعد الماء عنهُ في الصيف ونقلوا العمار اخيرًا الى المحل القائمة فيه القرية اليوم وهو مرتفع عال يكشف على الجهات الاربع لاسيما الشمالية منها ولما نقلت الى مكانها الحالي اكثر السكان من غرس الزيتون والتوت في خراجها وهي تعطي اليوم من فيالج الحرير نحو عشرة آلاف اقة ومن الزيت نحو مائتين وخمسين قنطارًا عدا ريع الاملاك التي اقتناها اهاليها في جوارها

وقبل ان يبارح الامير فخر الدين المعني لبنان مأسورًا من احمد باشا الكوجك صاحب دمشق الى الاستانة سنة ١٦٣٣ ملك بكاسين الى النصارى واول من توطن فيها منهم رجل يدعى حبيب ابي شاهين واخر ابا علوان غانم وثالث يوسف جهجاه مطر وكانوا من لحفد ثم تلاه عفيف ثم حرفوش من بشعلي ثم جاء قوم من برج البراجنة من عائلة حنين ومن بيت ابي ناضر من بسكنتا . ثم اجداد عائلات يونس ونصر وعطيه ونمور ثم الخوري اسطفان الخوري عبود من بيت لهيا وكل واحد من هولاء المهاجرين خلف اولادًا وكثر نسلهم حتى صاروا عائلات كبيرة يؤلفون بلدة من اكبر قرى لبنان . وفي اواخر الجيل الثامن عشر جاء بكاسين ايضًا قوم من بيت لطفي من مزرعة

الشوف ومن بيت الحداد من قيتوله وبيت الياس سعد وبيت الراهب من نيحا وانضموا الى سكانها الاولين فزادت بهم القرية نموًا حتى بلغ عدد السكان نيف والفي نفس جميعهم من الطائفة المارونية سوى بضعة افراد من الروم الكاثوليك

وفي بكاسين كنيستان للموارنة ومدرسة للذكور بادارة الآباء اليسوعيين واخرى للاناث تديرها راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين . وفيها اخويتان للرجال الاولى للشيوخ تحت شفاعة الحبل بلا دنس والثانية للشبان تحت شفاعة القديس مارون المعظم واخوية للنساء ورابعة للبنات

وقد انشئ في بكاسين منذ ثمان سنوات قومسيون بلدي كان دخله السنوي اول الامر ثمانية الاف غرش ثم زاد حتى بلغ هذا العام نيف وثلاثة وعشرين الف غرش

وبكاسين غنية بمشاعها فلها غابة صنوبر جنوبيها لا نظير لها في لبنان طولها من الشرق الى الغرب ساعة وربع وعرضها نصف ساعة ونيف ولهذا الصنوبر شأن كبير عند البكاسينيين يحافظون عليه اشد المحافظة وقد جلبت منه البلدية الى وسط الساحة العمومية بقساطل من حديد نحو اربعين مترًا من الماء وهي مهتمة بان تجلب الى القرية ايضًا كل ما تعثر عليه في هذه الغابة من الماء الصالحة للشرب ولري الاملاك ولا يخفى ما في ذلك من دواعي العمران واسباب الثروة

واما المناخ في بكاسين فجيد والهواء معتدل والصحة العمومية حسنة والبكاسينيون موصوفون بالذكاء والاقدام يعترف لهم بذلك كل من عرفهم وقد اكثروا من ركوب الاسفار طلباً للمكاسب فصادف معظم المهاجرين حظاً وتوفيقاً وقد نبغ عدد ليس بقليل من افرادهم في الدين والدنيا تفتخر بهم البلاد وتعتز بهم بكاسين

لمحة

في نسب عائلة غانم في لبنان

ورد نسب هذه العائلة في كتاب خط مجموعة فيه انساب بعض العيال في لبنان يُعزى الى القس جرجس مارون الاهدني اللبناني وضعه في القرن السابع عشر نقلاً عن مجموعات خطية ولسانية ومحلية وقد عرضت هذه النسبة على العلامة بولس مسعد البطريرك الانطاكي الماروني سنة ١٨٧٥ فقال انها راجحة الاسناد وكان رحمه الله حجة المحققين في تواريخ وانساب العائلات اللبنانية

وممّا افادهُ القس جرجس المذكور في نسب عائلة غانم ان جدّها الاكبر كان موسى غانم ابن المقدم سماده اللحفدي وقد لقب بغانم نظراً لفوزه وغنمه في موقعة جبيل التي جرت بين المقدمين الموارنة

والمقدمين المسلمين في اول القرن الرابع عشر سنة ١٣٠٣ وكان النصر فيها للمقدمين الموارنة كما رواه المطران تادروس العاقوري والمطران جبرائيل القلاعي اللحفدي الذي قيل عنه انه كان ابن غوريه من بيت غانم في لحفد المولود سنة ١٤٤٩ والمتوفي سنة ١٥١٦

وقد اقتبست ما يلي من الكلام عن هذه العائلة من شيوخها وافرادها كالمرحوم ابي سمرا غانم وحضرة الخوريسقف يعقوب غانم وغيرهما ومن المعلومات المحلية فجاءت هذه السلسلة وافية ببعض المراد

بيت غانم في لحفد ثم في جورة بدران وفتوح كسروان وبسكنتا الخ.

كان من سلالة موسى ابن المقدم سعادة المذكور رجل اسمه جرجس اقترن بابنة من عائلة كرم في قرية لحفد التي هي فرع آخر من فروع عائلةِ غانم التي يتصل نسبها بالمقدم سعادة الموما اليه فرزق منها اربعة اولاد هم سرجيس وعسّاف ويوحنّا وغانم فغانم تزوج بامرأة من بيت ضو ويوحنا بابنة من بيت مطر وتزوج سرجيس بابنة من بيت كرم فرزق منها موسى وغانم وسعادة وفارس وابرهيم وخليل وابنة اسمها سوسان وكانت سوسان بارعة في الجمال فعرفها رجل كان مأموراً بجباية الخراج في لحفد من قبل والي طرابلس يوسف باشا سيفا فاحبها وطلب الاقتران بها فانكر ابوها عليه ذلك لنفور الابنة منه ولاختلاف الدين فساءَ المأمور ذلك وسوّلت لهُ نفسه ان يضرب

سرجيس ويغلظ له الكلام فلم يصبر والد سوسان على الضيم بل عاجل الجاني بضربة شديدة اودت بحياته واضطر اذ ذلك الى الهرب من غضب ابن سيفا الوالي فرحل باولاده واخوته الى جورة بدران في معاملة كسروان سنة ١٦٠٠ حيث لا يناله حكم والي طرابلس ولما تولى الامير فخر الدين المعني ولاية طرابلس سنة ١٦٢٧ عاد البعض من اخوة سرجيس واولاده الى لحفد ونسلهم باقٍ فيها حتى الان واما الباقون فبعد ان اقاموا مدةً في جورة بدران تفرقوا في الجهات فسكن سعاده قرية غباله في فتوح كسروان ونسله باق في غباله وقرى الفتوح وهم كثيرو العدد

وسكن موسى في قرية عجلتون ونسله باقٍ في عجلتون والقليعات حتى اليوم ويعرف بيت غانم بعجلتون ببيت فاضل غانم . وروى صاحب برنامج اخوية القديس مارون في ترجمة المطران بطرس كرم بان جدهم لقب بفاضل لان اقاربه هجروا عجلتون ولم يبقَ فيها سواه ومن الفرع الغانمي المقيم في القليعات اشتهر الراهب الناسك حنانيا القليعاتي الذي قضى معظم حياته في محبسة مار بطرس كريم التين في قاطع المتن

وسكن فارس بن سرجيس غانم في قصبة بسكنتا وكان قد سبقه اليها البعض من اقاربه بيت كرم الذين هاجروا اليها من لحفد واقترن فيها بابنة من تلك العائلة فرزق منها بنون هم على ما قيل صوما

ويوسف وصليبا وعبدالله وناصيف وبيت غانم وبيت كرم في بسكنتا عائلتـان كانهما عائلة واحـدة تربطهم وشائج النسب وتجمعهم اواخي الصداقة والمحبة

ومن فرع غانم البسكنتاوي اشتهر الخوري يوسف طانيوس بن ضاهر غانم كاهن موارنـة معلقة زحله الذي اولد بنين نبغ اكثرهم وهم :

١ً حبيب سرطبيب متصرفية لبنان الاسبق المتوفي سنة ١٨٩٦ واولاده هم يوسف وفؤاد الذي تولى مرتين عضوية استئناف الجزاء في دمشق الشام ومارون وحنا وابرهيم وكميل وميشال ٢ً الياس كان مأمور تلغراف بعلبك ٣ً سليم طبيب بلدية بيروت ثم طرابلس الشام وكان من انبغ اطباء عصره وتوفي في عنفوان الشباب سنـة ١٨٨٠ ورزق فرنسوا وهو باشكاتب القلم الاجنبي في متصرفية لبنان ٤ً انطون الذي كان طبيب اول في ولاية قسطموني في بر الاناضول ثم طبيب مركـز المتصرفية في لبنان مع اخيه حبيب ثم طبيب متصرفية طرابلس ثم طبيب اول لبلدية دمشق الشام ولولاية سورية مدة ستة عشر سنة واولاده هم الدكتور وديع وخليل وعزيز وكمال ونجيب وتوفيق وبهجت ٥ً جرجي كان طبيب قضائي المتن وزحله ثم متصرفية اللاذقية ٦ً ضاهر وهو طبيب عسكري برتبة امير الاي مقيم حالياً في اليمن

ومن كهنة عائلة غانم البسكنتاوية المرحومان الخوري يواصاف الكتّاني وابنهُ الذي دُعي باسمهِ ايضاً . وفي يومنا هذا الخوري شكرالله عبد الله غانم والاب تقولا الكتّاني الراهب الانطوني

وهي ذات ثلاثة فروع كتّاني وأبو ذهني وغانم يجمعها جدٌّ واحد وهو فارس بن سرجيس بن جرجس بن موسى (الملقَّب بغانم لفوزهِ وغنمهِ في موقعة جبيل الآنفة الذكر) ابن المقدّم سعاده للحفدي

وقد هاجر منها شبَّان كرام الى الديار الاميركية فأصابوا نجاحاً واكثرهم من خيار الجالية السوريّة فمنهم في كندا : جرجس رامح غانم وفي ولايات السبنيول : رشيد خليل جرجس واخواهُ ساسين وجرجس وفي نيورك : سليم الياس وابن عمه طانيوس عبده واخوهُ جرجس . وبطرس سعد واخواهُ بولس وسعد . ومخلوف يوسف وبشاره وشاكر ولدا غانم بشاره غانم

وتوطن ابرهيم بن سرجيس غانم في قرية عينطوره في كسروان ولما شبَّ ولداهُ خليـــل وغانم تقيدا في خدمة الامير فخر الدين المعني فخليل صار خوليًا على امـلاك الامير في بيروت وهو جد فرع بيت غانم في هذه المدينة وغانم المكنى بابي علوان تعين خيَّالًا فارسًا بين رجال حاشيته وهو جدّ عائلة غانم في بكاسين

بيت غانم في بيروت

فخليل خولي الامير فخـــر الدين اولد ابرهيم وابرهيم اولد خليل

وخليل اولد جرجس وراح وابرهيم ورزق الله وزينون وغانم. فزينون
اولد ابرهيم ومخايل وابرهيم اولد الياس والياس اولد ابرهيم وصليبا
وابرهيم اولد خليل ويوسف وخليل اولد ابرهيم ومخائيل. فابرهيم بن
خليل بن ابرهيم بن الياس بن ابرهيم بن زينون (ويعرف بيت غانم
ببيروت ببيت زينون) اولد اربعة اولاد ١ً الياس وهو الذي تولى سنين
طويلة وظيفة ترجمان قنصلاتو جنرالية دولة فرنسا في بيروت وحاز على
عدة اوسمة من الدولة العلية وفرنسا والبابا الخ . واولد حبيب وهو
دكتور في الطب يقطن الان مع ابيه وبعض اخوته القاهرة وقد نال
الرتبة الثانية مع لقب بك من الدولة العلية ومارون وابرهيم ومخايل
ونعمة الله ويوسف ومارون ساكن بيروت اولد الياس ونقولا ٢ً خليل
وكان من نوابغ الرجال عيّن ترجمانًا في متصرفية بيروت ثم ترجمانًا في
ولاية سوريًا ثم ترجمانًا للصدارة العظمى في الاستانة العلية ثم عضوًا في
مجلس المبعوثان نيابةً عن موارنة سوريا سنة ١٨٨٧ وقد ترجم كتاب
الاقتصاد السياسي والرياسي الى العربية ثم رحل الى مدينة باريز وتروج
فيها وتوفي سنة ١٩٠٣ بدون عقب ولهُ عدَّة تآليف نثرًا ونظمًا منها
كتاب ديني عن « المسيح » ٣ً عبدالله وقد خدم البنك العثماني في
بيروت سنين طويلة واحيل منذ سنتين على التقاعد ٤ً شكري تولى
الكتابة في ديوان الترجمة في تونس مدة ثم انتقل الى مدينة باريز وهو
شاعر مطبوع في اللغة الافرنسية حتى ضارع في هذا الفنّ الجميل

اشهر شعراء الفرنسيس وله رواية عنترة العبسي بالافرنسية

ومَّا جرجس اخو زينون فقد اولد يوسف ولطوفًا وخليلًا وعسَّاف فيوسف اولد سليمان ومنصورًا في عينطوة وخليل اولد رزق الله وجرجس في بيروت وجرجس هذا تعلم العلوم عند نسيبه المطران مخائيل فاضل اسقف بيروت ثم سيم كاهنًا سنة ١٧٦٥ ولما انتخب المطران مخائيل الموما اليه بطريركًا سنة ١٧٩٣ بعث به معتمدًا من قبله الى رومية العظمى وقد عاد منها حاملًا له درع التثبيت كما هو مذكور في ترجمة هذا البطريرك

وامَّا الياس بن منصور الذي ولد في عينطورة فكان شجاعًا وقد أُقيم من البطريرك يوسف درغام الخازن والسيد يوسف السمعاني بوابًا محافظًا وقت انعقاد المجمع اللبناني في دير سيدة اللويزة في كسروان في شهر ايلول من سنة ١٧٣٦ . فحفيد الياس هذا اولد لطف الله ويوسف وحبيبًا ولويس وابرهيم . فحبيب نزح الى القطر المصري ويوسف ولويس انتقلا الى صيدا . فلويس توفي اعزب ويوسف اولد لطوفًا ولطوف اولد يوسف ويوسف اولد بشاره وحنا وبشاره تعيَّن مأمورًا للديون العمومية في صيدا وغير مدن وتوفي والده في حيفا

وامَّا يعقوب حفيد رامح غانم في بيروت فقد اولد منصورًا ويوسف ومنصور اولد بطرس وبطرس اولد الياس واسكندر

ويوسف واسعد . والياس اولد سليماً ونجيباً ويوسف ومخائيل

بيت غانم في بكاسين

قلنا انَّ غانماً المكنى ابا علوان ابن سرجيس غانم تجنَّد في خدمة الامير فخر الدين المعني فكان ملازماً لهُ الى حين خروجه من هذه البلاد :

وملخص ذلك ان السلطان مراد خان لمَّا رأى كثرة الشكايات على الامير فخر الدين امر سنة ١٦٣٢ احمد باشا الكجك صاحب دمشق ان يحاربهُ ويلقي القبض عليهِ فلم يقوَ أحمد باشا على التغلب على الامير فاغضب ذلك السلطان واصدر امرهُ باهلاك آل معن وارسل جعفر باشا وزير البحر بالاسطول السلطاني الى طرابلس ومنها الى بيروت وانضمَّ الى جنودهِ آل سيفا وآل علم الدين برجالهم وجاءَت العساكر براً من حلب ودمشق فراع ذلك المعنيين فانهزموا امام كثرتها ففرَّ بعضهم الى عجلون وغيرهم الى المرقب وتحصن الامير فخر الدين في قلعة شقيف تيرون المعروفة اليوم بقلعة نيحا لوقوعها بقربها وكان بصحبتهِ مدبره الشيخ ابو نادر الخازن وعبده سرور اغا وأبو علوان غانم المار ذكره . فجاءَ احمد باشا لحصاره ونصب المدافع على راية عالية شمالي بكاسين ويعرف هذا المكان اليوم بتلّ الباشا وأخذ يطلق منهُ القنابل على القلعة . غير انهُ لم يلحق القلعة بسبب بعد المسافة ضرر يذكر ولمَّا رأى أحمد باشا ذلك عرف من أين تتحدَّر المياه الى القلعة فعمد الى افسادها

بالاقذار والدماء فاسنت الماء واضطر الامير وحاشيته الى الهرب من القلعة فتدلوا منها ليلًا وفرُّوا الى مغارة شقيف شاوف جزين المجرورة اليهِ ماء عزيبة من وادي خربة باطون بقنــاة منقورة بالصخر وهي امنع من قلعة نيحا لا يُصعد اليها الَّا بسلَّم من خشب فتبعهُ الوزير الى هناك وأمر الحجَّارين والقطَّاعين بنقر الشقيف والغامه بالبارود من اعلى ومن أسفــل فاضطر الامير الى التسليم وساقهُ الوزير الى دمشق ومنها ارسلهُ الى الاستانة مع اولادهِ منصور وحسين وبلوك وبعد ان اقاموا فيهــا مدَّة امر السلطان بقتلهم فقتلوا . ويروى انَّهم ماتوا على دين المسيح والله اعلم

ومن المحقق ان النصارى في ايام حكم الامير فخر الدين المعني اعتزُّوا بدينهم واكثروا من بناء الكنائس وركبوا الخيول مسرجة واعتموا بعمائم بيضاء وحملوا السلاح مجوهرًا وكان ذلك كلهُ محذورًا عليهم من قبل . وجاء بلادنا المرسلون الافرنج وكان اكثرهم من ايطاليا ومن دوقية توسكانا التي اقام فيها الامير فخر الدين مدة خمس سنوات من سنة ١٦١٢ الى سنة ١٦١٧ . وكان النصــارى احلاف الامير فخر الدين وكانت لهُ فيهم ثقة عظيمة فكان مدبروهُ من آل الخازن ورجال حاشيتهِ ومعظم عسكرهِ من الموارنة . وفي عهدهِ دخل النصارى اقليم جزّين وكان قبلًا لا يقطنهُ الَّا المتاولة . والامير فخر الدين المعني والامير بشير الشهابي الكبير هما أعظم من حكم لبنان

فلنعد الآن الى الكلام عن أَبي علوان غانم ونسبه فنقول: كان الامير فخر الدين قد وهب قرية بكاسين بعد ان طرد منها المتاولة الى بعض خدمهِ فاعطى ربع القرية الشمالي غانمًا أَبا علوان المذكور وربعها الجنوبي حبيبًا أَبا شاهين وربعها الغربي جرجس أَبا عيد ومزرعة الجديدة يوسف ابا جهجاه مطر ونصف مزرعة مشموشه جبر ضو الملقب بابي عتمة وهؤلاء الرجال المذكورون جميعهم من لحفد تجمعهم رابطة النسب . واسكن في قرية قيتوله أَحد ابناء عم ابي علوان غانم ونسله باقٍ في قريتي قيتوله والقبع الى اليوم ومن احفاده نوفل الذي اولد ملحمًا وامينًا وسليمًا ويوسف وهؤلاء الشبَّان هاجر بعضهم اولًا الى القطر المصري ثمَّ الى المكسيك وأَصابوا نجاحًا وقد اشتروا مزرعة القبع من الدروز واصبحت ملكًا لهم

امَّا علوان بن غانم حاجب الامير فخر الدين المعني الآنف الذكر فانهُ تزوَّج بسوسان ابنة عسَّاف الحوند من قرية نيحا وسكن في ملك ابيه في بكاسين فاولد كيوان وحبيبًا وفارسًا وناصرًا

فناصر اولد علوان وبولس . وعلوان اولد ناصرًا . وبولس اولد حنَّا . وحنَّا اولد جرجس وهاشمًا الملقب بالمجلي . وهاشم اولد نعمة ونجمًا ومباركًا وحنَّا . وناصر اولد يوسف

فيوسف بن ناصر بن علوان بن ناصر بن علوان بن غانم اولد

اباسمرا الاول وابوسمرا هذا اولد غانمًا وناصرًا ونخولًا وخير الله . فخيرالله اولد يوسف وجرجس و ﴿ اباسمرا الثاني ﴾ البطل اللبناني . فيوسف ابن خير الله اولد فارسًا ونصرالله . وجرجس بن خير الله مات اعزب

وابوسمرا اولد سليمان ويوسف وسليمًا وابرهيم وخليلًا وابرهيم وقد ورد ذكرهم في تاريخ ابيهم . وفارس بن يوسف لم يرزق ولدًا واخوهُ نصر الله اولد يوسف وخير الله وسعيدًا

ومخول بن ابي سمرا الاول اولد فرنسيس وناصيفًا ففرنسيس اولد اسعد واسعد اولد عبده وعبده اولد يوسف . وناصيف بن مخول اولد ضاهرًا وراشدًا فضاهر لم يرزق ولدًا وراشد اولد يوسف

وغانم بن ابي سمرا الاول اولد ابرهيم وغنيمًا فغنيم مات اعزب وابرهيم اولد غانمًا وحبيبًا وبطرس وبولس . فبولس اولد اسعد وابرهيم ويعقوب وبشاره . وبطرس اولد الياس وطانيوس . وحبيب اولد فارسًا وفارس اولد حبيبًا واسكندر

وغانم اولد ابرهيم الذي مات يافعًا وساسين وهذا اولد يوسف . واسعد بن بولس اولد نجيبًا وسليمًا وبولس . فنجيب اولد جرجس . وبشاره تولى عدّة مأموريات في ادارة الرژي في ولايتي بيروت وسوريا واولد فريدًا وبديعًا . وابرهيم بن بولس مات يافعًا . ويعقوب بن بولس دخل سنة ١٨٦١ في جمعيــة المعلمين الكسافــاريين في بكفيا وسيم كاهنًا سنة ١٨٧١ وجعل نائبًا اسقفيًا في لواء عكا وعضوًا في مجلس

ادارتها سنين طويلة وسنة ١٨٧٧ رقاه المطران بطرس البستاني بعد استشارة البطريرك بولس مسعد الى رتبة خوريسقف على عكاء وصور وسنة ١٩٠٠ عاد الى بكاسين معتزلًا الاعمال وهو عالم بالقوانين والفقه وناظم ناثر وله ديوان شعر وتأليف تاريخي موسوم بالبارجة الصودية في تاريخ موارنة سورية وكلا الكتابين لم يطبعا

والياس بن بطرس بن ابرهيم توفي بدون عقب ذكر . واخوه طانيوس توطن حيفا واولد ناصر وبطرس والياس وفرنسيس ومارون

وحبيب بن فارس بن حبيب بن ابرهيم بن ابي سمرا الاول هاجر الى القطر المصري وتعاطى اولًا تجارة الدخان السوري ثم درس الشرائع المصرية وزاول في القطر المصري فن المحاماة فبرع فيهِ ونال شهرة وحاز على الرتبة الثانية من الدولة العلية مع لقب بك . ثم انقطع الى تجارة الاملاك واقتنى عقارات واسعة وأسس مع بعضهم شركة المباحث الزراعية المصرية التي يرأسها المسيو جورج عيد قنصل بلجكا في القاهرة واخوه اسكندر يقيم معه ويعاونه في اشغاله

واما ناصر بن ابي سمرا الاول فقد نقله الشيخ بشير جنبلاط الى مزرعة اقان في اول القرن التاسع عشر فاولد فيها سليمان وقزحيًّا وابرهيم وغانمًا . فغانم اولد سليمان وسليمًا وابرهيم . وابرهيم بن ناصر اولد فارسًا وملحمًا وذيابًا . وقزحيًّا بن ناصر اولد يوسف واسعد وعبد الله . وسليمان بن ناصر لم يرزق ولدًا . وعبدالله بن قزحيًّا اولد

الياس وخليلًا وبشاره . وفارس بن ابرهيم اولد حبيبًا ويوسف . وملحم بن ابرهيم اولد خليلًا وابرهيم . وسليمان بن غانم اولد يوسفًا وذيابًا ونخير وموسى . ويوسف بن سليمان اولد توفيقًا وفيليب . والياس بن عبدالله اولد يوسف وعبدالله وبشيرًا . فعبدالله انتقل الى قرية برتي وتوطنها . واما نعمه بن هاشم بن عم ابي سمرا الاول فقد اولد رزق الله . ورزق الله اولد نعمه . ونعمه اولد رزق الله . ورزق الله اولد نعمه وبشاره ويوسف . ونعمه اولد فريدًا

ونجم بن هاشم اولد عوّادًا وعوّاد اولد جبرائيل . وجبرائيل اولد كريمًا وعوّادًا . فعوّاد اولد جرجس وجبرائيل . وجرجس اولد ملحم ويوسف . وملحم اولد طانيوس . وكريم اولد مرعيًا وبطرس ومرعي اولد سليمًا وسليمان وتوفيقًا ويوسف

وحنَّا بن هاشم اولد نجمًا ونجم اولد حنَّا وحنَّا اولد هاشمًا وهاشم اولد طانيوس وطانيوس اولد يوسف وحنَّا . ويوسف اولد طنوس وطانيوس . فطنوس قطن عمشيت

ومبارك بن هاشم اولد يوسف . ويوسف اولد مباركًا وارميا . فمبارك اولد قزحيًّا . وقزحيًّا اولد يوسف وامينًا . ويوسف ابن قزحيًّا اولد سعيدًا واسكندر . وامين بن قزحيًّا اولد يوسف وابرهيم . وسعيد ابن يوسف يقيم الآن في المنصورة (مصر) ولهُ شأن بين رجال الصحافة وقد أصاب نجاحًا . واسكندر اولد قيصرًا (انتهت)

لمحة في احوال لبنان بعد سنة ١٨٦٠

بعد ان وعدنا في فهرس الملحق بنشر هذه المقالة
ارتأينا تاجيل طبعها الى فرصة اخرى

بعض قصائد عثرنا عليها من اقوال العامة وفي بعضها مدح ابي سمرا

١ قصيد للقوال يوسف المعلوف يصف فيها عظمة الامير بشير
ويذكر حوادث سنة ١٨٤٠ و ١٨٤١

يقول يوسف من ضميره هلقصاد(١) قول المعاني يفسخ يم الجماد (٢)
نبدا نمدح كرسي بلاد الدروز(٣) تعمرت في عز وصفا ورغاد (٤)
كانت طيور السعد وديوك الحبش وفروخ الباز من شانه (٥) صياد
والسقوفيات مطليات ذهب (٦) والنوافر شامطة لحد الجلد
والقهاوي دايم تمتدح بها والقناديل الضاوية بليل السواد
والمنادي ينادي صبح ومسا العيش يا من عاش من قبل الرقاد
حاكم تحتها بشير الشهاب مير بر وبحر يحكم في العباد
ديرة عرب بستان طاعت لو من ارض الترك لبلاد السواد
كان يهمر همرات الاسود وكل المناصب لاوامره تنقاد

---

(١) هذا القصيد (٢) الصخر الاصم (٣) سراي الامير بشير في بتدين (٤) رغد (٥) الضمير عائد الى الامير بشير (٦) كقاعة العامود وغيرها

يا ما انوجد فيها مناصب مع وزر جايين دواخل يطلبوا صفو الفواد
والنصـارى دوروا دولابهم تيشيلوا اهل مصر من ها البلاد
نزول فرنسيس (١) في مركب حبيس؟ لبلاد قبسيس ؟ عامالطا ورد
خرجت عمارة (٢) عاشط البحور مدن الحصـار هدوها هدد
تسلموا ببيروت مع صيدا وصور بضربة النبوت كقصف الرعاد
ضربوا عثمان باشا في الوطـا (٣) راحت عساكره قطايع بالوهاد
حسّبوا حكم ابرهيم (٤) ما بيزول تم سعده ما بقى لهـا افاد
شيّل ابرهيم لبـلاده ورد دشر الاحكام لعبد المجـاد (٥)
نزل المـير (٦) سـلم للفرنج لعند الانكـليز عامالطا ورد
لبّسوا بشير بن قاسم مطرحـه اجته الخلايع تايصون كل البلاد
ما احد اخذ منه ولا عطـاه خزقوا اوامره من بعد الرصاد
قد عملوا الحركوشه صيدة حجل كان راس الشور نصيف بو نكد (٧)
قال هذه بلادنا والحاكم شيخ كيف يحكموا الخنازير في البلاد
شدوا قلوبكم وتعددوا ياشبـاب تنقيم الحلاج والحصـاد

(١) الشيخ فرنسيس ابي نادر الخازن
(٢) كانت مؤلفة من اساطيل الدولة العلية وانكلترة والنمسا
(٣) عثمان باشا المصري الذي كان مرابطاً في وطا الجوز
(٤) ابرهيم باشا قائد الجنود المصرية الاكبر (٥) السلطان عبد المجيد
(٦) الامير بشير الكبير (٧) من اكبر زعماء الدروز

نكسب اهل الدير١ هودي ها الانجاس   شاباش ٢ لاهل الدير هودي الاسياد
شاباش لكم يا سباع الدير   يلي (٣) مثلكم ما ربي احد
ضايقهم الدروز بالحصار   تسعة عشر يوم كونهم ما برد
جينا على بعبدا بعسكر كبير   تاري (٤) الخون موجود في كل البلاد
نحن نريد الشرّ ما احد يقبله   تاري الخون موجود ابليس ما انطرده
درفوا اعلام لزحله قوام (٦)   لعند المطران بالساعة نفد
امر المطران (٧) عا سباع الفلا   صبيان زحله يرعوا بقلوب الاعاد
وشيوخ المدرزه (٨) درفوا اعلام   لشبلي العريان (٩) ليجمع جرد
جمع دروز ونصارى (١٠) وعرب   واسلام ويهود والباقي اكراد
وصلوا لقب الياس وقتقوا   قاصدين الشر يضطهدوا اضطهاد
صارت الغوشه يوم السبت كان   اولهم بوسيف الدين (١١) قدامهم ورد
الشيخ شبلي (١٢) تاه وانهدت قواه   والرصاص اتاه بالرقبه ما حاد
راح ما عاد يدري الدرب وين   راحت عساكره قطايع بالوهاد

---

(١) دير القمر   (٢) كلام تحبب   (٣) الذين
(٤) بمعنى يظهر   (٥) يريد ان بعض الامراء والاعيان من النصارى كانوا راضين من هذه الحركة اذلالاً للامير بشير قاسم الوالي
(٦) حالاً   (٧) بولس شاهيات مطران زحله على الروم الكاثوليك
(٨) الدروز   (٩) زعيم دروز جبل الشيخ
(١٠) كان النصارى المتوطنون بين ظهراني الدروز يقاتلون معهم في المعارك التي انتشبت بين الطائفتين   (١١) زعيم درزي   (١٢) شبلي العريان

صار يقص ذنين ربعه ويبعتها للجبل ليزيد رغبه واجتهاد
يقول بس تعوا احضروا واكسبوا شيلوا مال زحله بالفرد
راحت هونيك واجتمعوا كمان في امان وراي تايقروا بُرد
صرت تشوف سوق المعلقة انسد روس

من سيف بوحود (١) وعليه الصياد

تشوف بوقبلان يضرب بالسهام كانه اسد درغام كسبع جواد
تشوف القتل مليان الظهور والجثث محاوطه كل البلاد
صارت تصيح النسوان راحوا رجالنا

يا لطيف اللطف يا عالي الجلد

صاروايدقواعلى صدورهم ويطلبوا ودقت الاجراس ما مسكها احد(٢)
اجاهم بوسمرا (٣) من ميل الشمال بقي لهيب الحد كريش القصاد
تشوف نار حمرا تشتعل ولوا الاعادي من دربه طراد
نختم باذن البكر والحمد للرؤوف يوسف المعلوف الف هالقصاد

٢ وقال غيره يمدح ابا سمرا

عفاتلرم بو سمرا ان كنت حرقت المختاره
عفاتلرم بو سمرا حرقت قلوبهم بجمره

---

(١) قبلان البحمدوني احد فرسان النصارى المغاوير

(٢) هي رواية شائعة في لبنان بان اجراس الكنائس في زحله قرعت من يد خفية وكانت سبباً لفوز النصارى على الاعداء. (٣) بطل الكتاب

لما هجموا عالشرور حرقوا البيوت والدور
وكان بو سمرا الغيور قدامهم راكب غاره
اطلقوا عليه البكويه وتليق له الاميريه
خدامه تسعميه وموقفهم صباره
موقفهم للمساكر ومسلحهم تذاكر
واللي منهم يفاكر حالاً يعملو غداره
بو سمرا والشنتيري يسووا ثلثين الديره
اصحاب مروه غزيره ولا يعتبروا الخساره
ولا يعتبروا المال يحبوا كثرة الرجال
صار معهم الف خيّال وعليهم عقدوا الاماره
انتصروا على اعداهم اهلكوهم فداهم
وقالوا مقضيه بلاهم لانهم خربوا الاداره
لانهم خربوا البلاد وما يمشوا الّا بالعناد
جاهم عنتر ابن شدّاد وخرّب لهم العماره
بوسمرا يا بكاسيني قال ما شلّت يميني
ان الله بيعافيني ويعطيني قوه وشطاره
وانا منّي متعدّي قدّامي ما حدْ بيهدّي
وغادي ما يغلب متغدي مع الاسود القهاره
لا تقولوا بوسمره صغير بل هو رجل قدير

هجم عليهم مثل الزير وشتتهم في القفـاره. الخ.

٣ وقال غيره

تعـالوا نحكي يا حضار نعلمكم بلّي جرى وبلّي صار
لمّا طل الكومندار(١) ومعه اتنعشر مستشار
مراكبهم لمّا طلّت مقـابل المينا حلّت
اكابر بيروت فلت قناصلها وكل التجّار
وصلوا للمينا وهدوها(٢) وطووا قلوعها وشدّوها
ستـين قطعـه عدوها ومنها ست مراكب نار
قالو لو يامحمود بك(٣) سلم والامان عليك
يمّا بكره منفرجيـك حرب النمســا هالقهّار
حرب النمسا بالتحقيق اخباره تصلح وتليق
لمّا يضرب حراريق (٤) تسمع لها بالجو اخبار
جبخـانه وبواريـد تنقل شباب قد ما تريد
كيلين قمح وكيل سميد وسبع سنين معاف واكثر ؟

(١) يصف وصول عمارة الدول المتحالفة لاخراج العسـاكر المصرية من سوريا سنة ١٨٤٠. (٢) اوقفوها (٣) متسلم بيروت المصريـ
(٤) كانت المراكب النمسوية ترسل في الجو اسهماً نارية وكانت تلقي الرعب في القلوب غير انها لم ينتج عنها ضرر

في بعلبك عملوا ديوان   شريف باشا (١) والبيكان
بعلمك بوسمدى (٢) كان عجزان   عاود اجاهم ذي النَّار
عملوا الديوان وخاصوا   وكلمن لبَّش عافرسه
اهالي المتن انقرصوا   من الشرّ اللى بشتورا صار
الميرمحمود (٣) راح على جونه   بستين زله مفهومه
وقال قومه ملعونه   فيها ملوك فرنج كبار
الميرخليل (٤) نزل على الحرش (٥)   قال نسترضيهم بالقرش
المير امين (٦) قعد بالقرنه   وقال يارب تدبرني
يجي العسكر يحشرني   اروح اتخبأ في الدوار
كتبوا البيلوردي ياجماعه   وراحت بتنعشر ساعه
فكها ابرهيم (٧) وقراها   انقطع ظهره من الزنار
الباشا راح على طاميش   وقال كسروان صارت بخشيش
ضربوا كله إجت بالهيش   ودحرجت اربع حجار
ضربوا كله عن تابات   اخذت في دربها ثلاث توتات

---

(١) والي الشام المصري   (٢) الامير بشير الكبير
(٣) حفيد الامير بشير   (٤) ابن الامير بشير
(٥) حرش بيروت حيث كان يجتمع شراذم الثوار بقيادة ابي سمرا
(٦) ابن الامير بشير   (٧) ابرهيم باشا

ابرهيم باشا فتوره فات ما هداهش للوعار
قدم المير خليل للباشا وقال له كسروان بتتلاشى
انا لا قطع معاشا واتركها في البلاد بوار
قدَّم ابن حماده (١) وقال لُو علي بكسروان كله
هودي (٢) نصارى بيفلوا ما هنيش ضرابين نارا
اول شر وثاني شر اجاهم بو سمرا سبع البر
ابن حماده صار ينصر (٣) ما سحب سيفه ولاغار
اسمعوا حسَّه وعياطه قوسه بو سمرا تحت باطه
ابكي ونوحي يا مراته ولوتي ثيابك بالشحار الخ الخ

٤ وقال غيره

صومي ونوحي يا بنيه وادعي بنصر العاميه
قمنا بالستة وخمسين (٤) متورخه عالهجرية
تورخناها يا شباب ما في شي بلا سبب
ابرهيم باشا يا ولد ندم على البندقية
ندم على البارودي الفيني غلبت الجوده

---

(١) علي بك حماده من بعقلين كان من فرسان لبنان الصناديد
(٢) هؤلاء. (٣) كلمة معناها تتملص وانقبض في لغة اهل سورية
(٤) سنة ١٨٤٠ مسيحية

ونضامه كلها معدوده   لا يا دولة المصريه

لا يا دولة المحروقه   بهـا السنه حمي سوقه

كان بدك هالطقوقه   اجاك دفعه من المتينيه

والشـاني من كسروان   غداً منَّادي الامان

وبوسمرا اجاه فرمان   عا راسه الف وميه

الف وميه عا راسه   ما عـدا باقي حواسه

لو بتشوف قواسه   بظهور الاشرفيه (١)

يركب ويقول فداكم   بوسمرا اقشعوه جاكم

هذا يقهر اعداكم   ومعه رجال الضنيه

معه شبـاب الرماحه   وخيله تفلح فلاحه

النظام رمت سلاحه   واحتمت بالعـاميه

٥ وقال غيره

من قال المعنى من ضميره   اجلى القلب بعد ان كان صدى

سألت رفاقي يخبروني   عن العدو ما بدري وين هدى

سألت رفاقي يخبروني   خايف بالخبر ما يشملوني

على هالوصف ما قرّت عيوني   بوسمرا باول شر بدّى

بوسمرا جاهم من مغرب   صوب الشوف مش قاصد يخرب

بوسيف الدين(٢) صار وجه مترّب   رمشة عين ما معه هدى الخ .

---

(١) محل دير راهبات الناصرة في بيروت   (٢) احد زعماء الدروز

٦ وقال غيره

بوسمرا بحسامه تكنّ   حد سيفه على العدوان سنّ
صاحت الدشمان يا رب المجير   من يرد سيف بوسمرا عنّا
صاحت الدشمان يا رب المجير   في ظهر الجواد مثل بوليلى الزير
فاض علينا مثل فيض النيـل   ورمحه في دما الفرسان تحنى
رمحه في دما الفرسان جاد   ما يرى مثله في ظهر الجواد
يشبه للفتى عنتر بن شداد   صوته في يوم الحرب غنى . الخ

٧ وقال غيره

يا لطيف اللطيف يا لطيف   يا اله العرش يارب العبـاد
والطوايف قايمه عابعضهـا   بجيش وافر ما يعلم له عدد
عملوا ديوان اكابر البلاد   بعثوا مكاتيب لكل العباد
كتبوا لابوسمرا عقيد رجالنا   تايهيوا للحرب ما بدها قعاد
فز بوسمرا على حيله جاس   مثل فرخ الباز في يوم الجلاد
كتب لسعيد من عنده كتاب   قال اليوم حربك يابن شداد
هذا اليوم يوم المرجله   يا غيرة الدين يوم لا ينحـاد
هذا اليوم يوم المرجله   تهيوا للحرب يا بيت العماد
كثرة الجيوش ما توهمني   وما يكثر قش على حصاد
سنة الف وثمانيه محرره   سنة الستين تحرير القصـاد

٨ وقال غيره

يا لطيف اللطف ياستار   على ما جرى وعلى ما صار
الدروز عملوا جمعية   ونووا على خراب الديار
قالوا من هو منهم عقيد   بوسمرا هالقلبه شديد
يما هالمطران الجديد (١)   هذاك تكلي في الادبار
هذاك تكلي في التدبير   بطيعوه كبير وصغير
مثل ما يأمر يصير   عالغياب وعالحضار
على الغيَّاب وعلي حده   حواليه جيوش ما بينعدوا
بوسمرا ما في قده   افرس من زيد وعنتر
افرس من عنتر وشبيب   من بكاسين ما بقا يغيب
لما كتب مكاتيب   خلى الدنيا كوم حجار
كتب الى غربي البقاع   قال لو كبير وصغير اقبع
انتم زلمي ولي اتباع   لما يعلق شهب النار
قال يا اقليم جزين ارتاح   حتى يجي اقليم التفاح
ونقطب عالاربع نواح   ونحطهم تحت الحصار
وصلوا الى نيحا وهدوا   قلوب الرخايا اشتدوا

(١) المطران بطرس البستاني الذي جعل مطراناً معاوناً لعمه المطران عبدالله البستاني قبل حوادث سنة ١٨٦٠ باربع سنوات

بوسمرا ما في قده لما يعلو بظهر الابجر
عادوا تنوا في باتر هونيك طيبان الخاطر
واللي طلع شاطر كسب كسبه ما لها قرار
كسب كسبه شي موصوف ومعلوم عند بني معروف(١)
حرقنا بقية الشوف عشر ضياع قل لي اكثر الخ

٩ وقال غيره

تعالوا نحكي يا غلمان ونرتب بيوت وقصدان
في (٢) سبعين في هالديره ما التقوش عند السلطان
في سبعين في هالديره بوسمرا والشنتيري
عملوا للدروز سيره وقفوا لهم هالعريان

ولا شك بان اعداء ابي سمرا في الحروب لهم مثل هذه المصنفات التي تمدح بفرسانهم وتهجو ابا سمرا ولو عثرنا على شيء منها لما تأخرنا عن نشرها في هذا الكتاب واننا نعد بنشر كل ما يردنا من هذا القبيل في الطبعة الثانية ان وفق الله

انتهى ولله الحمد

(١) كنية الدروز ٢) يوجد

فهرس الكتاب

﴿ الجزء الثاني ﴾

الجزء الثالث

﴿ الجزء الرابع ﴾

ملحق = كتابات التعازي

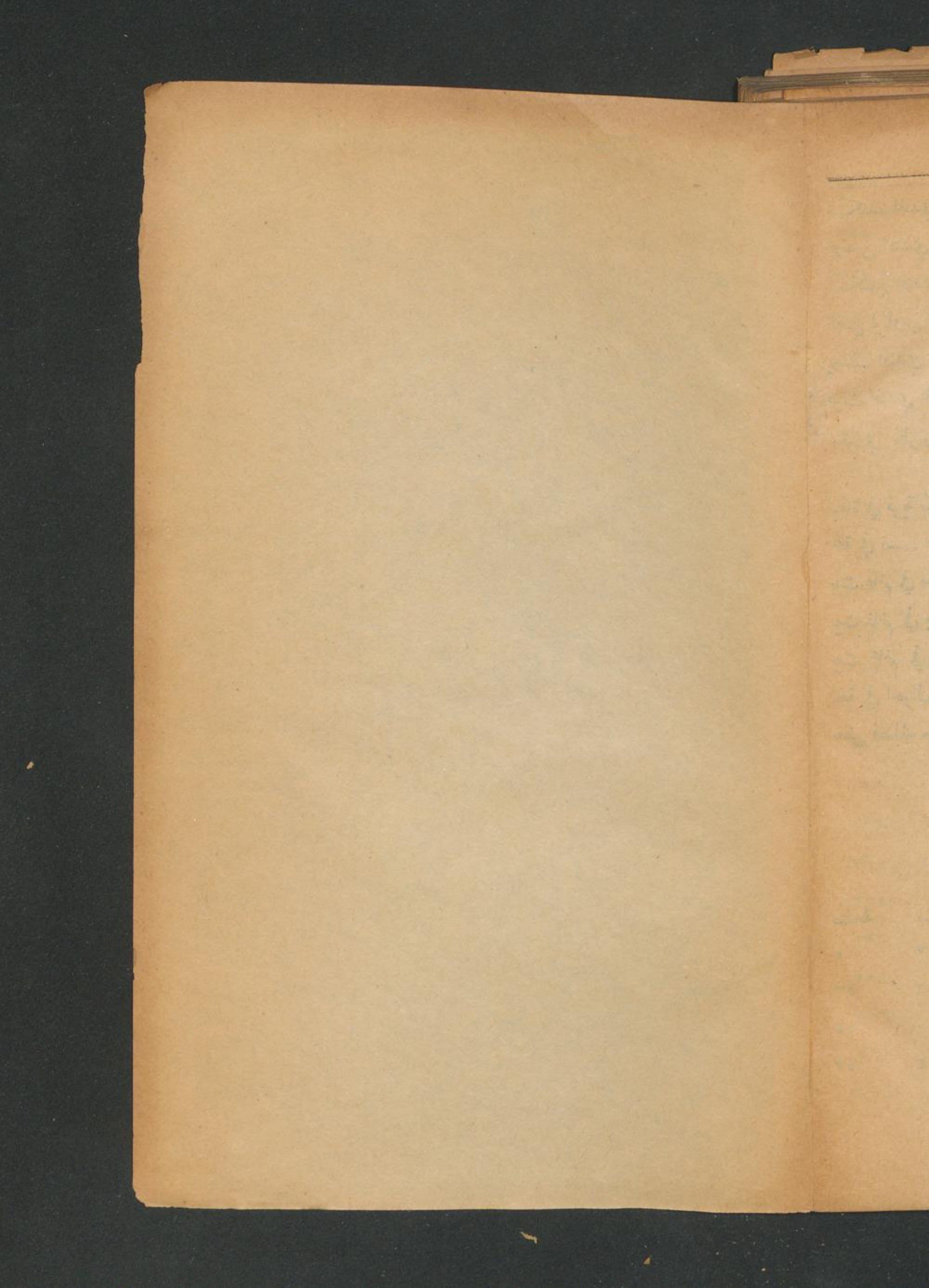
﴿ المراثي ﴾

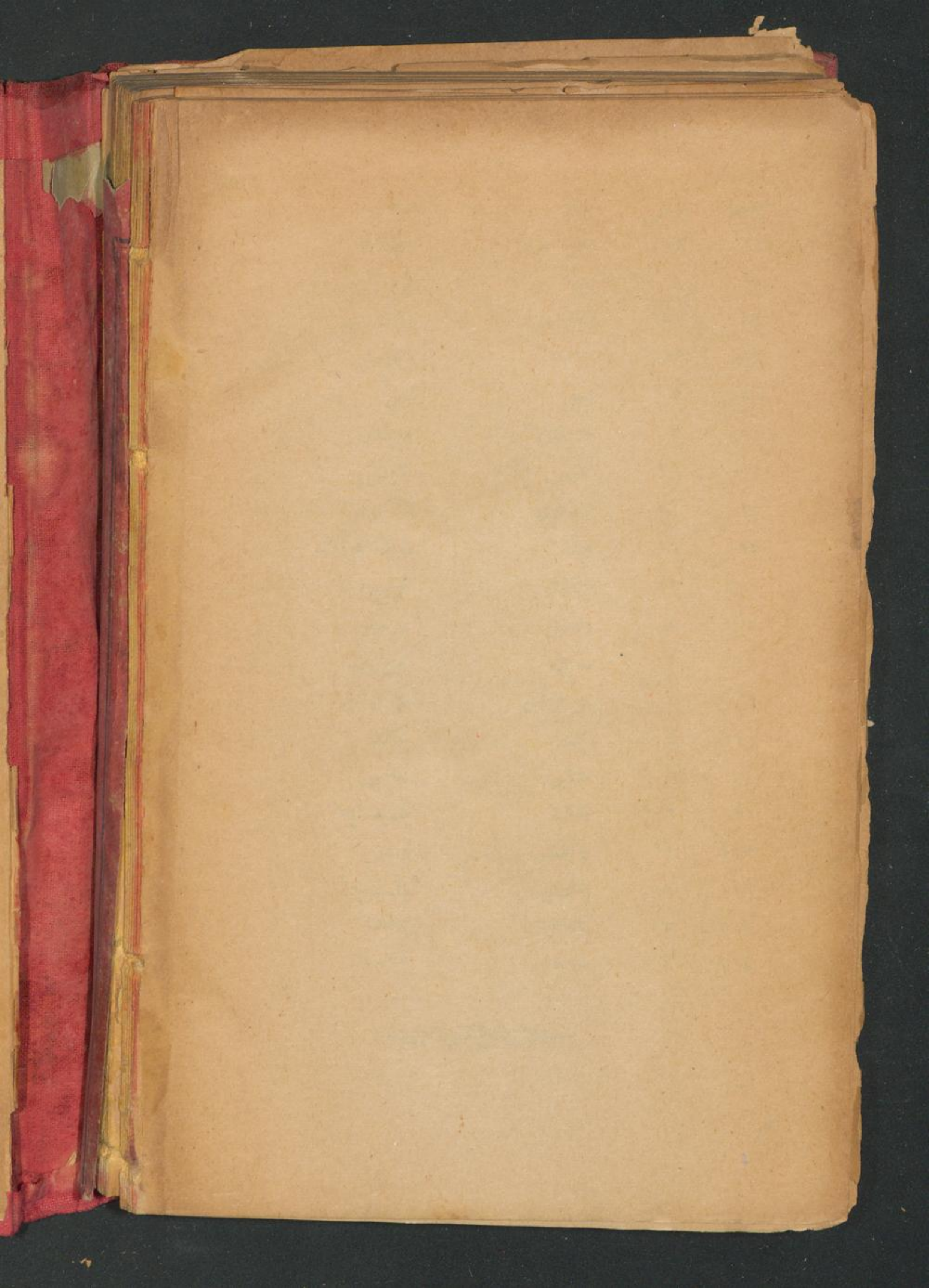
اصلاح خطاء

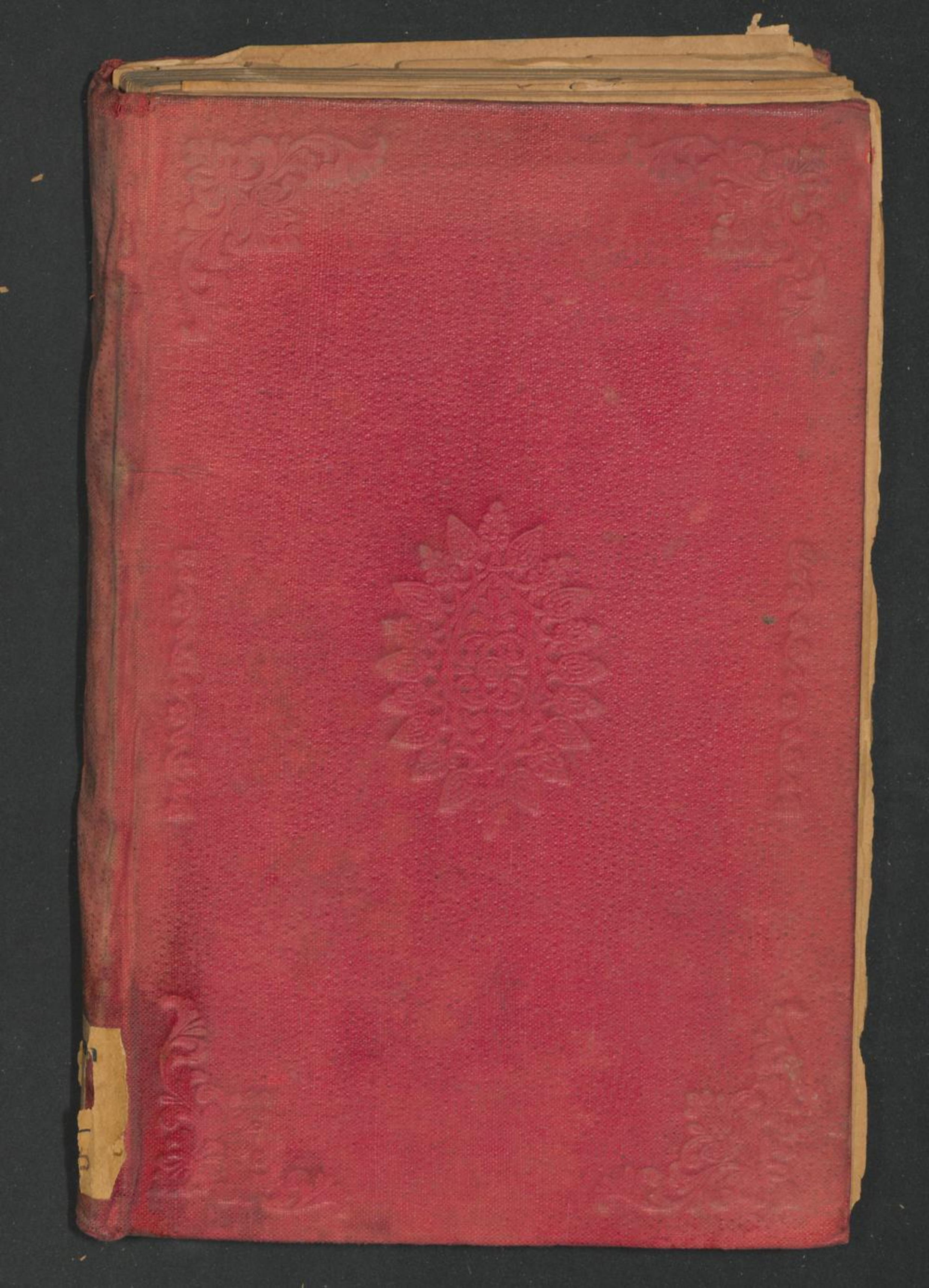
صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٥	١٧	عبد السلام	علي
٥٣	١٦	والامير منصور	والامير علي منصور
٥٥	١٠	لمقابلتهم	لقتالهم
٥٧	٢	مخنفين	مختفين

صفحة	سطر	خطاء	اصحاح
٧٧	١٨	وجود هاء	وجودها
٨١	٦	يوم	يوم جاءهُ
٨٣	١٦	واغار على	وانحاز الى
٨٤	١٣	١٨٤٩	١٨٥٠
٨٦	٩	احل	اجلْ
٩١	٣	عدليتان	عديلتان
٩٢	١٩	اقضى	انتقض
٩٣	١٠	النكوى	النكوص
٩٥	١٢	هيئات	وماذا هيأت
١٠٥	١٦	الثالث	الرابع
١٠٨	٥	وارسل	وراسل
١٢٢	١٣	ما بين	من بين
١٣٦	٤	من قرنايل	في قرنايل
١٤٩	٤	كاد	يكاد
٤٩	٣	عاشر	سادس
١٦١	٩	خطبه	خطبه اياها
١٧٢	١١	لم يحضر	لم يمض
١٧٦	١٩	بالمحمين	بالمسيحيين
٢١٤	١٣	١٨٨٢	١٨٨٣
٧١٥	٢	١٨٩١	١٨٩٢









Abū-Samrā Ġānim au al-baṭal al-lubnānī

Fā'iz, Halīl Hammām

al- Qāhira, 1905

urn:nbn:de:hbz:5:1-196309